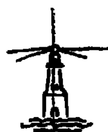
الدكتور عبد الحليم منتصر

ذكريات عطرة
وخواطر عابرة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وإهداء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وبعد فهذه قصة كفاحى أقدمها من خلال هذه الذكريات العطرة والخواطر العابرة، وأقدم لها بتحية وتقدير لمن كان من حظى أن أعايشهم ردحا من الزمان وأتعلم على أيديهم الكثير اعترافًا بفضلهم وتقديرًا لمكانتهم فى نفسى، وإنى أهديها لمن كان لها الفضل فى تحمل مرارة هذا الكفاح، وعناء هذه الحياة، إلى روح زوجتى الفاضلة التى كان عليها أن ترعى أطفالنا، وأنا فى رحلاتى العلمية من أقصى شمال الوادى إلى أقصى جنوبه، ومن أقصى شرقيه إلى أقصى غربيه فى واحاته وصحاريه وأوديته وبحيراته، باحثًا عن النباتات فى بيئتها أن كان تخصص البيئة النباتية، فكانت بحوثى ورسائلى ورسائل طلابى للماجستير والدكتوراه فى هذه الموضوعات، فضلاً عن مشغوليتى بالاتحاد العلمى والمؤتمرات العلمية والأكاديمية والمجمع المصرى للثقافة العلمية ومجلة رسالة العلم ونقابة المهن العلمية والأكاديمية والمجمع المصرى للثقافة العلمية ومجلة رسالة العلم ونقابة المهن العلمية بالإضافة إلى واجبى التعليمى فى الكلية ما بين جامعة القاهرة وجامعة عين شمس، ثم تدريس بعض المواد فى جامعة الإسكندرية وجامعة أسيوط مما كان يشغل كل وقتى، ولا يكاد يترك لبيتى وأولادى إلا أقل من القليل. كما أهديها إلى أولادى الذين أرجو أن يغفروا لى هذا التقصير فى رعايتهم وأن يحمدوا الله معى أن

أترك لهم اسماً نظيفاً لم تلوثه أحداث العصر من نفاق ورياء يشهد الله أنى لم أتعامل بهما أبدا، وإنما كان همّى وراء الحق والمعرفة فى كبرياء وكرامة لخدمة العلم والوطن كما أهديها إلى روح والدىّ رحمهما الله، وإلى روح ابنتى المرحومة الدكتورة «ليلى» وإلى روح شقيقى المرحوم المهندس «محمد» رضى الله عنهم وعنا أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

عبد الحليم منتصر

١ - هؤلاء علمونى

من الخير أن أبدأ بذكر نفر كريم من كبار أساتذة الجيل الذين كان من حظى أن أتعرف إليهم وأن أعايشهم وأناقشهم وأقرأ لهم وأتتلمذ عليهم - لا فى علم من العلوم - ولكن فى المعارف العامة والمثل العليا والخلق الفاضل والأدب الجم ممن سيتواتر ذكرهم فى هذه المذكرات وتلك الخواطر من أمثال لطفى السيد، وحسين هيكل وطه حسين وعباس العقاد وأحمد أمين، وأحمد حسن الزيات، وعلى مشرفة، ومصطفى نظيف، ومحمد كامل حسين وأحمد زكى، إنهم العشرة الكرام أو العشرة الطيبة، لابد أن أعترف بفضلهم.



لطفى السيد:

لقد كان أستاذنا الأكبر المرحوم أحمد لطفى السيد، مديرًا لجامعة القاهرة أو الجامعة المصرية، حين كنت طالبًا بها فى أواخر العشرينيات وكان مثلًا عاليًا فى الأخلاق الفاضلة والشخصية العظيمة والحفاظ على كرامة العلم والعلماء وعلى استقلال الجامعة، قدم استقالته وترك الجامعة بمجرد أن نقل وزيرًا للمعارف آنئذ الأستاذ الدكتور طه حسين الأستاذ بكلية الآداب آنئذ من الجامعة إلى الوزارة دون رغبته فذهبنا إلى زيارته فى منزله فى مصر الجديدة وكنت معيدًا فى كلية العلوم، فشكر لنا زيارتنا وقال: «المرة الجاية لا أحب أن أستقيل وحدى» ولم يعد إلى الجامعة إلا بعد أن أعيد طه حسين إليها، وعندما أصدرت جمعية خريجى كلية العلوم مجلة «رسالة العلم» ذهبت مع الدكتور حامد جوهر لإهدائه العدد الأول، شكر لنا اهتمامنا بتعريب العلوم الحديثة ونشرها فى مجلة علمية عربية وسأل

الدكتور جوهر عما يعمل فى الغردقة وتطرق الحديث إلى الشعب المرجانية ونطقها الدكتور جوهر بالضم، فقال له تقول مرجان كالعوام اسمه المرجان بالفتح، وكان يتفضل بتشريف المحاضرات العامة والمناظرات التى أشارك فيها أو أنظمها فى مدرج الطبيعة بكلية العلوم بالعباسية، وكان يعجب بإقبال الجمهور على حضور هذه الاجتماعات الأدبية فى كلية العلوم وبضيق المدرج الذى يتسع لألف من الحضور ممن يشاركون فى هذه الندوات والمحاضرات، التى كان يشارك فيها عدد كبير من أساتذة الجيل، حتى أننا كنا نضطر أحيانا لطبع تذاكر للدخول لأن المكان لا يتسع لكل الراغبين.

وقد نظمت وزارة المعارف سنة ٣٨ سابقة للتأليف فحظى كتابى «حياة النبات» بالجائزة الأولى، وأقامت الوزارة حفل تكريم للفائزين فى قاعة الاحتفالات بالجامعة وحضر الحفل مدير الجامعة لطفى السيد، ووزير المعارف الدكتور محمد حسين هيكل، وطلب إلىّ أن ألقى كلمة تذاع مباشرة، فإذا بى أنقد الجامعة فى حضرة مديرها، فقال لى عاتبًا فى نهاية الحفل «كـده» فقلت له إن هذه حرية الرأى التى علمتنا إياها معاليك، فانفرجت أساريره وفى اليوم التالى أبلغت عميدنا الدكتور مشرفة بما فعلت فقال: «عملت طيب» ولكن أستاذنا لطفى السيد أرسل إليه بأنى نقدت الجامعة أمام غير الجامعيين فإذا كان هذا يرضيك فأنا راضى، وإذا كان لا يرضيك فأنا غير راضى وقد جعلتك حكمًا ورضيت حكمك، فأبلغنى الدكتور مشرفة بذلك، فقلت له إنه أقر ما فعلت، فقال إنه لا يغضب من ذلك وقد حصل معه شخصيًّا مثل ذلك فراح يعتذر إليه، فقال له: «أنا بانبسط لما باشوفكوا كده».

وفى الأربعينيات – قرأت ذات يوم فى الجرائد – أن مجمع اللغة العربية

قد ألف لجنة للحضارة الحديثة، ووجدت أن معظم أعضائها من أساتذة اللغة العربية، فأرسلت إلى أستاذنا الكبير خطابًا خاصًا أقول فيه إن الحضارة الحديثة قامت على أكتاف العلم، ولا يستطيع أن يعطى المدلول الحقيقى لكلمة فى العلم إلا شخص مارس استعمالها وكم أحب يا رجال الآداب أن تعلموا أن رجال العلوم لا يقلون عنكم غيرة على اللغة، فأرسل إلىّ خطابًا خاصًا يدعونى للحضور إلى مكتبه فى المجمع وكان آنئذ فى ميدان التحرير فذهبت فى الموعد المحدد، قائلًا السلام عليكم، فأجاب «وعليكم السلام جاى تناكف فى إيه تانى» قلت أستغفر الله يا معالى الباشا قال «استغفر كيف تشاء يمكن يغفر لك» ونظر إلى المرحوم الأستاذ أحمد أمين، قائلًا: «هل تعرف فلان» لقد حضرت له كم مجادلة وكم محاضرة عجبنى واستخسرته فى كلية العلوم، ثم نظر إلىّ قائلًا: «جوابك عجبنى وأنا غلطان وأنت معاك حق» فقلت له معاليك أبو الجامعات وأدرى بهذه الأمور، قال دعك من هذه الديباجة وما ستقوله سينفذ، وجلست أمامه نتحدث عن تأليف لجان متخصصة من أساتذة الجامعات فى الطب والهندسة والكيمياء والجيولوجيا والأحياء والزراعة وما إليها ويحضر كل لجنة عضو أو أكثر من أعضاء المجمع ليشرف على الصياغة اللغوية أما الشرح العلمى فهو من اختصاص المختصين، وقد كان وأخذ المجمع بهذا النظام منذئذ، وكنت أحضر عددًا من هذه اللجان كخبير، إلى أن رشحت وانتخبت عضوًا.

لقد حضر معاليه عددًا من المناظرات التى كنت أشارك فيها فسمعنى أدافع عن العلم ضد الأدب وعن العلم ضد المال ثم عن الأدب ضد العلم وكان تعليقه على دفاعى الأخير عن الأدب «لقد كان ألحن بحجته».

فى إحدى جلسات المجمع أراد المرحوم الأستاذ توفيق دياب أن يرد

المجمع إلى ما تناولته الصحف من سخرية بقصة الشاطر والمشطور وبينهما طازج، التى ابتدعت تعريبًا للسندوتش، وطال النقاش مدة طويلة، فنظر إلى المرحوم لطفى السيد رئيس المجمع سائلاً إياى ما رأيى، قلت فى تلحين مهذب، «نحن نعلو على هذا» إن أعمالنا منشورة معروفة مسجلة، ولا ينبغى أن نجر إلى هذه المهاترات لقد كان تعريبنا «شطيرة».

وفى حفل أقامه أعضاء المجمع لمعاليه فى نادى محمد على بمناسبة بلوغه التسعين من عمره جلست إلى جواره، وإلى يمينه من الجهة الأخرى المرحوم الأستاذ زكى المهندس، وكل من يدخل القاعة يأتى للسلام عليه، فيقف ثم يجلس ويتكرر ذلك بعدد الأعضاء الوافدين فيرهقه التعب ويتصبب منه العرق فيخرج المنديل ليجفف عرقه، ويقول لقد أتعبتمونى بتكرار انتخابكم لى رئيسًا، فقال المرحوم زكى المهندس إن هذا يشرفنا وإنك تستحق كل التكريم، فنظر إلى معاليه، وقال أظن الكلام دا عاجبك، فقلت جدًّا ونحن بخير ما دمت بيننا، ثم وصل المرحوم الدكتور طه حسين فقمت وأجلسته بمكانى ولاحظ الدكتور طه حسين كثرة قيام وقعود الأستاذ لطفى السيد، فقال له يا باشا قال نعم، قال هذا من فعل الأعاجم، يريد أنه لا داعى أن يتعب نفسه بالقيام والقعود.

كان معاليه مثلا يحتذى فى الحفاظ على مواعيد جلسات المجمع فتستطيع أن تضبط ساعتك عند وقت دخوله الجلسة فإذا هى الحادية عشرة صباحًا تمامًا وفى إحدى الجلسات ظللت أعرض المادة حتى الواحدة إلا عشر دقائق، فقال بعض الأعضاء إن الزميل قد تعب، فقال متعجبًا تعب أنا لم أتعب استمر، ولم يرفع الجلسة إلا فى موعدها المقرر الواحدة بعد الظهر تمامًا.

سألناه مرة أن يوجهنا إلى حكمة أو مثل نحتذيه، فقال هل سأقول

أكثر أوأعظم مما جاء فى القرآن الكريم أو الحديث الشريف، المهم القدوة فإن تكن حسنة فسيكون لها أثرها الحميد على البيئة ومن فيها، لقد تقلد رحمه الله عدة مناصب وزارية بعد إدارة المجمع وإدارة الجامعة، ولكنه استقال من وزارة صدقى باشا ولما سألناه عن أسباب ذلك، وكان عدد من الوزراء قد استقالوا من الوزارة، وكان الشعب لا يريد أن يتفاوض صدقى مع الإنكليز، فقال إذا كان الشعب الذى نتفاوض باسمه لا يريدنا أن نفاوض فباسم من نتكلم.

وهكذا كان أستاذنا «لطفى السيد» مثالاً يحتذى فى حرية الرأى وأدب الحديث، والحفاظ على المواعيد والاعتزاز باستقلال الجامعة وكرامة العلم والعلماء، رحمه الله رحمة واسعة.



الدكتور محمد حسين هيكل:

كان رحمه الله رئيسًا لتحرير السياسة وعضوًا فى حزب الأحرار الدستوريين ثم رئيسًا له، وقد كنت أميل إلى هذا الحزب لأنه فى رأيى أكثر عقلانية وطريقته وخطته عملية أكثر من غيره ومع ذلك فلم يكن لى شأن فى السياسة. ولكنى كنت أكتب مقالات علمية فى السياسة اليومية والسياسة الأسبوعية، وكان رحمه الله يرحب بمقالاتى ويشجعنى على الكتابة، كتبت مرة مقالاً فى السياسة اليومية أقارن فيها بين الآثار اليونانية والآثار الفرعونية، وكان من رأيى أن هناك أوجه شبه كبيرة بين الحضارتين، وكنت عائدًا من زيارة لليونان وشاهدت الأكروبول وسجن سقراط وكثيرًا من مظاهر الحضارة اليونانية القديمة وكنت شاهدت قبل سنين الآثار الفرعونية فى الأقصر وأسوان، ووجدت أوجه شبه كثيرة مما جعلنى أستنتج وجود صلات بين الحضارتين إلا أن المحرر وضع تعليقًا ينتقد ذلك، فلما حضر الدكتور هيكل شكوت له من هذا التعليق فقرأ المقال مرة أخرى

وأنحى باللائمة على المحرر موافقا على رأيى، وذات مرة شكوت له من كثرة الأخطاء المطبعية، فأعاد نشر المقال بعد تصحيح الأخطاء ولقيته مرة فى جبل لبنان بعد محاكمات الثورة، فقلت له لقد أعجبتنى شهادتك ولعلها الوحيدة التى أعجبت بها، فقال إنه يأسف لأن يسمع مثل هذا المديح لأن معناه أنه لم تكن هناك شجاعة عند الآخرين، نعم لقد كان الدكتور هيكل مثلًا فى شجاعة الرأى والالتزام، ذكر لى مرة وكان حال الحزب والجريدة لا يسر، قال تصور أنك كنت تعيش بمرتب مائة جنيه فإذا به ينخفض إلى ثلاثين، ولكى أقرب المسألة إلى ذهنك وكنت حديث التخرج فبدلا من أن نتقاضى اثنى عشر جنيها تنخفض إلى أربعة فقط، وكان هذا حال حزب الأحرار وكان يتعهد بنفقاته والجريدة والمحررين المرحوم محمد محمود باشا رئيس الحزب، حتى قيل إنه استنفد ما ورثه من أبيه من آلاف الأفدنة على الحزب والجريدة. كذلك كان التزام هؤلاء وعدم تجارتهم بالسياسة والأحزاب، على حين كنا نقرأ ونسمع عن التنقلات بين الأحزاب حسب المصلحة أما هيكل فقد كان ملتزمًا بحزبه وسياسته فلم ينتقل حسب المنفعة والمصلحة إنما كان اعتدادهم برأيهم ومصلحة الوطن فوق كل شىء وقبل كل شىء، وكان كتابه «حياة محمد» من أحسن ما قرأت دفاعًا عن الدين الإسلامى وردًّا على المستشرقين كما كان أول من صنف قصة أدبية رائعة هى «زينب» ثم توالت كتبه الدينية الرائعة رحمه الله رحمة واسعة.



الدكتور طه حسين:

عملاق من عمالقة الأدب ما فى ذلك شك، نشأنا على القراءة له، وكان قد صدر كتابه فى الشعر الجاهلى وفيه شطحة، أثارت الرأى العام، ودافع عنه حزب الأحرار وهاجمه حزب الوفد، ودافعت عنه وزارة عدلى، ولكنه أعاد طبع الكتاب وأسماه فى الأدب الجاهلى، وقال فى مقدمته هذا كتاب السنة الماضية، حذف منه فصل وأثبت مكانه فصل وأضيفت إليه فصول، لقد سمعت بأذنى وأنا طالب أسير لأدخل الجامعة فى العباسية مواطنًا يقول هل هذه هى الجامعة التى فيها طه حسين؟ «سأذهب لأقتله»، إلى هذا الحد سخط الجمهور، ولكنه بحمد الله خلص من هذه الأزمة.

كانت كلية الآداب تشغل سراى الزعفران ذاتها، على حين كانت كلية العلوم تشغل المبانى الملحقة بها، وكانت محاضرة الدكتور طه حسين فى يوم الخميس من الساعة الثانية عشرة إلى الساعة الواحدة، وكانت حصة

الكيمياء العملى فى ذلك اليوم من الساعة العاشرة والنصف إلى الساعة الواحدة فكنت أجتهد فى إنهاء تحضيراتى الكيميائية، وأسارع لحضور محاضرة الدكتور طه حسين وكان ذلك ميسورًا، إلا أن أستاذ الكيمياء لاحظ عنايتى بمجلة السياسة الأسبوعية، فتسائل علانية ما شأن حامل السياسة الأسبوعية ودراسة الكيمياء، وأصر على سؤالى فى الكيمياء ليعرف مدى اهتمامى بالعلوم الطبيعية، ولم يكن يعلم أنى أسارع لأحضر فى كلية الآداب المجاورة درسًا لأستاذنا الدكتور طه حسين.

فى الثلاثينيات الباكرة، صادرت الدولة كتاب تاريخ بغداد لمؤلفه الخطيب البغدادى، لأنه نقد أبا حنيفة فكتب الدكتور طه حسين ثلاث مقالات متتالية فى السياسة اليومية بعنوان «مصادرة» وفى اليوم الرابع أفرج عن الكتاب، فقد كان دفاعه حارًّا قويًّا، وكنت أقرأ المقال عدة مرات لفرط إعجابى بها، وكانت النتيجة الإفراج عن الكتاب لبراعة الدفاع عن حرية الرأى.

ثم ظهر له كتاب الأيام، قرأته ثم أهديته، ثم اشتريت نسخة ثانية وثالثة حتى حفظت بعض صفحاته لشدة إعجابى به، حتى أنى تلوت بعض صفحاته من الذاكرة عندما طلب إلى التحدث فى التلفزيون فى ذكراه، مثل قوله، لقد كان أبوك يابنتى ينفق الأسبوع والشهر والسنة، لا يأكل إلا من خبز الأزهر وويل للأزهريين من خبز الأزهر إن كانوا لا يجدون فيه ألوانًا من القش وألوانًا من الحصى، وفنونًا من الحشرات، ولقد كان أبوك يابنتى ينفق الأسبوع والشهر والسنة لا يغمس هذا الخبز إلا فى العسل الأسود، وأنت لا تعرفين ماهو العسل الأسود وخير لك ألا تعرفيه، وقد كان أبوك يابنتى ينفق الأسبوع والشهر والسنة لا يأكل إلا لونًا واحدًا من الطعام يأخذ حظه منه فى الصباح ثم يأخذ حظه منه فى المساء، لا شاكيًا ولا متبرمًا ولا متضجرًا ولا شاعرًا بأن حاله خليقة بالشكوى والرثاء.

رتبت بينه وبين الدكتور هيكل فى مناظرة عن الأجيال، وكانت مع الدكتور هيكل، الدكتورة عائشة عبد الرحمن وقد فوجىء الدكتور طه حسين بأنها تقرأ رأيًا له يخالف مايدافع عنه فى هذه المناظرة، فارتبك الرجل قليلاً وقال لى: استعمل حقك ياحضرة الرئيس وسكّت عائشة، فقلت له تفضل بالرد عليها عندما تنتهى، ولكنها استمرت فى هجومها، فقال لى هامسًا «هى الست عائشة ستخلص الليلة»، ثم أعطيته الكلمة فدافع بحماس وانتهى الاجتماع بسلام بعد أن استمتعنا بهذا الأدب الرائع مع المتحدثين.

اشتركت معه مرة فى مناظرة دفاعًا عن العلم أمام المرحوم الدكتور مشرفة وزميل آخر يدافعان عن الأدب ضد العلم، وكان وجه المتعة أن عميد الآداب الدكتور طه حسين يدافع عن العلم، وأن عميد العلوم الدكتور مشرفة يدافع عن الأدب، وتساءلت أثناء حديثى عن أمة رعت استقلالها وحمت ذمارها بشعر شاعر أو أدب أديب، فرد المرحوم الدكتور مشرفة أن هذه الأمة هى مصر وأن مدافعها هو سعد زغلول، فهمس الدكتور طه حسين أن هذه هى القنبلة التى يعتمد عليها ولكن «ولو» فقد كان لاسم سعد زغلول دوى مازال له شأن ورنين.

لقد كان لمقالات طه حسين ولكتبه الكثيرة التى تظهر يومًا بعد يوم وسنة بعد أخرى كان لها أبلغ الأثر فى جمهور جيلنا من الشباب، فهاهى أجزاء كتاب الأيام تظهر واحدًا بعد الآخر، ثم هاهى كتب «على هامش السيرة» و«مستقبل الثقافة فى مصر» و«دعاء الكروان» وغيرها مما كان يغذى قراءة بأمتع غذاء وكان هجومه ونقده لشعر شوقى مما يثير العجب لدى المعجبين بشعر أمير الشعراء شوقى، وسمعنا قصة أن شوقى طلب من زكى مبارك أن يقدم للشوقيات فاعتذر مجاملة لطه حسين، ولكن عندما

أخبر طه حسين بذلك قال له أخطأت «فشوقى أعظم شاعر فى العربية بعد المتنبى». وكان لدعوته أن العلم لازم كالماء والهواء وسعيه لمجانية التعليم أكبر الأثر، وكان حفاظه على مواعيده رغم مرضه فى السنوات الأخيرة مضرب المثل، فكان يصل إلى باب مبنى المجمع فى سيارته، فيزحزح منها إلى كرسى يحمله الفراشون ويصعدون به السلم إلى أن يدخل قاعة الاجتماع فى منظر مؤثر، قلت مرة لزوجته، ليس من الضرورى إجهاده إلى هذا الحد، قالت: «إنه يجننى إذا لم يحضر».

سألتنى جريدة الرياض عن طريق أحد محرريها عن رأيى فى أدب طه حسين والعقاد وأحمد أمين فقلت إن طه حسين فنان، والعقاد مفكر، وأحمد أمين مؤرخ ولكل منهم دوره فى الأدب العربى، فطه حسين يرسم لوحة فنية بعباراته الأدبية الرائعة، أما العقاد فهو مفكر يفرض رأيه الصواب ولا صواب سواه، أما أحمد أمين فهو مؤرخ يعرض الحقائق الأدبية عرضًا تاريخيًّا يصور تتابع الأحداث.

كنت كثيرًا ما أجلس إلى جواره فى المجمع اللغوى، وقلت له مداعبًا ذات مرة، نقبل الأيادى فقال أولا الأيدى وشكر الله لك، وقدم أحد الأعضاء زميلًا جديدًا على أنه عريس المجمع فرد عليه غاضبًا عروس، واستشهدت مرة بتاج العروس، فقال «ليس حجة» وترجمت مرة أحد المصطلحات الأجنبية بكلمة «حرض» استنادًا إلى الآية الكريمة حتى تكون حرضًا أو تكون من الهالكين، فقال هذه لفظة قرآنية لا أذكر أنى قرأتها فى شعر أو نثر، فعدلنا عنها إلى غيرها واعترض على كلمة «مسننة» وقال قل «مضرسة» فقلت كل ضرس سن وليس كل سن ضرسا وأخشى أن يلتبس الأمر على القارىء أو السامع، فقال لا اشتقاق من الاسم الجامد، قلت أجاز المجلس هذا عند الضرورة، فسأل الرئيس عما نستعمله فى

الدراسة قلت مسننة، قال خلاص مهمة المجمع أن يسجل ما تقوله المدرسة، فرد الدكتور طه حسين «مهمة المجمع أن يسجل ما تقوله المدرسة صحيحًا، وأخذت الأصوات فكانت فى جانب «مسننة» كل ذلك فى نقاش هادىء رائع دون غضب أو ثورة، لقد سمى طه حسين بحق عميد الأدب العربى، لقد ترك بصماته الأدبية على الجيل المعاصر بل والأجيال اللاحقة إن شاء الله تعالى.



الدكتور على مصطفى مشرفة:

عبقرى نادر المثال أو على غير مثال، التحقنا بكلية العلوم، وكان كل أساتذتها ومدرسيها من الأجانب فيها عدا قلة قليلة من المصريين وعدد من المعيدين، أما الأساتذة والأساتذة المساعدون والمدرسون فمنهم الإنجليزى والألمانى والسويدى والأمريكى، ولغة التدريس هى الإنجليزية وكان على رأس المصريين المرحوم الدكتور مشرفة أستاذ الرياضة التطبيقية اشتهر بذكائه الحاد، وعبقريته النادرة، وبحوثه العالمية، وكان أول عميد مصرى للكلية، فأقمنا له حفلة تكريم بمناسبة أنه أول مصرى يلى هذا المنصب بعد نحو عشر سنوات كان العميد فيها إنجليزيا هو الأستاذ بنجهام أستاذ الكيمياء الطبيعية، وكنت خطيب هذا الحفل، فأشدت بما نسمع عنه ونرى منه من كريم الخلق وعزة النفس والاستعلاء بالعلم، وشجعنا على إصدار مجلة «رسالة العلم» ويدعوننا لتعريب التعليم العالى، وفى الاستفتاء الذى

أجريته فى العدد الأول من المجلة (يناير ١٩٣٤م) كانت إجابته أنه مستعد فورًا ومن الآن، وكان أقل المستفتين تفاؤلاً من طلب مدة عشرين عامًا، وهاقد مضى أكثر من خمسين عامًا ولم يتحقق هذا الحلم.

كان يقيم حفل استقبال فى منزله مرتين فى الشهر، يوم ١٠ ويوم ٢٠ من كل شهر، وكان الموعد كما هو مبين فى تذكرة الدعوة التى يوزعها أوائل كل عام الساعة الثامنة مساء، وفى ذات مرة فى أيام الحرب العالمية الثانية وكان قد مضى علىّ عدة أشهر لم أحضر هذا الاستقبال فلما وصلت التذكرة وضعتها فى جيبى دون اءتها، ثم ذهبت فى الموعد التى كنا قد اعتدنا عليه، دققت الجرس، وفتح الباب، وإذا به يقول «احنا خلصنا» قالت زوجه وكانت تقف وراءه، بالعكس «سيكون لنا وحدنا» فاعتذرت لأنى لم أقرأ الموعد الجديد وهو الخامسة بدلا من الثامنة، بسبب احتمالات الغارات الجوية وإنذاراتها أيام الحرب، سمعنا أن معالى وزير المعارف حدد له موعدًا للمقابلة فى الوزارة وتكرر الموعد ثلاث مرات، ولم تتم المقابلة، وكان الدكتور مشرفة يقول هو حدد الموعد، وأنا ذهبت فى الموعد، ولكن يقال لى إنه مشغول، فأعود فورًا.

وقفت أمامه فى مناظرة مع الدكتور طه حسين، وتساءلت فى حديثى «دلونى على أمة رعت استقلالها وحمت ذمارها، بشعر شاعر أو أدب أديب، فرد على تساؤلى بقوله أنا أدلكم على تلك الأمة وهى مصر، وزعيمها سعد زغلول، وكانت ذكرى سعد مازالت تملأ الدنيا، فصفق الحضور طويلاً فهمس الدكتور طه حسين «هذه هى القنبلة التى يرتكن عليها لكن ولو؟

كان صريحا إلى أبعد الحدود حازمًا دقيقًا، وكان يرأس جلسة الممتحنين لإقرار النتيجة قبل إعلانها وإذا بها فى مادته صفر فى المائة إذ لم ينجح أحد، فكان يعلق قائلاً المسألة بسيطة، الظاهر أن الطلبة يقسمون المواد بين

امتحانى مايو وأكتوبر، وقد ذكرت هذه القصة لوزير معارف جاء بعد ذلك وأرسل مدير مكتبه ينتقد ضعف نتيجة الكيمياء، فقلت للوزير ماشأنكم والامتحانات، لقد حدث ذلك أيام الدكتور مشرفة ولم يحدث شىء، فقال أدعوه ليعتذر إليك، فقلت لن أقبل اعتذاره بل تعتذر أنت. والحقيقة أن الدكتور مشرفة كان شخصية نادرة المثال تعلمنا منه الكثير ولقد بقى عميدًا خمسة عشر عامًا.



الأستاذ مصطفى نظيف:

أستاذ كريم نبيل، كان أستاذًا للطبيعة فى كلية الهندسة، وكان رئيسًا للاتحاد العلمى المصرى، ثم وكيلًا لجامعة عين شمس، وكنت أسميه والدكتور كامل حسين «شيخى». دعانى مرة لألقى محاضرة فى تاريخ العلم وكان رئيسا للجمعية المصرية لتاريخ العلوم، وحدد لى الموضوع «علماء النبات من العرب القدامى» فإذا بى لأول مرة أعرف نحو عشرين عالمًا عربيًّا تكلموا فى علوم النبات والزراعة، كالدينورى وابن العوام وابن وحشيه وابن البيطار وداود الأنطاكى وابن سينا وغيرهم، وبعد إلقاء المحاضرة جاءنى الأستاذ نظيف هاشًّا باشًّا سعيدًا جدًّا مثنيًا على البحث واللغة والإلقاء وما إلى ذلك، ومذ ذلك الوقت عشقت تاريخ العلم وألقيت فيه محاضرات وألفت فيه كتابًا طبع عدة مرات وأسهمت فى نشاطات الجمعية المصرية لتاريخ العلوم، ثم كان رئيسًا لجامعة عين شمس وكنت أمينًا عامًّا للاتحاد، وظل مديرًا لجامعة عين شمس إلى أن حدث مادعاه للاستقالة، فذهبت مع وفد من مجلس الكلية لندعوه ليلقى محاضرات فى

تاريخ العلم وليعمل أستاذًا غير متفرغ بالكلية. فقبل مشكورًا وكانت المكافأة الشهرية زهيدة، وهى فى الأصل سنوية ولكن تدفع مشاهرة، فلما وصله شيك شهر مايو، رفض أن يستلمه وقال إنه لم يحاضر فى مايو، واضطررنا إلى رده للجامعة.

وعندما دعانا مدير الجامعة ليوصلنا بسيارة المدير، رفض أن يركبها واستأجرنا تاكسى ليوصلنا، وكذلك كان الأستاذ نظيف حنبليا إلى أقصى حد، أمينا فى عمله بلا حدود كذلك قلت مرة إلى الدكتور كامل حسين إنك والأستاذ نظيف بمثابة شيخى، فقال بل هو شيخنا أنا وأنت، كان لا يوافق على تعريب Physies بفيزياء، ويصر على استعمال كلمة «فيزيقا» لأنها الأصح كما قال الأقدمون ماثيماطيقا وميتافيزيقا.. إلخ.

أهدانى كتاب الحسن بن الهيثم، ويقع فى مجلدين أكثر من ألف صفحة ونبهنا إلى فضل ابن الهيثم على العلم والضوء بصفة خاصة وقال إن ابن الهيثم وليس السير فرانسس باكون هو مبتكر الطريقة العلمية، وإنه أدرك من دقائقها ما لم يدركه باكون، بل سما عليه سموًّا، وإنه أول من قال بأن الضوء لا ينتقل بالسرعة الآنية ولكن فى زمان، وأول من خطأ بطليموس فى القول بأن الإبصار يحدث بخروج شعاع من العين، يسقط على المبصر ثم يرتد إلى البصر فترى الصورة، فقال إن هذا شىء فى غاية الشناعة بل فى غاية الاستحالة إنك إذا رأيت نجمًا فى السماء خرج شعاع من العين فقطع هذه الآلاف والملايين من الأميال فسقط على النجم ثم ارتد إلى البصر فنرى الصورة، وأجرى تجربة بسيطة أثبت بها سرعة الضوء وأنه ينتقل فى زمان، وقد كنا سعداء عندما رشحه الاتحاد العلمى إلى جائزة الدولة التقديرية وكان أول من منح هذه الجائزة عندما رشحت لعضوية المجمع كان هو مقدمى، وعندما انتقل إلى رحمة الله كنت أنا مؤبنه، وقد

قلت كثيرًا عن شخصيته وأعماله وألمحت إلى أسباب استقالته، وفى نفس اليوم هاتفنى الدكتور كامل حسين، هكذا يؤبن مصطفى نظيف ولايستطيع ذلك إلا أنت، حقًا لقد كان مصطفى نظيف مثالاً يحتذى علمًا وخلقًا وشخصية وأدبًا واعتزازًا بالنفس والكرامة والرجولة والإباء والشمم والاستعلاء على صغائر الأمور، كنت أفخر بصداقته ويعتز بصداقتى وإنى لأعترف بأنه ممن علمونى.



الدكتور أحمد زكي:

عالم إلا أنه أديب، وأديب إلا أنه عالم، قرأت له فى شبابى ترجمته لرواية غادة الكاميليا، وشاء القدر أن أتتلمذ عليه فى كلية العلوم، وهو أستاذ فى الكيمياء العضوية، فإذا به أستاذ متمرس يغرس المعرفة فى فكر تلميذه وسامعه فى أسلوب متميز لا أظنه يتكرر كثيرًا بين المدرسين.

كان أحد أعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر، وكانوا يعقدون اجتماعًا أسبوعيًّا فى مقرهم بالدرب الأحمر قرب عابدين مساء يوم الخميس من كل أسبوع، يتبادلون الأحاديث ويناقشون موضوعات الساعة من علمية أو أدبية، وكنت أحضر بعض هذه الندوات لأستمتع بالآراء والأفكار والأحاديث بين نفر من جهابذة الفكر فى هذا العهد، وأذكر نقاشًا حول أحد الكتاب ممن يخالفهم البعض فى الرأى، فقال له أستاذنا لابد أن نفرق بين الريشة وصاحبها، فاللوحة ممتازة لا شك لا يضيرها نقص عند صاحبها، ثم نقل رئيسا لمصلحة الكيمياء وكان

مديرها قبله أجنبيًّا، ثم مديرًا للمركز القومى للبحوث، ثم مديرًا لجامعة القاهرة، ثم رئيسًا لتحرير مجلة العربى بالكويت، وكنت قد انتقلت مديرًا لجامعتها فى طور إنشائها، وكان الدكتور زكى من القلائل الذين أتشرف بزيارتهم ويتفضلون بزيارتى، وكنت أكتب بين الحين والآخر مقالات فى مجلة العربى[1]، كان يرحب بها أجمل ترحيب تحدثت إليه مرة فى موضوع الثقافة والمثقفين وكان أولو الأمر قد ميزوا الشعب إلى عمال وفلاحين ومثقفين وفئات أخرى، فكتبت مقالاً أفرق فيه بين المتعلم والعالم والمثقف، فالمتعلم أى شخص نال حظًّا من التعليم، والعالم تخصص فى جزئية يعرفها من القاعدة إلى القمة ويضيف إليها جديدًا، أما المثقف فأنا أشترط فيه عشرة شروط منها خمسة معرفة جيدة كلغته القومية ولغة أجنبية يطلع بها، ودينه، وتاريخ وطنه وأنه يكون له تخصص يسعى إليه فيه، أما الخمسة الأخرى فمعرفة عامة بالعلوم والفنون، والحضارات والفلسفات والأحداث الكبرى فى التاريخ، فقال لى إنك ترسم نفسك قلت لا لست منهم، قال إذن هو أملك، قلت ربما، وكان يقول لى إنى كلما غضبت من القوم وفكرت فى ترك العربى، رشحتك لرئاسة تحريرها وما زلت أذكر جلساته وزياراته الكريمة لى فى منزلى بالكويت، وعندما تركت وظيفة مدير الجامعة، وغادرت الكويت، كان هو الوحيد الذى شرفنى بتوديعى فى المطار، على حين كان استقبالى فى الصالة الكبرى للزوار بعدد من كبار موظفى وزارة المعارف، وما أظن أحدًا من قراء مجلة العربى ينسى مقالاته وبحوثه الرائعة وتصديه للمشكلات الكبرى فى غير ما هدف إلا مصلحة الوطن العربى وقطانه من حرية وكرامة وسعادة.

---

(١) جمعتها مجلة العربى، ونشرتها فى كتاب بعنوان «العلم فى حياة الإنسان» أصدرته فى أبريل سنة ١٩٨٤م.

لا شك أن كل من تتلمذ على الدكتور زكى فى الكيمياء، قد أحب الكيمياء كعلم، وأذكر أن الدفعة التى درست على يديه، عندما سئلت قبيل التخرج عن المادة والعمل الذى يحب أن يمارسه بعد تخرجه فكان ما يقارب الإجماع من الطلاب يحبون الكيمياء ويتمنون أن يكونوا كيميائيين لقد غرس فيهم الدكتور زكى حب المعرفة وحب الاطلاع والثقافة العالية والأدب الرفيع، وكذلك كان حظ جيلنا المتميز فى أن نتتلمذ على الدكتور زكى وأمثاله من القدوة الحسنة فى العلم والأدب والخلق فقد كان حقًّا متعدد المواهب.



الدكتور محمد كامل حسين:

طبيب عالم وأديب واسع الثقافة، كان أول مدير لجامعة عين شمس عند إنشائها، وكان لديه عميدنا آنئذ الدكتور كامل منصور، وإذا به يهاتفنى أن المدير معجب بكتابتى وأنه يقرأ لى وأنه يهنئنى على هذا التقدير، ثم كان لقاؤنا فى مجلس الجامعة ثم فى مجلس المجمع، قدمنى مرة للدكتور طه حسين وكان وزيرًا للمعارف على أنى «مناكف» فقال له الدكتور طه حسين «أتقول لى»؟ عرض مرة على مجلس الجامعة توزيع مبلغ إضافى للميزانية قدره أربعون ألف جنيه فقلت إن كلية العلوم أولى به، لقد بدأنا من الصفر المطلق، ولم نتحرك منذئذ، فتساءل عمداء الآداب والحقوق عن الصفر المطلق، فقلت لهم إنه غير الصفر الذى تعرفونه إنه ينقص عنه ٢٧٣ درجة، وانتهى النقاش بأن حصلت كلية العلوم على اثنين وعشرين ألفا من هذا المبلغ، وقبيل انتهاء السنة المالية كان لدى بعض الكليات فائض، فقلت إن لدينا عددًا آخر من مجموعة البحوث العلمية، فكان يحول فائض

الكليات للإنفاق على المطبوعات العلمية للكلية، فكنا نصدر عددين فى السنة بدلاً من عدد واحد، ولا أنكر أن ذلك كان بتعاطف من الدكتور كامل حسين والأستاذ مصطفى نظيف على كلية العلوم وعددها. قلت له مرة فى مجلس الجامعة متى تعالجونى؟، قال مم تشكو؟، قلت من تنمل فى أصابع يدى اليمنى، قال أعرفها، زرنى فى العيادة فى الساعة الرابعة فذهبت إليه، فإذا به يدخل رأسى فى حبل ويدير بكرة، لترفع رأسى، ويقول هل استرحت فأجيب لا، فيزيد من رفع البكرة فقلت له هل ستكون «عشماوى؟» قال حظك سىء، وأمر الممرضة أن تأخذ صورة لرقبتى بالأشعة وأرانى الصورة فإذا هى كما قال لى قبلاً الفقرة الخامسة تضغط على الفقرة السادسة، فتؤثر على الأعصاب، وقال لى خذ خمس جلسات من أشعة «إكس»، فقابلته بعد ذلك فى المجمع، فقلت له متى يشتد ساعدى؟ قال عندما يشتد سترمينى، قلت معاذ الله عندما يشتد سآخذك بالأحضان شكرًا وتقديرًا أما إذا ما اشتد كما يقول الشاعر فإنه للرماية لا للأحضان «فنصحنى أن آخذ جلستين أخريين، وبهما تم الشفاء بفضل الله، سأل عنى مرة ومرات فى المنزل وفى الكلية، وفى المجمع، وتصادف أن لم يتم اللقاء، فعندما لقيته سألته ماذا فى الأمر، فقال إن مقالك فى مجلة الجديد أحسن ما كتبت، وكان فيه بعض قصص خلاصتها الإشارة إلى الحديث الشريف «اتق شر من أحسنت إليه» فقلت فيه لو لم يكن لمحمد بن عبد الله ﷺ إلا هذا الحديث لكفانى للإيمان بصدقه بلا حدود، ذكرت فيه بعض مساعداتى لبعض الناس، فكان رد الفعل هو الإنكار والتنكر، كما ذكرت حادث قطار الصعيد الذى انقلب بنا عند العياط، فكتبت إلى محافظ الجيزة، فإذا به بعد شهرين من الحادث يهاتفنى الشويش عبد العال من قسم الدقى بإشارة تلفونية نصها كالآتى «يتنبه على المذكور أن يتوجه إلى محطة العياط للتعرف على الأشياء المفقودة «فكان أسفى وألمى لهذه

المكالمة من سعادة المحافظ أشد من آلامي وجراحي، وكان سؤال الدكتور كامل حسين وزيارته وسؤاله عني وكذا الدكتور طه حسين مما خفف من وقع الحادث:

عرض مرة فى المجمع تخفيف قيود تمييز العدد لكثرة الأخطاء فيها، وكان المجلس قد أخذ قرارًا بالموافقة على اقتراحه ولم أكن موجودًا بتلك الجلسة، ولما حضرت فى اليوم التالى، وقبل الموافقة على محضر الجلسة، ناقشت الموضوع وعارضته بشدة، وقلت إننا هنا للمحافظة على سلامة اللغة العربية، وألغى قرار اليوم السابق، وتفضل بإهدائى الكثير من مؤلفاته وأعجب بتأبينى للمرحوم الأستاذ نظيف، وقال هكذا يؤبن مصطفى نظيف، ولا يستطيع ذلك سواك، وكان يرد على قولى إنهما شيخىّ، بأن نظيف هو شيخنا معًا. وحذرنى من تكرار هذا التعبير أمام بعض العرافين الذين يكرهون الشيخين.



أحمد حسن الزيات:

لا أظن أن أحدًا من جيلنا ينكر تأثره بأسلوب الأستاذ الزيات ومجلته الرسالة التى أصدرها على مدى عدة أعوام، وإنى لأعترف بأنى فى جمعية خريجى كلية العلوم أصدرنا مجلة «رسالة العلم» على أمل أن تكون فى العلم على مستوى الرسالة فى الأدب، فكنا نتلهف على قراءتها كل أسبوع، حتى لنضن بثمنها على أى شىء آخر لاقتنائها والانتفاع بها، وكم كانت فجيعتنا ونحن نقرأ يومًا فى الأهرام مقالاً للأستاذ الزيات بعنوان الرسالة تحتجب، وكنت أنشر بها بعض مقالاتى بعد أن احتجبت السياسة الأسبوعية، حتى لقد اقتنيت جميع أعداد الرسالة، وعندما صدرت مرة أخرى لعدة أعوام فرحنا بها فرحًا شديدًا - فقد عاد الأستاذ الزيات بقلمه البليغ وأسلوبه الموسيقى الجميل ليغذى عقولنا ونفوسنا وأرواحنا، ولكن من أسف أن احتجبت الرسالة مرة أخرى وبلا عودة، ولا أظن أحدًا ينسى مقالاته «لقد جعلناكم أمراء» وبحوثه الأدبية الممتازة وأسلوبه الموسيقى الرقيق، ولو أنى أعترف أنى لم يعجبنى قوله عندما منح جائزة الدولة التقديرية

«لقد جاء موسى بالتوراة، وجاء عيسى بالإنجيل، وجاء محمد بالقرآن، وجئت على قدر بالميثاق». وعندما أصبح رئيسًا لتحرير مجلة الأزهر رحب بمقالاتى فيها أجمل ترحيب، وإنى لأعترف بأفضاله فى تغذية الأدب العربى بأسلوبه الأخاذ الجميل.



أحمد أمين:

كاتب أدبى ممتاز، ومؤرخ محقق لعصر النهضة الإسلامية، وكتبه فجر الإسلام وضحى الإسلام لا تحتاج إلى تعليق، وإصداره لمجلة الثقافة فى ثوبها الرائع يستحق كل التقدير، ومازلت أذكر تعليقاته فى ندوة لجنة التأليف والترجمة والنشر وكان يلخص ما يتطرق إليه المتحدثون من موضوعات لتظهر فى نفس الأسبوع فى مجلة الثقافة، وتحمل خلاصة ما ذكر من آراء، وما روى من أحداث بأسلوب المحقق المبدع الأمين فى الرواية والإصدار، وكان لكتابته الممتازة أثرها الرائع على شباب جيلنا ممن تأثروا إلى أبعد الحدود بما يسمعون وما يقرأون لأمثال الأستاذ أحمد أمين من عباقرة الجيل.



عباس محمود العقاد:

عملاق آخر من عمالقة الفكر والأدب، ومقالاته السياسية والأدبية أكثر من أن تحصى، وكتبه الدينية الإسلامية لا تخفى على جيلنا وسعة اطلاعه حتى فى العلوم والنبات والكيمياء والطب والفلك وما إليه، ناقشنى مرة فى المجمع قائلاً إنه يعرف فى النبات، كما ناقش غيرى إنه يعرف فى الطب، ولا مراء فى أنه قارئ وكاتب ومفكر من الطراز الأول، واسع المعرفة والاطلاع بشكل موسوعى لا أعرف له نظيرًا، وكان فى رأيى مثال المثقف من الطراز الأول، وربما كانت مسألة عدم حصوله على شهادات دراسية أو جامعية معينة هى العقدة، سمعته مرة يقول يظهر أنه لأنى لست دكتورا سأمضى وتوجه خارجًا من جلسة المجمع، فناداه أستاذنا المرحوم لطفى السيد اقعد يا شيخ، ولكنه ترك الجلسة، ربما كانت طريقته فى عرض الأمور، على أن ما يراه هو الصواب ولا صواب سواه، وذلك هو الواقع غالبًا، كما كان دخوله فى تفاصيل لا يعرفها إلا المختص، بما يثير بعض

الجدل إلا أن الذى لا مراء فيه أن العقاد أمة وحده فى مجال المعرفة والثقافة والأدب.

* * *

وبعد فهذا تقديم موجز لنفر من أكارم وأفاضل من علمونى، ولا جدال أن غيرهم كثير من أمثال عزيز أباظه الذى قال فىّ شعرًا[1] كريمًا وكذلك غير هؤلاء من الكتاب والأدباء والعلماء ممن قد يرد ذكر بعضهم فى هذه الذكريات وممن اعترف لهم بالفضل.

(١) نص قصيدة «رسالة العلم» للشاعر الكبير الأستاذ محمد عزيز أباظة والتى حيا بها مجلة «رسالة العلم» بمناسبة بلوغها العام الأربعين من عمرها - منشورا بالصفحات ٨٧، ٨٨، ٨٩.

٢ - فى رحاب مجمع اللغة العربية

فى شتاء سنة ١٩٤٦م قرأت فى جريدة الأهرام خبرًا يقول إن مجمع اللغة العربية قد ألف لجنة لألفاظ الحضارة الحديثة: لاحظت أن جميع أعضائها من رجال الأدب واللغة وخطر لى أن أكتب إلى رئيس المجمع أن مثل هذا التكوين ينقصه أعضاء من المتخصصين فى العلوم المختلفة لأن الحضارة الحديثة قامت على أكتاف العلم، وكيانها على أغلب الأمر، وفعلا كتبت خطابًا إلى أستاذنا المرحوم أحمد لطفى السيد رئيس المجمع آنئذ، قلت له فيه: إن الحضارة الحديثة أساسها العلم، ولا يستطيع أن يعطى المدلول الحقيقى لكلمة فى العلم، إلا من مارس استعمالها من المتخصصين، وأضفت، كم أحب أن تعلموا يا رجال الأدب، أن رجال العلوم لا يقلون عنكم غيرة على اللغة، وفى نفس اليوم كنت أتناول الغذاء مع المرحوم الأستاذ محمد العشماوى وكان وزيرًا للمعارف، عرضت عليه الخطاب فاعترض على قولى سيدى معالى الأستاذ «أحمد لطفى السيد» بقوله إنه يناديه بقوله «سيدى وأستاذى» فأعدت كتابة الخطاب مضيفًا كلمة أستاذى وأرسلت الخطاب بالبريد العادى، وبعد أيام وصلتنى دعوة من أستاذ الجيل، محددًا لى موعدًا للقائه بالمجمع، وكان فى شارع القصر العينى وذهبت فى الموعد المحدد، ودخلت على معاليه قائلًا: السلام عليكم.. فرد قائلًا: وعليكم السلام جاى تناكف فى إيه تانى - قلت أستغفر الله يا معالى الباشا فأجاب استغفر كيف تشاء، يمكن يغفر لك، وكان بذلك يشير إلى عدد من الاجتماعات والندوات والمناظرات، التى كنت أشارك فيها، كان

يشرفها بالحضور إن فى كلية العلوم بالعباسية أو كلية العلوم بالجيزة أو فى قاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة، كان يرأس هذه الاجتماعات وكانت له تعليقات بارعة فقد كان يسعده أن يرى من أبناء جيلنا من يشاركون فى هذا النشاط الأدبى والاجتماعى.

ثم التفت إلى أستاذنا المرحوم أحمد أمين، وكان يقتعد مقتعدًا قريبًا من مكتبه، وقدمنى إليه قائلاً: ألا تعرف فلانًا يا أحمد بك، لقد سمعته فى كم مجادلة، وكم محاضرة، فأعجبنى واستخسرته فى كلية العلوم.

وكان أستاذنا أحمد أمين، يراجع نص الخطبة التى يلقيها أستاذنا لطفى السيد فى حفل افتتاح المدينة الجامعية، بين يدى جلالة الملك وتساءل أستاذنا لطفى السيد موجهًا حديثه إلى الأستاذ أحمد أمين... هل الخطبة وافية بالغرض ؟ وهل ليس فيها ما يستحق التعديل ؟ ولما أجيب بأنها وافية وليس فيها ما يستأهل التعديل، تساءل مرة أخرى... هل فيها ملق كفاية فضحكت أنا بصوت عال، فوجه حديثه إلىّ قائلاً: إن الملق لولىّ النعم ما هو إلا شكر، وأن الرجل الذى عمل على إنجاز المشروع، الذى نادينا به منذ عشرين عامًا وتبرع له بمائة ألف جنيه لا أقل من أن تشكره فأمنت على كلامه، خاصة وأنا أعلم أنه كان ينادى، بأن إنشاء المدينة الجامعية أهم من إنشاء إحدى الكليات الجامعية، لأن للمدينة الجامعية دورها الكبير فى خلق الروح الجامعية، وإشاعة الروح العلمية بين الطلاب، وأننا لا ينقصنا العلم، وبقدر ما تنقصنا الروح الجامعية، والروح العلمية فكل من أسهم فى إنجاح المشروع، وإخراجه إلى حيز الوجود، جدير بالحمد والشكر والثناء.

ثم وجه حديثه إلىّ قائلاً. «جوابك عجبنى، وأنا غلطان، وأنت معك حق» هكذا قال فى بساطة العظماء، وعظمة العلماء...

قلت لمعاليه، ينبغى تأليف لجان من المختصين فى الطب والهندسة والكيمياء والجيولوجيا والأحياء، وما إليها من علوم وفنون، هم الخبراء المتخصصون الذين يقومون بتعريف المصطلحات وألفاظ الحضارة، تعريفًا علميًّاثم يأتى دور اللغويين، فى وضع الصيغ الصحيحة، والتغييرات اللغوية الدقيقة. فأجاب معاليه اقترح ما تشاء من أسماء. قلت لمعاليه، معاليك أبو الجامعات وأدرى برجالها. قال: دعك من هذه الديباجة ما ستقترحه سينفذ.

وكان أول الأسماء التى خطرت لى اسم أستاذنا المرحوم الدكتور محمد ولى قال: إنه عجّز، ونحن نريدكم يا شباب أن تحملوا الأمانة فذكرت له عددًا من أسماء الأساتذة المختصين فى فروع العلم المختلفة تكونت منهم لجان كثيرة على هيئة خبراء، على أن يكون بكل لجنة عضو أو أكثر من أعضاء المجمع، تجتمع هذه اللجان فى أوقات محددة بدار المجمع، يناقشون ما يعرض عليهم من مصطلحات وألفاظ ومستحدثات فى العلوم المختلفة، ثم تعرض قرارات هذه اللجان على المجمع فى جلسته الأسبوعية التى تعقد عادة يوم الاثنين من كل أسبوع من الساعة الحادية عشرة حتى الساعة الواحدة ثم تعرض قرارات المجلس على مؤتمر المجمع، الذى يضم أعضاء من البلاد العربية المختلفة، مرة كل عام مدى أسبوعين فكان مرور المصطلح فى هذه المراحل الثلاث، كفيلاً بحسن صقله وكمال صياغته وصحة مادته وأسلوبه.

وكان أستاذنا لطفى السيد حريصًا على حضور هذه الجلسات فى مواعيدها حتى بعد أن نيف عمره على التسعين، وكنت تستطيع أن تضبط ساعتك على ولوجه باب قاعة المجلس، متوكئا على عصاه، فإذا هى الحادية عشرة تمامًا وفى إحدى الجلسات، وكنت أقوم بعرض المادة على المجلس،

وقبيل الواحدة بدقائق لا تزيد على العشر قال أحد الأعضاء، إن فلانا قد تعب أفلا ترى يا معالى الرئيس رفع الجلسة، وأغلب الظن أن الزميل قد رأف بحال الرئيس، أكثر من رأفته بحالى، ومع ذلك رد معاليه قائلاً أتعب !!

وأنا لم أتعب.. استمر وأصر على ألا يرفع الجلسة إلا فى الواحدة تمامًا وكذلك كان لطفى السيد، وكذلك هم عظماء الرجال...

٣ – خوار العود

فى إحدى جلسات المجمع وكنت أعرض مصطلحات فى علم النبات وجاء ذكر نبات الأسل فقلت عنه إنه نبات خوّار العود أريد أنه ضعيف وخرع فصاح أستاذنا المرحوم على الجارم قائلاً، كيف تقول ذلك، والعرب كانت تصنع منه الرماح، فقلت لا إنه لا يصلح لهذا الغرض. فقال أستاذنا لطفى السيد، نعم لقد قال طرفة بن العبد كأن رماحها أسل، فقلت إليه هذا مجرد تشبيه، وهو تشبيه غير تام، لأن النبات أملس ومخروطى ومذبب الطرف يشبه الرمح أو الحربة، ولكنه ليس متينًا فسحب أستاذنا على الجغرم لسان العرب وقرأ مادة «أسل» وإذا بصاحب اللسان يقول عن الأسل أنه خوار العود «وهو نفس التعبير الذى نقلته عنه، فقفل المعجم وردد بأسى» يظهر أن الشعراء لا يعرفون لغة، فعلق أستاذنا الدكتور طه حسين قائلاً: لا تزعل يا على بك، إن اللغويين كذلك لا يعرفون الشعر.

٤ – مسننة

وفى الجلسة نفسها عرضت مصطلحًا يصف ورقة النبات المشرفة الحافة بكلمة «مسننة» فاعترض أستاذنا الدكتور طه حسين قائلاً: قل مضرسة

فقلت أخشى أن يلتبس الأمر على القارئ أو السامع، إنى أعنى نوعًا معينًا من السن وهو الضرس، لأن كل ضرس سن، وليس كل سن ضرسا قال: لا تشتق من الاسم الجامد وهو «سن» قلت لقد أجاز المجلس ذلك عند الضرورة.

فتساءل أستاذنا لطفى السيد «رئيس المجمع ماذا تقولونها فى المدرسة؟ فقلت نحن نقول مسننة. قال: خلاص مهمة المجمع أن يسجل ما تقوله المدرسة. فصاح أستاذنا طه حسين قائلًا، يا باشا.. أجاب الرئيس نعم قال: مهمة المجمع أن يسجل ما تقوله المدرسة صحيحًا. ثم أخذت الأصوات فرجح الجانب الذى يوافق على كلمة مسننة. فقال معالى الرئيس: وأنا كمان مع منتصر أوافق على مسننة ترجمة لكلمة (Toothed).

٥ – هذا من فعل الأعاجم

المكان: نادى محمد على المسمى الآن نادى التحرير، ويحتفل أعضاء المجمع بالعيد التسعين لرئيسه أستاذنا لطفى السيد ونحن نجلس فى قاعة الانتظار ويتوافد الأعضاء واحدًا بعد الآخر، وقد جلس أستاذنا لطفى السيد على مقعده وكنت أجلس عن يمينه وأستاذنا المرحوم زكى المهندس عن يساره، وكلما دخل القاعة أحد الأعضاء وقف لطفى باشا ليسلم عليه ثم يجلس، وأرهقته هذه الحركات المتتابعة وجعل يتصبب عرقًا ويقول: لقد ظلمت نفسى وأنتم ظلمتونى بإصراركم على إعادة انتخابى رئيسًا، فقال الأستاذ زكى المهندس إنك يا معالى الباشا بركتنا وجهودك فى المجمع مشكورة مذكورة.. فالتفت إلىّ لطفى باشا قائلًا أظن هذا الكلام يعجبك، فقلت يعجبنى جدًا، ونحن بخير ما دمت بيننا.

ثم حضر أستاذنا طه حسين فتركت له مقعدى ليكون بجوار الرئيس، ولاحظ كثرة قيام وقعود لطفى باشا، مما أجهده جدًّا وكأنما أحس أستاذنا طه حسين بذلك، فقال «يا باشا هذا من فعل الأعاجم» يريد الوقوف للاستقبال والسلام على الداخلين.

٦ - حرية الرأى التى علمتنا إياها

فى سنة ١٩٣٨ م، أعلنت وزارة المعارف عن مسابقة فى التأليف العلمى وحصلت فى هذه المسابقة على «جائزة التفوق العلمى» وأقامت وزارة المعارف حفلًا لتوزيع الجوائز، وطلب إلىّ أن ألقى كلمة فى الحفل فى قاعة احتفالات الجامعة وكان يحضره معالى أستاذنا لطفى السيد بوصفه مديرًا للجامعة ومعالى الدكتور هيكل بوصفه وزيرًا للمعارف، ومعالى الأستاذ محمد العشماوى وكان وكيلًا للمعارف، وألقيت كلمة أمام ميكروفون مذاعة على الهواء، شكرت فيها وزارة المعارف، وأنحيت باللائمة على الجامعة التى كان يجب أن تتبنى مثل هذه المسابقات، وقلت: إن الجامعة على نقيض ذلك منحت مجلة رسالة العلم التى تصدرها جمعية خريجى كلية العلوم مبلغ ثلاثين جنيهًا، منحتها عامًا ثم أوقفتها أعوامًا، فكيف يكون تشجيع البحث العلمى والتأليف العلمى إذا لم ترعه الجامعة وكانت لهجة خطابى عنيفة وبعد الحفل قال لى لطفى باشا بلهجة آسف أهكذا تهاجم الجامعة، قلت له إن هذه هى حرية الرأى التى علمتنا إياها يا معالى الباشا، فانفرجت أساريره ولم يعقب، وفى صباح اليوم التالى أبلغت المرحوم الدكتور مشرفة وكان عميدًا للكلية، فاقرنى على ما قلت، على أنه استدعانى بعد يومين، وقال لى: إن لطفى باشا أبلغه أن الدكتور منتصر قد هاجم الجامعة فى وجود غير الجامعيين، فإذا كان هذا يرضيك فأنا راضى، وإذا كان

لا يرضيك فأنا غير راض، وقد جعلتك حكمًا ورضيت حكمك فأجبته لقد أبلغتك ما حدث وقد أقررتني عليه، فقال رحمه الله: إن لطفى باشا لا يغضب من حرية الرأى أبدًا، وكنت فى إحدى جلسات مجلس الجامعة قد احتديت وتكلمت بلهجة جافة - وفى ثانى يوم جاءنى المرحوم على بك عمر وكان سكرتيرًا عامًّا للجامعة، وقال إن لطفى باشا متأثر من لهجة نقاشك وأنه يقول إنه فى حياته لم يحدثه أحد بهذه اللهجة، ففكرت فى أن أذهب لأعتذر له وفعلا قابلته وقلت له إنى آسف لما بدر منى - فقال بالعكس إنه ليسعدنى ويسرنى أن أراكم بهذه الصراحة وهذه القوة والحرية والشجاعة أما الجائزة وكان مقدارها سبعين جنيهًا مصريًّا، فقد وجدت أن الشيك الذى سلم لى فى الحفل كان مقداره ثمانية وثلاثين جنيهًا وكسورًا من أصل أربعين جنيها، وبعدها بأشهر كان قد أقيم حفل آخر فى الكلية، حضره أستاذنا المرحوم طه حسين، وكان مستشارًا بوزارة المعارف ومديرًا للثقافة والمرحوم حسن باشا صادق، وكان وزيرًا للمالية فأسررت إلى أستاذنا الدكتور طه حسين بقصة الشيك والمكافأة، فقال عندك حسن باشا صادق وزير المالية، فقلت له ليس من حقى أن اتصل بغيرك - وبعد أسبوع وصلنى شيك آخر بمبلغ عشرة جنيهات.

أما العشرون جنيها الأخرى فقد ظلت حبيسة إدارة الثقافة عشرين عامًا وكل من ولى هذه الإدارة أرسلت له خطابًا أذكره بالمبلغ من أمثال المرحومين الدكتور عوض، والأستاذ أمين الخولى.

إلى أن وليها الدكتور حسين مؤنس، فأمر بصرف المبلغ فوصل الشيك ذو العشرين جنيهًا واضعًا حدًّا لتلك القصة أما كتاب حياة النبات «موضوع المسابقة، فإنه لم ينشر حتى الآن بل لازال محفوظًا فى أضابير الوزارة ولما أردت أن استعيده لنسخه، ختمت الإدارة كل صفحاته لتعود الأصول كما سلمت لها منذ عشرين عاما، وكان لها ما أرادت.

٧ - زبانى

فى إحدى جلسات المجمع وأنا أعرض مصطلحات فى علم الحيوان وعرضت المصطلح antenna وكان يترجم إلى قرون الاستشعار، ولكنى فضلت استعمال كلمة «زبانى»، فإذا بأستاذنا لطفى السيد، يقول تمام كذلك قال «بشار بن برد» تجد فى كتاب الأغانى فى الجزء الثالث فى الغالب صفحة ٥٠ أو ٥٢.

كان بنى سدوس رهط ثور خنافس تحت منكسر الجدار تحرك للفخار زبانيبها، وفخر الخنفساء من الصغار، لقد كان ذا ذاكرة عجيبة أذكر أنا سجلنا له فى لجنة اللهجات حديثًا قال فيه، منذ ستين عامًا، كنت أعمل وكيلا للنيابة فى سوهاج واستمعت إلى مراجعة بين زوج وزوجة، ويروى المساجلة بين الزوجين كما سمعها بلهجة لا نفهم منها شيئًا، ثم يترجم ما قاله إلى اللغة العربية.

٨ - حِمْل أو حَمْل

وتحدثت مرة عن إحدى الثمار، فقلت إنها حمل شجرة كذا (بكسر الحاء) فسألنى أستاذنا هل هى حمل بكسر الحاء، أو حمل بفتحها، فقلت تكون الأولى اسما والثانية على أنها مصدر، فقال برنة إعجاب كذا.

٩ - دفاع عن العلم

فى سنة ١٩٣٤ م كنت معيدًا بكلية العلوم بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة) ونظم اتحاد الكلية مناظرة بين الدكتور طه حسين وأنا معه مدافعين

عن العلم، وبين الدكتور على مشرفة ومعه الدكتور إبراهيم عبده مدافعين عن الأدب واستدعانى الدكتور طه حسين فى مكتبه بكلية الآداب بالجيزة لأتفق معه على النقاط التى سنتناولها، ولأذكر له ما سأتناوله فى حديثى فقال رحمه الله المهم «أننا نلت معك شوية ونكسب». وفى أثناء حديثى فى المناظرة تهكمت على الدراسات الأدبية، وضربت مثلا يقول بشار فى المناظرة:

ربابة ربة البيت تصب الخل فى الزيت
لها عشر دجاجات وديك حسن الصوت

ويدور البحث حول صحة نسبة مثل هذا الشعر إلى بشار.

وقلت إن مقام الأدب عندى، مقام فنجان القهوة المتقنة الصنع أو السيجارة الطيبة النكهة، بعد أكلة دسمة لذيذة غنية بالبروتينات والسكريات والدهون التى تمثل الغذاء الحقيقى، وتساءلت فى أثناء دفاعى عن العلم قائلًا: دلونى على أمة رعت استقلالها ودافعت عن كيانها بشعر شاعر أو أدب أديب وقد رد الدكتور مشرفة على تساؤلى قائلًا، أنا أدلكم على ذلك الأديب وهو سعد زغلول، فهاج المدرج، وصفق الحضور طويلًا، فقد كان لاسم سعد فى ذلك الوقت رنينه فعلق الدكتور طه حسين قائلًا، هذه هى القنبلة التى يرتكن عليها لكن - ولو - ورد عليه....

١٠ - الجيل الحالى والجيل السابق

وفى مناظرة أخرى وكانت تجرى فى مدرج الطبيعة بكلية العلوم، وكنت رئيسًا للاتحاد ومسئولًا عن تنظيمها، وكانت للمفاضلة بين الجيل الحالى - ويدافع عنه الدكتور طه حسين والسيدة نظلة الحكيم، وبين الجيل السابق

ويدافع عنه الدكتور حسين هيكل والدكتورة عائشة عبد الرحمن، وجلست على المنصة بين الفريقين أدير المناظرة، وما أن وقفت الدكتورة عائشة حتي بدأت تهاجم الدكتور طه حسين وتذكر له رأيًا نشر فى الأهرام، هو عكس ما يدافع عنه اليوم فشعرت بارتباك أستاذنا الدكتور طه حسين، وقال لى هامسًا استعمل حقك يا حضرة الرئيس، وسكّت الست عائشة، فقلت له أيجوز لى أن أستعمل حقى فى حضور أستاذها. فقال «هى الست عائشة ستخلص الليلة»، قلت له تفضل بالرد بعد أن تنهى حديثها، وقد كان، فقال إن حديثها يدل على ما يتمتع به الجيل الجديد من حرية الرأى، وعلى التربية السليمة.

كانت هذه المناظرة ناجحة جدًّا وكان المدرج غاصًّا بالحضور، رغم أن الدخول كان ببطاقات خاصة، وكان بين الحاضرين أستاذ الجيل الأستاذ أحمد لطفى السيد.

١١ - ألحن بحجته

وفى مناظرة أخرى، وكانت فى كلية العلوم بالجيزة، وكانت أدافع عن الأدب ضد العلم، ورأس المناظرة أستاذنا المرحوم لطفى السيد وكان دفاعى عن الأدب قويًّا، حتى تساءل تلاميذى بعد المناظرة، أصحيح أنى مؤمن بقيمة الأدب إلى هذا الحد، فأجبت بما سمعته من أستاذنا المرحوم طه حسين حين دافع عن العلم ضد الأدب، فقال الآن خلعنا ثوب التمثيل فقد قلت إن الإسلام انتشر بأدب القرآن، وآياته البليغة الرائعة ﴿وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾ وإن مبادئ عصبة الأمم التى قال عنها كليمنصو ان فيها إطنابا لأنها تزيد على وصايا الله عشرا. وقد علق أستاذنا لطفى السيد

عقب المناظرة معجبًا بدفاعى عن الأدب قائلًا: إن فلانا كان ألحن بحجته».

وفى مناظرة أخرى وكانت فى قاعة الاحتفالات بالجامعة بالجيزة، وكان يرأسها كذلك أستاذنا المرحوم لطفى السيد «وكانت بين العلم والمال وقد أخذت جانب العلم، وكان النصر من نصيبى كذلك ولعل مثل هذه اللقاءات مع أستاذنا لطفى السيد هى التى أعطته انطباعًا حسنًا عنى، مما جعلنى أسعد بتقديره وعطفه طيلة أكثر من عشرين عامًا كنت فيها موضع عطفه ورعايته.

١٢ - مديرًا لجامعة الكويت

فى شتاء سنة ١٩٦٢/٦١ م اتصلت بى دولة الكويت عن طريق سفيرها فى مصر ثم عن طريق وكيل وزارة المعارف بها، أن أكون مديرًا لجامعتها التى تنوى إنشاءها وقابلت السفير فى السفارة، ثم زارنى بالمنزل هو ووكيل الوزارة، ولكنى كنت مترددًا أولا أتخيل أن أترك عملى فى الكلية والمجمع والاتحاد العلمى، والمؤتمرات العلمية، والجمعيات العلمية المختلفة التى أشارك فى نشاطاتها، وفى مجلة رسالة العلم التى تصدرها جمعية خريجى كليات العلوم، وأتولى رياسة تحريرها منذ إصدارها فى يناير سنة ١٩٣٤ م. وتوالت الاتصالات وأنا لا أقطع برأى إلى أن خطر لى أن أستشير أستاذنا لطفى السيد وكنت أجلس بجانبه فى إحدى جلسات المجمع، قلت له إنى أريد أن آخذ رأيكم فى موضوع خاص، قال تفضل، قلت إن الكويت تطلبنى مديرًا لجامعتها المنشأة، فرجع برأ إلى الوراء قليلًا وبعد برهة قال تقبل قلت ولكن عملى هنا سوف يتأثر إلى حد كبير فأجاب «عملك هناك نفع عام وعملك هنا عمل خاص والعام يجب الخاص»، فاعتبرت رأيه أمرًا

ووافقت وبعد أيام كنت فى طريقى للكويت لألقى أميرها ووزرائها، ولأجد كل ترحيب وتقدير ولأبدأ فى دراسة المشروع وإعداد طلبات الأجهزة والمعامل والمكتبة والمبانى واللوائح وما أشبه وللحقيقة والتاريخ أذكر أنى عندما ذكرت رأى أستاذنا لطفى السيد إلى الأستاذ مصطفى نظيف أجاب الأخير وهل عملك هنا ليس نفعا عاما؟.

١٣ - حادث فى قطار الصعيد

فى الثالث من أبريل سنة ١٩٧٠ م استقللت قطار الساعة الثانية عشرة ظهرًا المتجه إلى الصعيد لأكون فى المنيا فى الساعة الثالثة والنصف فأحاضر طلبة البكالوريوس فى كلية التربية حتى السادسة والنصف، ثم لأستقل قطار الصعيد مرة أخرى إلى أسيوط حيث أبيت ليلتى، لأحاضر طلبة البكالوريوس فى الصباح لليوم التالى حتى الواحدة والنصف، ثم لأستقل القطار المتجه إلى القاهرة فى الرابعة والنصف. ذلك كان برنامجى طيلة هذا الموسم من السنة مرة فى كل شهر.

لكن القدر كان قد أعد لى برنامجا آخر لم يخطر لى على بال ففى نحو الواحدة بعد الظهر وكان القطار قد وصل إلى محطة العياط وكنت فى عربة الأكل أتناول طعام الغداء، وأنهيت الطبق الأول وأمرت بالثانى، وكان فى العربة نحو عشرة أشخاص يتناولون غذاءهم، وإذا بهزة عنيفة تقلب أربع عربات من القطار وإذا بالمقاعد والموائد ركامًا وحطامًا وإذا بالعربة ثلاثة أشخاص فقط يتحركون ويألمون وينزفون دمًا أحدهم وهو السفرجى يقول إن موقد الغاز مشتعل وإذا انفجر فسنكون فحمًا، وإذا بالثانى يقول أين خطيبتى، لقد كانت تتناول الغداء معى. أما ثالث الثلاثة فهو أنا.

لقد انقلبت العربة على جانبها، وغدت نوافذها المغلقة سقفًا لها وتجمع فى جوف العربة حطام الموائد والكراسى، ويطفو على هذه وتلك الثلاثة الركاب الباقون على قيد الحياة، وكل منهم يئن من جرح ينزف دمًا أو رضوض شديدة فى العظام، أو آلام مبرحة من آثار الصدمة العنيفة.

تقدم السفرجى، فنزع إحدى أرجل مقعد من المقاعد المحطمة وحطم زجاج النافذة، التى غدت فى سقف العربة، وتسلقنا واحدًا بعد الآخر لنخرج من العربة وننجو بأنفسنا تاركين كرهًا ما كان معنا من متاع من حقائب أو محافظ نقود أو ساعات أو نظارات لأنه لم يكن ثمة وقت أو قدرة للبحث عنها بين الحطام والركام.

وقفت فى عرض الطريق أستوقف أى سيارة تاكسى لتنقلنا إلى أقرب مستشفى وتحقق الحلم بعد دقائق لنكون بمستشفى البدرشين بعد نحو نصف ساعة ولكن من أسف لم يكن بالمستشفى طبيب واحد ليستقبل هذه الحالات فتطوعت إحدى مساعدات الممرضات بإجراء اللازم من تنظيف للجراح وخياطتها وضمادها ولكن لم أكن مطمئنًا إلى ما تم إنجازه على يديها فسارعت إلى تاكسى آخر لأكون بالمنزل فى نحو الثانية بعد الظهر ولأدخل فى حالة يرثى لها معصوب الرأس ممزق الثياب مهلهلة الإهاب استدعيت أحد الأطباء تليفونيًا الذى حضر مشكورًا على عجل وأمر بنقلى إلى مستشفاه الخاص، ليعيد تنظيف الجروح، وخياطتها وضمادها ولأعود إلى المنزل بعد هذه الجولة السريعة بين محطة القاهرة ومحطة العياط ومستشفى البدرشين ثم الدقى ثم مستشفى الدكتور عجايبى بالزمالك ثم المنزل مرة أخرى ولما تبلغ الساعة السادسة مساء كان القدر قد أعد لى هذه الرحلة العجيبة التى لم تكن تخطر لى على بال بدلا من محطة المنيا بكلية التربية فقاعة المحاضرات ثم عودة إلى محطة المنيا فالقطار إلى

أسيوط ثم المحاضرات فى جامعة أسيوط ثم عودة إلى القاهرة فى مساء اليوم التالى.

فى صبيحة اليوم التالى نشرت الصحف حادث قطار الصعيد وأرسلت خطابًا مسجلاً لسعادة محافظ الجيزة أنبئه بما وقع لى، وأنى كنت أحد ركاب هذا القطار وأنى فقدت حقيبتى وساعتى ونظارتى وإلخ، كما أبلغت مجمع اللغة العربية الذى أرسل رئيسه أستاذنا المرحوم الدكتور طه حسين برقية يستفسر عن صحتى ويتمنى لى الشفاء وقد وصلت البرقية بعد يومين كاملين أما رد سعادة المحافظ فجاء بعد شهرين كاملين على صورة إشارة تليفونية من الرقيب عبد العال أبلغها إلىّ تليفونيا وطلب إلى الحضور للتوقيع باستلامها وكان نصها كالآتى:

«ينبه على المذكور أن يتوجه إلى محطة العياط ليتعرف على الأشياء المفقودة».

١٤ - الآدمية المهدرة

لقد كانت آلامى لهذه الآدمية المهدرة، ولمظاهر التسيب والإهمال البادية فى مرافقنا أضعاف آلامى من جراحى، وفى الحق إنها لمأساة أن تكون الأمور على هذا النحو المهدر لكرامة الإنسان.

لقد التأمت الجراح الجسدية ولله الحمد ولكن الجراح النفسية لم تلتئم أبدا وما زلت عندما أذكر هذه الأحداث وأشباهها يعتصرنى الألم أن تتدنى الأمور إلى هذا الحد وأن تهون إنسانية الإنسان على أخيه الإنسان إلى هذه الدرجة، ومع معرفة المسئولين بما حدث ونشرهم عن التعويضات وما إليها فإنى أقرر للحقيقة والتاريخ أن شيئًا من ذلك لم يحدث قط وهاأنذا أسجل

للتاريخ وقائع هذا الحادث الذى ترك فى نفسى آثارًا بالغة الأسى والألم وإن كنت أحمد الله على كريم عطفه وعنايته ورعايته أن لطف بى فى قضائه وأسبغ على نعمه ظاهرة وباطنة ووقانا سيئات ما حدث إنه نعم المولى ونعم النصير.

١٥ - الضائع من الموارد العلمية

فى ربيع سنة ١٩٥٤ م دعتنى الجامعة الأمريكية ببيروت، لإلقاء محاضرة موضوعها «الضائع من الموارد العلمية فى البلاد العربية» على أن تستضيفنى أسبوعًا أشارك فى مؤتمر يبحث فى الضائع من الموارد الاقتصادية والصحية وكان على أن أقوم بدراسة تليق بالمناسبة ففكرت فى توجيه عديد من الأسئلة حول هذا الموضوع إلى المسئولين فى البلاد العربية، مثل سوريا والعراق ومصر والكويت ولبنان والسعودية وغيرها.

وكانت تساؤلاتى تدور حول أعداد المدارس وأعداد الطلاب والموارد والوظائف والخريجين والجامعيين والمهنيين وخريجى المدارس الزراعية والصناعية وعدد السكان وزيادة المواليد على الوفيات فى كل سنة وهالنى أن عدد الأميين فى ازدياد وما ذلك إلا لأن عدد المواليد يزيد كثيرًا على عدد الوفيات وأن عدد المدارس التى تفتح كل عام لا تفى بالحاجة فكانت النتيجة أن هناك رصيدًا من الأمية يضاف إليه كل عام حتى حدث تضخم فى الأمية بالإضافة إلى الأميين الكبار.

وتحدثت عن محو الأمية والتعليم الابتدائى والثانوى والمهنى والجامعى والبحث العلمى وما إلى ذلك من شئون تتصل بالموارد العلمية، وأذكر أنى ناقشت بعض الزملاء فى الموضوع، فهالتهم النتيجة وهالهم أكثر أنى

سأعرض نفسى للخطر، إذا أنا قلت هذه الحقائق فقد كانت الزيادة فى المواليد نحو ثمانمائة وخمسين ألفا كل عام فى مصر وحدها على حين أن عدد الذين يلتحقون بالمدارس لا يتجاوز ثلاثمائة وخمسين ألفا، فمعنى ذلك أن هناك نحو نصف مليون أمى يضافون سنويا إلى رصيد الأمية، وكذلك ارتفعت نسبة الأمية من ٥٠٪ إلى ٦٠٪ ثم إلى ٧٠٪ إلى ٨٠٪ فى نحو عشرين عامًا، وكان المسئولون قد أعلنوا أنهم سيبنون مدرستين كل ثلاثة أيام وما أظن ذلك قد تحقق أبدًا.

لقد أعلنت هذه الحقائق ونشرتها، كما أعلنت ضرورة العناية بالتعليم المهنى، حيث أن بلادنا العربية فى مسيس الحاجة إلى الفنيين والمهنيين أكثر من حاجتها إلى الجامعيين ولكن الدولة أسرفت فى افتتاح الجامعات وغدت جامعاتنا توصف بأنها جامعات الأعداد الكبيرة وذلك لعدم توافر الإمكانات الضرورية من معدات وأجهزة وأدوات ومكتبات ودوريات - وزاد إقبال شبابنا على التعلم الجامعى، حتى تكون لديهم ما أسميه عقدة الجامعات وغدونا نشكو من تضخم فى هذا اللون من التعليم كما نشكو فقرا فى المهنيين والتقنيين.

١٦ - وزارة البحث العلمى

منذ نحو ربع قرن من الزمان، كنت قد كتبت مقالاً فى مجلة الهلال أطالب فيه بإنشاء وزارة للتعليم أو البحث العلمى، حيث أن هناك فرقًا كبيرًا بين التربية والتعليم وبين الثقافة والعلم أو البحث العلمى، فقلت إن التعليم يكون وفق مناهج معينة للحصول على مستوى معين من المعرفة فى واحد أو أكثر من فروعها، أما العلم أو البحث العلمى فنحتاج إلى تخصيص عميق فى أحد فروع العلم أما الثقافة فميادينها واسعة وفسيحة

ومتعدد جوانب المعرفة من علم وأدب وتاريخ ودين وفن وحضارة وما إليها ثم سنحت الفرصة لأعيد المطالبة بإنشاء مثل هذه الوزارة فى أحد اجتماعات مؤتمر الاتحاد القومى، وكنت نقيبًا للمهن العلمية ونشرت الصحف الصباحية أنى تحدثت فى هذا الموضوع فى اليوم السابق ولما حضر الاجتماع الرئيس جمال عبد الناصر خطر لى أن أطالب بإنشاء وزارة للبحث العلمى، وفعلاً طلبت الكلمة وشرحت وجهة نظرى فى شىء من الاسهاب والتفصيل قائلاً: إنه لابد من تدعيم هذه الوثبة بإنشاء وزارة تكون مسئولة عن العلم والبحث العلمى تهيىء وسائله وتعمل على تمويله وتشرف على مؤسساته ومراكزه وقد قيل فيها بعد إن الرئيس تساءل عمن يكون المتحدث فأجيب بأنه فلان عميد العلوم.

وتحدث الرئيس فى الرد علىّ قائلاً إنه يعرف قيمة العلم والبحث العلمى ولكن حال البلد وما فيها من فقر وجوع قد يعوق مثل هذه المشروعات البناءة.

وفى جلسة المساء جاءنى مقرر اللجنة طالبًا سحب اقتراحى فسألت لماذا؟ قال: لأن الاقتراح قد أغضب الجماعة، قلت ومن تعنى بالجماعة قال السيد كمال الدين حسين، وكان وزيرًا للتربية والتعليم أيام الوحدة مع سوريا وما شأنه بذلك إنه كلام على مستوى الاتحاد القومى، وإنه قد أبلغ للسيد رئيس الجمهورية ونشرته الصحف وعلى ذلك رفضت سحب اقتراحى وبالتالى لم يثبت ضمن توصيات مؤتمر الاتحاد القومى ولكن وبعد أسابيع قليلة أنشئت وزارة البحث العلمى، وعين لها السيد صلاح الدين هدايت وزيرًا، فهنأته على هذه الثقة وسجلت اسمى بمناسبة الأخذ باقتراحى وبعدها بأيام كنت مسافرًا إلى دمشق فى مؤتمر إذاعى فقيل لى لا تسافر سيصدر مرسوم بتعيينك نائبًا لوزير البحث العلمى فقلت لمحدثى تستطيعون استدعائى إذا لزم الأمر وحتى تاريخه لم يلزم الأمر.

١٧ - الألف اللينة

فى إحدى جلسات المجمع اللغوى، وكنت قد تغيبت فى الجلسة السابقة عرض السيد رئيس الجلسة وكان الدكتور عبد الحميد بدوى، رئيس محكمة العدل الدولية آنئذ، عرض الموافقة على محضر الجلسة السابقة ولكنى طلبت الكلمة لفتح باب المناقشة فى موضوع الألف اللينة، وموافقة المجلس على أن تكتب ألفا سواء كانت واوية مثل دعا وغما أو يائية مثل سعى ورمى، فقال الرئيس إن الجلسة قانونية والقرار سليم، فقلت له ليس عندى شك فى ذلك ولكنى أطلب إعادة مناقشة الموضوع لأن هذا قرار خاطئ وقد عشت بينكم عشرين عامًا، وتعلمت منكم حكمة لا أنساها وهي أننا إذا وقعنا فى خطأ نعدل عنه، وهذه الألف تدل على نبتة الكلمة فإذا وجدتها مكتوبة بالألف عرفت أنها واوية، فنقول دعا، يدعو، دعوت إذا وجدتها بالياء، عرفت أنها يائية فنقول سعى يسعى سعيت ولا أظن أن دولنا العربية ومجامعنا اللغوية توافق على مثل هذا الاقتراح، وقد وجدنا للحفاظ على سلامة اللغة العربية فارتفعت أصوات الموافقة من كل جانب فقلت يبدو أنه إجماع وفعلًا رفض الاقتراح وعادت الألف اللينة لتكتب ألفا إذا كانت واوية وتكتب ياء إذا كانت يائية.

١٨ - تمييز العدد

فى إحدى جلسات مجمع اللغة العربية تقدم أحد الزملاء باقتراح إلغاء تمييز العدد وعدم التمسك بقواعده المعروفة، لأن كثيرا من الكتاب والمتحدثين يخطئون فى ضبط قواعده، وأذكر أنى ثرت فى هذه الجلسة ثورة

عنيفة، قائلًا إن وجودنا هنا إنما هو للمحافظة على سلامة اللغة العربية والمفروض أن نرفع مستوى المتحدثين والكتاب ليتكلموا ويكتبوا بلغة سليمة، لا أن ننزل إلى مستوى العامة وأشباههم ممن لا يحسنون لغتهم ثم ماذا نقول فى قوله تعالى: ﴿سبع ليال وثمانية أيام حسوما﴾ فهل يجوز لنا أن نتغاضى عن القاعدة الأصلية من أن يكون العدد عكس المعدود فيما بين ٣، ٩ كما فى النص القرآنى الكريم.

وقد كنت عنيفًا فى هذه المسألة بالذات، حيث دارت مناقشات حادة فى الموضوع وربأت بالمجلس أن ينظر فى مثل هذا الاقتراح حتى اضطر صاحبه إلى سحبه، وكفى الله المؤمنين القتال.

وقد قلت صراحة: إنه لا ينبغى أن يعلم الناس أن مجمع اللغة العربية قد نظر أو ناقش مثل هذا الاقتراح.

١٩ - الجاف الفارسية

معروف أننا فى مصر ننطق الجيم غير معطشة، وأن جيمنا أشبه بالجاف الفارسية، ولذلك قدم اقتراح بإضافة حرف الجاف الفارسية إلى حروف اللغة العربية لنستعملها خاصة فى أسماء الأعيان الأجنبية حيث تكثر الجيم غير المعطشة مثل «هوجو» وإنجلترا. إذ لا ينبغى أن تنطق معطشة كالعربية الأصلية، وكان الاقتراح أن تكتب ك. ولكنى اعترضت لأنها ستقرأ كافا، وقد حدث ذلك بالفعل فى بعض البلدان العربية فيقولون ويكتبون - كراج - إنكلترا وقلت أن ذلك سيزيد فى البلبلة والاختلاف بين البلاد العربية، وأن الإبقاء على هذا التباين فى تعطيش الجيم أو عدم تعطيشها أقل سوءًا من إضافة حرف جديد إلى حروف اللغة العربية-

وكذلك رفض الاقتراح، ولم يؤخذ به قلت للسادة الزملاء إنه يكفى المجمع مايلقى من تهكم بسبب بعض الألفاظ والمصطلحات التى يخترعها المتهكمون ولم ترد أبدا فى مناقشاتنا ولا فى محاضر جلساتنا فلا تزيد الطين بلة بإضافة حرف جديد إلى حروف اللغة العربية.

٢٠ - نحن نعلو على هذا

فى إحدى جلسات المجمع، تقدم المرحوم الأستاذ محمد توفيق دياب باقتراح مؤداه أن المجمع ينبغى أن يتصدى للرد على تهكمات الصحف على مايقره المجمع من ألفاظ، وضرب مثلا بقصة شاطر ومشطور وبينهما طازج «بدلاً من كلمة سندوتش «وزعرور بدلا من وزير»، وما أشبه من ترهات شاعت وذاعت وهى فى الحقيقة لا أصل لها ولم تصدر عن المجمع قط، ومع ذلك فقد حدث أنى عندما لقيت المرحوم الأمير عبد الله السالم الصباح أمير دولة الكويت، قدمت له على أنى عضو بالمجمع، قال لى يا أخى أنا فى نفسى من المجمع شىء قلت خيرًا إن شاء الله يا سمو الأمير، قال يا أخى هذا الشاطر والمشطور وبينهما طازج فقلت إن هذا لم يحدث بل إن ذلك من تشنيعات الصحف، وأن ما أقره المجمع هو لفظ شطيرة.

المهم أن النقاش طال فى هذه الجلسة، فالتفت إلى معالى الرئيس المرحوم الأستاذ لطفى السيد، وقال لى وأنت مارأيك، فأجبته نحن نعلو على هذا إن اعمالنا مسجلة ومنشورة، وإذا فتحنا باب المناقشة مع الصحف فالله أعلم كيف ينتهى بنا الحال. فأقرنى الرئيس والمجلس على ذلك.

٢١ – فى الإذاعة البريطانية

فى صيف سنة ٦٩، كنت مع زوجتى وأولادى فى لندن، وإذا بدعوة تصلنى من هيئة الإذاعة البريطانية لتناول الشاى فى الساعة الرابعة بعد ظهر أحد الأيام، وذلك فى القسم العربى بمبنى الإذاعة، فذهبت فى الموعد المحدد واستقبلت من المسئولين استقبالاً كريماً، وفى أثناء تناول الشاى تطرق الحديث إلى مناحى شتى فى العلم والأدب واللغة والترجمة والمصطلحات العلمية وما إلى ذلك. فتساءل أحد المسئولين هل لديك مانع من أن نحضر الميكروفون ونسجل هذه الأحاديث مباشرة، وما إن أجبت بالنفى حتى أحضر الميكروفون وسجل حديثاً استمر نحو عشر دقائق، ولما سئلت عما إذا كنت أستطيع الحضور إلى الإذاعة غدا، أى فى اليوم التالى مباشرة، قلت لا مانع، وتكرر هذا اللقاء يومياً على مدى ستة أيام متتابعة، بعضها عن مشاهير العلماء العرب وبعضها الآخر إجابة على ما يوجه إلى من أسئلة، وفى اليوم السادس أحضرت السكرتيرة الحسناء المكافأة وكانت ٤٠ جنيها استرلينيا عن كل حديث وإذا بالإذاعة البريطانية تقول عنى «إنه موسوعة تمشى على قدمين» وأذيع عنى ذلك فى حيثما تسمع الإذاعة البريطانية ومنذ ذلك الحين اتصلت بينى وبين هذه الهيئة الأحاديث والإذاعات فإذا كنت فى لندن ذهبت لأسجل بعض الأحاديث، وإذا كنت فى القاهرة أرسل الأحاديث بالبريد المسجل، ليسجلها أحد المذيعين بصوته، لتذاع على العالم فى الوقت المناسب، مما يتلاءم مع برامج هيئة الإذاعة البريطانية.

وفى إحدى المرات، طلب إلى المسئول إعداد خمسة عشر حديثاً دفعة واحدة وإرسالها إلى الهيئة لاعتمادها، ثم تسجيلها بصوتى فى مكتب الهيئة فى

بيروت، إلا أن هذا التسجيل لم يتم، فسجلت بصوت المذيع، وأذيعت هذه الأحاديث باسمى، وكان لها صدىً جميلاً فى أنحاء العالم العربى خاصة وكانت تأتينى كتب كثيرة يستزيد أصحابها من الآراء أو المعلومات التى أثيرت، وكانت ترسل الهيئة مكافآت هذه الأحاديث بالعملة الصعبة فى حساب مقيم باسمى كان ينفعنى فى رحلاتى للخارج، أما عندما أكون فى لندن، فإنى أجد السكرتيرة الحسناء تنتظرنى خارج غرفة التسجيل لتسلمنى المكافأة وقد ارتفعت مع إرتفاع الأسعار إلى نحو أربعين جنيها للحديث.

وفى الحق أنى أحتفظ لهيئة الإذاعة البريطانية والعاملين فى القسم العربى بخاصة بأجمل الأثر لحسنن عاملتهم وكريم استقبالهم وكرم لقائهم وقد كان لهم الفضل فى إبلاغ صوتى بالاهتمام بالتراث العلمى العربى وأثر العرب فى العصر الإسلامى على الحضارة الإنسانية.

٢٢ - بل تعتذر أنت

اليوم التاسع والعشرون من رمضان سنة ١٣٨٠ هـ، وكنت عميدًا لكلية العلوم بجامعة عين شمس، وقد عدت إلى المنزل عصر ذلك اليوم، وبعد وصولى بقليل وإذا بساعى من إدارة الجامعة يركب دراجة بخارية يحمل لى رسالة من مدير الجامعة، لما فتحت الرسالة وجدتها تحوى خطابًا موجهًا من مدير مكتب الوزير إلى سكرتير عام الجامعة يتضمن الخطاب ثلاثة فقرات رئيسية تقول الأولى إنه نمى إلى علم الوزارة أن نتيجة السنة الثانية فى كلية العلوم ضعيفة، وأن العميد، أنحى باللائمة على اللائحة.

وتقول الثانية: إن قسم الكيمياء قد تعمد التدقيق فى التصحيح لإسقاط أكبر عدد ممكن من الطلبة.

كما تتساءل الثالثة: لما كان الأمر كذلك، لماذا لم تتصل الكلية بالوزارة والجامعة قبل إنزالها للطلبة.

وحول سعادة المدير الخطاب إلىّ على وجه السرعة طالبًا الرد.

لقد ذهلت وحزنت، ووجمت أن تتدنى الأمور إلى هذا الحد وأن يكتب مدير مكتب الوزير بتوقيعه إلى الجامعة بشأن الامتحانات والنتائج، وقد ظهر أن اليوم التالى، هو يوم عيد الفطر المبارك، وأعلنت الأجازة لبضعة أيام ظللت طيلة هذه الأيام واجمًا استحى أن أتحدث فى الموضوع إلى أحد، وكل من يرانى يسألنى مالك؟

وفى أول يوم بعد أجازة العيد، ذهبت إلى مدير الجامعة فى مكتبه وألقيت بالخطاب الذى حوله إلىّ أمامه قائلًا ما هذا الذى أحلته علىّ؟ وما شأنكم والامتحانات، وكنت غاضبًا، وفى أشد حالات الانفعال، فاتصل بالوزير تلفونيا أمامى، وقال له إن فلانا عندى، وإنه غاضب وقدم استقالته، ويريد أن يراك. فقال الوزير إنه مرتبط بموعد خارج الوزارة وسيغادرها فورًا، وإنه يرى أن يكون موعد المقابلة غدًا فى الساعة الحادية عشرة صباحًا.

وقد كان ففى تمام الساعة الحادية عشرة صباحًا، كنا مع وزير التربية والتعليم وبعد التحية، سألت معالى الوزير، هل اطلع على هذا الخطاب فأجاب بالإيجاب، فسألته لم لم توقعه لو أنك فعلت لكان للمسألة وجه آخر، فمن حقك أن تسأل كوزير ومن واجبى أن أجيب، وحتى هذا ينبغى أن يكون عن طريق مدير الجامعة. «فقال أجيبه يعتذر لك» قلت لا أقبل اعتذاره، قال إذن ماذا تريد؟ قلت بل تعتذر أنت، واشتعل الموقف وطيب خاطرى كل من الوزير والمدير.

قلت أما عن الموضوع، فما شأن الوزير أو غيره بموضوع الامتحانات

والنجاح والرسوب إن ذلك كله من اختصاص الأساتذة والأقسام المختصة وإن النتيجة كانت أحيانًا صفرًا، وفى الرياضة أيام المرحوم الدكتور مشرفة ولا يتحرك أو يعلق مخلوق، واستمر الحديث نحو ساعة من الزمان، تحدثت فيها عن حق الأستاذ الجامعي ومسئوليته كأستاذ ومربى، وأنه لا يجوز لأية سلطة أن تتدخل فى عمله وأنه فى العهود الأولى كانت النتيجة أحيانًا لا تزيد على عشرة بالمائة ولما قدم فى ذلك سؤال إلى وزير المعارف فى البرلمان أجاب الوزير بأن الجامعة كاملة الاستقلال وليس لأية سلطة أن تتدخل فى اختصاصاتها وأن نتيجة التوجيهية لم تكن تزيد أحيانا على عشرين أو ثلاثة وعشرين بالمائة ولا توجه أسئلة أو استجوابات وكذلك سارت الأمور وقضى الأمر بالنسبة لهذا الموضوع فلم أسأل من المقصود بكل هذه التساؤلات ما اسمه وقد قيل لى عندئذ لو كان غيرك لسارت الأمور على هذا النحو، ولا تخذت مسارا آخر لإرضاء السلطات والمسئولين، أما فى هذه الحالة فإنى لم أعرض الأمر على مجلس الكلية ولا على قسم الكيمياء ولكنى غضبى كان للمبدأ ذاته أن يتدخل كائن من كان فى شأن من أخص شئون الجامعة والجامعيين وأن يكون التدخل على هذا النحو من مدير مكتب الوزير، ولقد كان تعليقى على هذا الحادث تلك الكلمة المأثورة والتى تنسب للرسول الكريم ﷺ وهى «أتق شر من أحسنت إليه» فقد كنت أنا الذى عمل على تعيين هذا الزميل بالجامعة وانتدب مديرًا لمكتب الوزير بالإضافة إلى عمله مدرسًا بالكلية.

٢٣ - شرشر

فى نهاية إحدى جلسات مجلس مجمع اللغة العربية، عرض أمين المجمع رغبة معالى الوزير للتربية والتعليم فى حضور إحدى جلسات المجمع

لمناقشة موضوع تيسير الكتابة العربية، قائلاً إن الأمر هو.. فقاطعه الرئيس وكان أستاذنا لطفى السيد قائلاً أمر إيه ؟؟ فقال الأمين الأمر بمعنى الموضوع أن سيادة الوزير يريد أن يحضر جلسة المجمع فأجابه الرئيس فليتفضل، وفعلا حضر الوزير فى موعد الجلسة التالية، وفتح باب المناقشة فى موضوع تيسير الكتابة العربية.

وما زلت أذكر كيف كان حماسى بالغًا فى الدفاع عن اللغة العربية، وعن طريقة كتابتها الحالية وكيف أن العيب ليس فى اللغة ولا فى الحروف، ولكن فى طريقة تعليمها، تلك الطريقة التى أطلق عليها اسم الطريقة الكلية أو طريقة شرشر، وقلت كيف يمضى الطفل سنوات متتابعة من عمره وهو لا يقرأ إلا قصة «شرشر» وكيف نط ونط، وهذا هو وذاك نو وإنه يرى صورة الأرنب مثلاً يتعرف أنه أرنب، ولكن إذا سألته أين الراء فإنه لا يعرف، وتساءلت كيف نترك طريقة ثبت نجاحها وعملت أجيالاً متتابعة كان الطفل يقرأ ويكتب فى مدى شهور قليلة، وهو يمضى الآن بضع سنوات بطريقة شرشر، ولكنه لا يحسن القراءة ولا الكتابة وقد نشرت الصحف أنه من بين مائتين لم ينجح واحد فى كتابة اسمه.

أذكر أنى فى هذه الجلسة، كنت عنيفًا فى مهاجمة المسئولين فى وزارة التربية والتعليم عن تدهور تعليم اللغة العربية فى المدارس وأنه ينبغى أن تلغى هذه الطريقة الكلية التى يثبت فشلها، وأن نعود إلى الطريقة الأبجدية التى كانت متبعة قبلاً، وأن أبناء هذا الجيل لا يعرفون الكشف فى المعاجم، ولا البحث فى دفاتر التلفونات، ولا يعرفون النطق الصحيح للحروف والكلمات العربية وأن من الواجب العناية بتعليم اللغة العربية وأن الطفل يجب أن ينشأ على حفظ آيات من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وخطب أبى بكر وعمر وعلى والحجاج ومن أليهم من فصحاء

العرب بدلاً من أن يمضى سنين متتابعة فى قراءة سخافات وتفاهات مصورة لا تضيف إلى معلوماته، ولا تزيد إلى حصيلته من الألفاظ العربية والجمل المفيدة والقصص الجيدة والشعر الرصين الجميل مما يتلاءم مع أسنانهم ودرجة تحصيلهم ومما يحببهم فى اللغة العربية ولا يجعلهم يستصعبونها ويزورون عنها.

وفى آخر الجلسة بدأ الغضب على معالى الوزير، وقال لمساعديه مغمغما ياناس خلصونا من طريقة «شرشر» دى.

٢٤ - أستاذ الكيمياء

فى أواسط الخمسينات شغرت وظيفة أستاذ الكيمياء العضوية، فأعلنت الكلية عنها، فتقدم إليها ثلاثة من الأساتذة المساعدين، اثنان منهما من علوم القاهرة، والثالث من علوم الإسكندرية وكان أحد هؤلاء الثلاثة لم يستكمل المدة المقررة لكن جامعة عين شمس كانت قد درجت عندئذ على ألا تنظر فى شرط المدة إلا عند التعيين، فقبلت أوراق الثلاثة وأرسلت إلى الممتحنين المحكمين وكان أحدهم أستاذًا بجامعة زيورخ بسويسرا، والثانى من جامعة أكسفورد بانجلترا والثالث من أمريكا ومضت أشهر معدودات، ثم جاءت التقارير فإذا بها تجمع على استبعاد رجل الإسكندرية وكان منتدبا للعمل بوزارة المعارف والمجلس الأعلى للعلوم فقال أحد الممتحنين ما أظنه جادًّا، كما قال الثانى أظن أنه غير جاد، وقال الثالث من المحقق أنه غير جاد، وكانت المفاضلة بين الاثنين الباقيين، أما أحدهما فقد حظى بإجماع الممتحنين على تفوقه أما الثانى وهو الذى لم يكن قد استوفى مدته فقد فضله اثنان من الثلاثة الممتحنين ومع ذلك فقد تقدم طالبًا ممتحنًا رابعًا فاختارت الكلية أستاذنا المرحوم الدكتور أحمد زكى، إلا أنه لم يضف

جديدًا إلى أحكام الآخرين ولم يرجح رأيًا على الآخر فكانت النتيجة أن عين من حظى بالإجماع، ثم دارت الأيام، وغدا صاحبنا الثانى وزيرًا للبحث العلمى، وكانت الوزارة قد ألغيت، ولكنها عادت إليه عقب مقال عتبت فيه على إلغائها وطلب قراءة المقال وهناك علل توليه الوزارة وكان أول عمل له بالنسبة إلى أن فصل ابنتى وكانت تعمل بالمركز القومى للبحوث وتأخرت عن أجازتها خمسة عشر يومًا وأن شطب اسمى من بين أسماء المتقدمين لجائزة الدولة، وذلك مصداق للقولة المأثورة «اتق شر من أحسنت إليه».

٢٥ - رسالة العلم

من الأعمال التى كان لها أثر بارز فى حياتى إصدار مجلة رسالة العلم وخاصة بعد أن انتظم صدورها أكثر من أربعين عامًا، وكانت كما قال المرحوم على باشا إبراهيم، إن هذه أول مرة يرى فيها مجلة علمية باللغة العربية وإنه سيكون لها شأن أى شأن عندما تكثر الجامعات فى مصر والبلاد العربية وسيكون لها دورها الفعال فى نشر العربية لغة العلم وتطويع اللغة العربية للعلم ومصطلحاته.

وصدر العدد الأول فى يناير سنة ١٩٣٤م وكان يحمل استفتاء عن تدريس العلوم باللغة العربية كما كانت افتتاحيته تتناول هذا الموضوع بشىء من الشرح والتفصيل، حيث قلنا إن العربية لغة العلم، وإنها تتسع لمستحدثاته ومستكشفاته، وإنها لم تقعد عن ملاحقة العلوم المختلفة من فلسفة ومنطقة وطبيعيات وفلك ورياضيات وأحياء وزراعة، وإن العرب فى عصر الترجمة نقلوا كل العلوم إلى اللغة العربية، ولجأوا إلى التعريب حين لم تسعف الترجمة فى بعض الأحيان فقالوا استطرنوميا، وجومطريا،

وميثافيزيقا كما نقول اليوم الكترون وبرونون ونيوترون، وكما نقول ثرمومتر وبارومتر، ومانومتر، وما إلى ذلك وقلنا إن الطالب يكونً أكثل استيعابًا لو أن العربية كانت لغة التدريس، وقد تبين بعد ذلك أن قانون الجامعة ينص على أن العربية لغة التدريس وكل ما يخالف ذلك إنما هو استثناء بإذن من مجلس الجامعة.

وأجريت فى العدد الأول استفتاء أجمع المستفتون على أن العربية قادرة على استيعاب العلوم المختلفة، ومنهم من ضرب لذلك موعدًا أقصاه عشرون عامًا ومنهم من قال بتشجيع الترجمة ووضع المصطلحات والمعاجم أولاً، وكان المرحومون الدكتور ولى والدكتور مشرفة والدكتور زكى من أشد المتحمسين لتنفيذ المشروع وبخاصة الدكتور ولى الذى كان ينادى بأن ينفذ ذلك فى الحال وأنه كان ينفذه فعلا، وقد فعلت نفس الشىء بعد ذلك ببضع سنوات، ذلك حين أثار المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل وكان وزيرًا للمعارف، فسأل أعضاء مجلس الجامعة ماذا فعلتم فى هذا النص، الذى يقول إن العربية لغة التدريس فى الجامعة وتناولت الصحف الموضوع فنشطت الأقسام المختلفة فى كلية العلوم بخاصة لترجمة المصطلحات العلمية، وكانت مجلة رسالة العلم تنشر فى كثير من أعدادها قوائم بالمصطلحات التى تتفق على ترجمتها الأقسام المختلفة، وكنت قد أنشأت جمعية أسميتها جماعة أنصار اللغة العربية، أسهمت فى نشر الدعوة للعربية لغة للعلم وظلت مجلة رسالة العلم تصدر مرتين فى العام عدة أعوام، إلى أن حلت بها ضائقة فى إحدى سنوات الحرب العالمية، فصدر فى هذا العام عدد واحد، وفى إحدى السنوات طلب صاحب المطبعة مبالغ من المال لإصدار المجلة وكان هو الآخر فى ضائقة مالية، فأنفق المال فى غير شئون المجلة، فاضطررت لأن أدفع المبلغ من جيبى حتى يصدر العدد.

وفى إحدى السنوات ظهر خلاف بين أعضاء جمعية خريجى كليات

العلوم التى كانت تصدرها وتولى رياسة تحريرها المرحوم الدكتور عبد الفتاح محمد وظل يصدرها مرة شهريا لمدة عام ونصف العام ثم عدت إلى رئاسة تحريرها وأصدرتها أربع مرات سنويا، واستمر ذلك كذلك حتى ديسمبر سنة ١٩٧٥م بعد أن سلخت من عمرها المديد اثنين وأربعين عامًا وبانتقالى للعمل فى السعودية تباطأ صدور الأعداد.

وفى عيدها الأربعين نشر فى صدر عددها الأول لعام ١٩٧٣م قصيدة عصماء للمرحوم شاعرنا الكبير الأستاذ محمد عزيز أباظة، حيى فيها المجلة والعلم وأهله وأشار إلىّ فى بضعة أبيات، فقلت له رحمات الله عليه إنى سأحذف هذه الأبيات التى ذكرت فيها اسمى صراحة، فأجاب رحمه الله أن ذلك ليس من حقى وكان له ما أراد ونشرت القصيدة كاملة.

ولا مراء أن رسالة العلم كانت مدرسة لنا جميعًا، حيث نشرت فيها فى هذه الحقبة مئات المقالات فى كل الموضوعات العلمية المختلفة، من كيمياء وطبيعة ورياضيات وفلك ونبات وحيوان وجيولوجيا، وكتب فيها عدد من كبار الشخصيات العلمية، وكان أستاذنا المرحوم الدكتور مشرفة يقول لى.. إن هذا العمل الذى تقوم به فى إصدار هذه الصحيفة العلمية باللغة العربية يعتبر عملاً ثانويًا بالنسبة لك، ولكنه أفضل من أعمال أساسية رئيسية لكثيرين، كما كان المرحوم لطفى السيد، يثنى عليها ثناء طيبا، وأشار إليها المرحوم الأستاذ مصطفى نظيف بكثير من الثناء والتقدير، ولم تكن المجلة تباع أو تشترى فى الأسواق ولكنها كانت للمشتركين، كما كانت تهدى وتستهدى للهيئات وشخصيات علمية كبيرة فى مصر والدول العربية، وكنت أتناول فى الافتتاحية موضوعات علمية عامة وقد نعيت استقلال الجامعة فى أحد الأعداد، حين وكلت رئاسة مجلس الجامعات الأعلى إلى وزير المعارف والتربية والتعليم فصدر العدد، وحذفت بعض فقرات المقال

(بأمر الرقيب)، ولكنى لم أحدث أى تعديل فيه، وكان قد تسرب نحو مائتى نسخة ظلت الهيئات العلمية تصر فى طلبها.

٢٦ - العالم والعالمة

تقابلت مرة صدفة عند صراف التليفزيون مع احدى الراقصات وكانت تتقاضى مكافآتها عن لقطة راقصة، قدمتها فى إحدى السهرات، استغرقت نحو خمس دقائق، وكان الصراف يعد لها عشرة... عشرين... ثلاثين... أربعين إلى أن وصل إلى الخمسين.. ثم التفت إلىّ وجعل يعد واحد.. اثنين.. ثلاثة.. إلى أن وصل إلى العشرة، وذلك عن سهرة تليفزيونية طويلة، استغرقت نحو الساعة فخجلت الراقصة من نفسها، والتفتت إلىّ قائلة.. إن عندها مصاريف من كوافير ومكياج وخلافه، فقلت لها إن الأمر ليس كذلك، ولكنك تعرضين مادة يجب أن يراها كل إنسان.. أما أنا فإنى أعرض مادة لا يجب أن يراها إنسان.

حكيت هذه القصة للمهندس الدكتور سيد كريم فقال إن هذا هو الفرق بين العالم والعالمة.

٢٧ - كليوباطرة

سئلت مرة عن الشخصيات التاريخية التى أفضلها، فقلت هناك ثلاث شخصيات تعجبنى وهم ابن سينا، والمأمون، وكليوباطرة.. فتلفتت المذيعة (فى صوت العرب) وطلبت وجهة نظرى فى إعجابى بكليوباطرة، فتوليت الدفاع عنها فى سهرة استغرقت نحو الساعة، قلت ليس ذنبها أن تكون

فاتنة الدنيا وحسناء الزمان، وليس ذنبها أن يحترب القواد من أجلها ويكفيها فخرًا أن ملك مصر فى عهدها امتد ليشمل سوريا وفلسطين وجزءا من آسيا الصغرى بالإضافة إلى وادى النيل. ويكفيها فخرًا أنها ألهمت ثلاثة من أعاظم الشعراء، وهم شوقى، وشكسبير، وبرنارد شو فى رواياتهم الرائعة التى تناولوا فيها حياتها وحربها، وقلت إن حياتها الخاصة ملك لها ما دامت لا تتعرض للجميع ويكفيها شرفًا أنها كانت حساسة فلما انهزمت انتحرت، فعاشت ملكة، وماتت ملكة، جلست على كرسى العرش وازينت، وطلبت من الكاهن أن ينهى حياتها فأشار عليها بسم الأفعى لتنهى حياتها وكان فى ذلك تعريض بحالنا وما آل إليه أمرنا.

٢٨ - اتق شر من أحسنت إليه

نشرت لى مجلة الجديد مقالا بعنوان سألت الله، ذكرت فيه بعض الأحداث التى وقعت لى وكان لها أثر كبير فى نفسى، فتضرعت إلى الله فى حرارة وعمق وإيمان أن يصرف عنى آثار هذا الحدث، وقد اتصل بى أستاذنا الدكتور كامل حسين، عدة مرات فى المجمع والبيت يسأل عنى، ولما أن لقيته قلت له خير إن شاء الله، ماذا عساك تأمر، قال أن هذا المقال هو من خير ما كتبت بل هو أحسن ما كتبت، وكان فى المقال العبارة المذكورة أعلاه، وقد قلت لو لم يكن لمحمد بن عبد الله ﷺ إلا هذه الكلمة التى تنسب إليه، لكفتنى لكى أؤمن به وذلك لصدقها بلا حدود والتى ما ذكرتها لأحد إلا آمن بها، وذكر وقائع وأحداثًا وقعت له شخصيًّا وكلها تؤيد صدق هذا المقولة.

وكان فى خاطرى أمثلة كثيرة منها هذا الإنسان الذى بذلت كل الجهد

فى سبيل تعيينه مدرسا بالقسم، وكان قد حصل على درجة الدكتوراه فى الكيمياء من إنجلترا، وأعلنت عن وظيفة مدرس بالقسم، وطلب كثيرون التقدم إليها ولكنى منعتهم بما لى من دالة عليهم، حتى لا ينافسه فيها أحد، وتم إقرار تعيينه من مجلس الكلية ورفع الأمر إلى المجلس الأعلى للجامعات، وفى أثناء جلسته اتصل بى مدير الجامعة متسائلاً هل صحيح أنك تصر على تعيينه؟، إن درجته فى الكيمياء، قلت له إنها كيمياء نباتية، وقسم النبات بحاجة إلى مثل هذا التخصص وشغل الوظيفة فعلاً، فنصب نفسه حربًا على بل وتجسس علىّ للمسئولين وهو صاحب الخطاب المذكور عن الامتحانات الذى طلبت من الوزير أن يعتذر عنه ولكنى والحمد لله لم أندم على معروف قدمته لإنسان.

٢٩ - فى رحاب القرآن الكريم

فى مطلع حياتى العلمية، أجريت بحثًا مشتركًا مع أحد الزملاء ونشرنا جزءًا منه يحمل اسمينا ثم خطر لنا أن نقسم الجزء الباقى من البحث، فينشر كل منا جزءا باسمه مستقلاً، واقتسمنا المخطوط فعلاً، وأعطيت للزميل الجزء الخاص بى ليطلع عليه حسب الاتفاق، واتخذت إجراءات نشره فى إحدى المجلات العلمية المتخصصة وإذا بالزميل يعدل عن الاتفاق، ويشكونى إلى رئيس القسم - فهالنى هذا الأمر جدًا، وحزنت له أبلغ الحزن، واكتأبت اكتئابًا شديدًا فماذا عسى أن يقول الناس عنى، وأين ما ننادى به دائمًا من الأمانة فى العلم والضمير العلمى، وأخلاقيات العلم والعلماء ونذرت للرحمن أنه إذا انتهت هذه الأزمة على خير، وعاد صاحبنا إلى ما سبق أن اتفقنا عليه، أن أتابع تلاوة القرآن وختمه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وكان أحد الزملاء قد سعى لدى صاحبنا، ليعود إلى سابق

عهده ووعده، فلما أن وافق بدأت فى الوفاء بالنذر، وكنت أقرأ كل يوم جزءا من القرآن الكريم، وأن أختمه مرة كل شهر، وتتابعت الختمات لأتم قراءته كاملًا مائة وخمسين ختمة ثم تهاونت بعد ذلك لأعود إليه بعد عملى فى الرياض، وقد وصل عدد مرات تلاوته كاملًا أربعمائة وخمسون مرة والحمد لله أن هدانا بهديه، وما زلت أتبرك بتلاوته، وأرجو أن يغفر الله لى ببركته والله المستعان وهو ولى التوفيق وها أنذا أتم تلاوته نحو خمسمائة مرة أحيانًا أختمه مرة فى الشهر وفى أحيان أخرى أختمه مرة فى أسبوع وفى الحق أنى أجد متعة كبرى فى تلاوته، وكثيرًا ما أقف عند بعض الآيات الكريمة متدبرًا معناها طامعًا فى رحمته، سبحانه وتعالى، وهو القائل: ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ و﴿ورحمتى وسعت كل شىء﴾ و﴿ولئن شكرتم لأزيدنكم﴾، أليس لى أن أطمع فى رحمته التى وسعت كل شىء إلى لحظات سعيدة تلك التى أعيشها فى ظلال القرآن الكريم، وإنى لشاكر لله العلى العظيم على ما أعطى وأنعم، نعمه التى لا تعد ولا تحصى وأسأله تعالى العفو والمغفرة والصحة والستر والتوفيق لنا ولأولادنا وأحفادنا إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

٣٠ – فى تاريخ العلم

منذ أكثر من ربع قرن من الزمان، دعانى أستاذنا المرحوم مصطفى نظيف لإلقاء محاضرة عن الرواد العرب فى علم النبات، ولم يكن لى به سابق معرفة حتى ذلك الحين، وكان رئيسًا للجمعية المصرية لتاريخ العلوم، وجمعت مادتى من مختلف المراجع، وتناولت فى المحاضرة أعمال نحو عشرين من قدماء العلماء العرب، ولم يكن ثم مجال للتفصيل، ومع ذلك بعد إلقاء المحاضرة، وإذا بالمرحوم الأستاذ نظيف يقبل على هاشًا باشًا مهنئًا،

مادحًا المادة والإلقاء واللغة وكانت تلك نقطة الابتداء فى الالتفات إلى تاريخ العلم والاهتمام به وبخاصة فى العصر الإسلامى، فبدأت أكثر من القراءة فى هذا الموضوع، وأعجبنى فى هذا المجال كتاب تراث العرب العلمى للمرحوم الأستاذ قدرى حافظ طوقان، ثم قرأت الكثير فى دائرة المعارف الإسلامية، ودائرة معارف القرن العشرين، ودائرة المعارف البريطانية، وتكاملت لدى المادة لأصدر كتاب تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه الذى أعيد طبعه ست مرات فى سبع سنوات وقمت بتدريسه فى الجامعات المصرية أربع سنوات، ثم ألغيت المادة كما أنى درست هذه المادة فى معهد الدراسات الإسلامية نحو ربع قرن من الزمان وكان موقعه فى الروضة، ثم فى الدقى، وها أنذا أقوم بتدريسها فى جامعة الرياض وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ودعتنى جامعة جدة ومانشتر لتدريسه كما نقل كتابى إلى الموصل وحاضرت فى الموضوع فى المؤتمرات العلمية فى دمشق وبغداد والإسكندرية والقاهرة.

٣١ – عاشق بغداد

فى مارس سنة ١٩٧٦م، دعيت للاشتراك فى مؤتمر اتحاد الفيزيائيين والرياضيين العرب فى بغداد وتعطلت إجراءات السفر حتى آخر لحظة، ولم. يتيسر السفر إلا فى منتصف الليلة التى يعقد فى ضحى يومها التالى المؤتمر وأمضيت فى الظهران ساعات أنتظر موعد الطائرة التى تنقلنى إلى بغداد فما إن وصلت حتى دعيت لإلقاء كلمة فى حفل افتتاح المؤتمر، فقلت لهم إنى عاشق بغداد ودليلى على ذلك أنى أمضيت الليل ساهرًا وطائرًا لأصل إليها مع إشراقة الشمس وإطلالة الصباح، وتحدثت عن تاريخ المؤتمرات العلمية والاتحادات العلمية، وهنأتهم على هذه الجهود المباركة.

ثم دعيت فى عصر ذلك اليوم لألقى محاضرتى عن شمس الحضارة، وهل تعود لتشرق من آفاق الوطن العربى مرة أخرى؟، وكنت موفقا كل التوفيق فى إلقائها وكان الجمهور جيد الإصغاء إلى درجة تثير الحماس، وبعد أن أتممت محاضرتى التى حازت إعجابا لم أكن أتصوره اعتذر المحاضر الذى كان يفترض أن يلينى وقال لى هامسًا إنها لمصيبة كبرى أن أتحدث بعدك ثم دعيت للتحدث فى التليفزيون وكررت قصة عاشق بغداد، وفى اليوم التالى كنت أسمع من يقول هنا وهناك وهو يشير إلىّ هذا هو عاشق بغداد.

٣٢ - الاتحاد العلمى العربى

فى أواسط الأربعينات، كانت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية قد نظمت عددًا من المؤتمرات الثقافية الناجحة فى بعض العواصم العربية ثم خطر لها أن تدعو إلى عقد مؤتمر علمى، وكان مديرها آنئذ أستاذنا المرحوم أحمد أمين قد دعا فى أوائل الخمسينات عددًا من المشتغلين بالعلم لدراسة الموضوع، وعقد الإجتماع برياسة الأستاذ أحمد أمين وسأل سيادته أى نوع من القرارات تتخذون فى مثل هذه المؤتمرات، وكانت الإجابة أنه لا يتخذ فى مثل هذه المؤتمرات إلا قرارًا واحدًا هو تحديد مكان وزمان عقد المؤتمر التالى وأن الغرض من المؤتمر إنما يتحقق بمجرد انعقاد المؤتمر واجتماع العلماء فى صعيد واحد، يقرءون بحوثًا مبتكرة، ويضيفون إلى المعرفة، ويعرضون مشكلات البحث العلمى، كل فى مجاله - وتكررت الجلسات وإنها لتتحطم على صخرة القرارات إلى أن أذن الله أن يرأس الجلسة الأستاذ الدكتور رئيف أبو اللمع الأمين المساعد بالجامعة العربية فقال كلمته الفاضلة، ليس لنا أن نحدد للعلماء ما يقررون ولكن واجبنا أن

نيسر لهم وسائل الاجتماع ولهم أن يتخذوا ما يشاءون من قرارات وكذلك تقرر عقد المؤتمر العلمى العربى الأول فى الإسكندرية فى سبتمبر سنة ١٩٥٣ م.

وعقد المؤتمر فى مبنى كلية التجارة بالإسكندرية وانتخب المرحوم الأستاذ مصطفى نظيف رئيسًا للمؤتمر، وتوليت أمانته العامة، حضر السيد رئيس الجمهورية أنئذ حفل الافتتاح، وألقى المرحوم نظيف خطابه مستهلًا إياه بقوله «لقد مضى الزمن الذى كان يسعى فيه العلماء إلى الحكام، وجاء الزمن الذى يسعى فيه الحكام إلى العلماء».

وفى محاضرتى وكانت مساء اليوم نفسه، قلت معتذرًا للحاضرين إنى آسف لأنه سبق لى أن تهيأت لإلقاء هذا البحث فى مؤتمر خارج مصر، ولكن لجنة المؤتمرات رفضت سفرى، ثم تهيأت لإعداده والنظر فيه مرة أخرى باسم جامعة عين شمس لإلقائه فى مؤتمر خارجى آخر، فوافقت لجنة المؤتمرات ولكن مجلس الوزراء رفض وتساءلت ما شأن لجنة المؤتمرات، بل ما شأن مجلس الوزراء ببحث علمى، يلقيه أستاذ جامعى بإذن من مجلس جامعتها، وعلى نفقة تلك الجامعة وأين هى حرية الجامعات وأين هو استقلالها؟

وتتابعت بحوث المؤتمر ومناقشاته وجلساته، وفى إحدى الجلسات ذكر أحد الأعضاء كلمة إسرائيل، فثار الحاضرون ثورة عنيفة، كيف يذكر عربى مجرد ذكر اسم إسرائيل، وكانت تسمى آنئذ المزعومة. وكان رئيس الجلسة عراقيا، فطرق المنضدة بعنف قائلًا: اتركوا الجلسة للرئيس يديرها حسبما يرى - وكان له ما أراد وكان الدرس الذى وعيناه بعد ذلك - أنه لابد من معرفة عدونا قبل محاربته.

وكانت بحوث المؤتمر تلقى فى حلقات مختلفة، تختص كل حلقة بفرع

من فروع المعرفة العلمية، يحضرها المختصون، فواحدة للعلوم الرياضية والطبيعية وثانية للعلوم الجيولوجية وثالثة للعلوم البيولوجية من نباتية وحيوانية، وتدخل العلوم الهندسية والفلكية فى حلقة الرياضيات، كما تدخل العلوم الطبية والفسيولوجية فى الحلقة البيولوجية وتلقى المحاضرات العامة، وكانت خاصة بتاريخ العلم عند العرب، كانت تلقى فى المساء، فألقيت محاضرات عن ابن الهيثم وجابر وابن سينا والفارابى ثم عرضت مشكلات أربع، هى المصطلحات العلمية والسبيل إلى توحيد ترجمتها ومشكلة التأليف والترجمة والنشر فى الوطن العربى ثم العلم والاقتصاد القومى وقد كان عقد هذا المؤتمر فرصة رائعة لتجمع علمى عربى فلأول مرة فى التاريخ الحديث يجتمع أكثر من ثلثمائة عالم من أرجاء الوطن العربى فى صعيد واحد وكان القرار الذى اتخذه المؤتمرون هو إنشاء الاتحاد العلمى العربى، تعينه الجامعة العربية، وتألفت لجنة تأسيسية لوضع لائحته ونظامه، اجتمعت فى «بيت مرى» بلبنان ووضع نظامه الأساسى، ثم انعقد المؤتمر العلمى العربى فى القاهرة سنة ٥٥، والثالث فى بيروت سنة ٥٧ والرابع فى القاهرة سنة ٦١، ثم الخامس فى بغداد سنة ٦٦ والسادس فى دمشق سنة ٦٩ والسابع فى القاهرة سنة ٧٣، وينتظر أن يعقد الثامن إن شاء الله تعالى فى بغداد سنة ٧٧ ولهذه المؤتمرات أثرها الذى لا يجحد فى نشر الوعى العلمى، والنهضة العلمية فى الوطن العربى.

٣٣ - عبقرية الشعر والشعراء

فى سنة ١٩٦٥ م عقد مؤتمر المجمع اللغوى فى بغداد، وسافر نحو العشرين من أعضاء المجمع إلى بغداد، وفى إحدى الأمسيات دعتنا الدكتورة عاتكة الخزرجى لحفل شاى فى منزلها وكان معنا المرحوم شاعرنا

الكبير الأستاذ عزيز أباظة وأهدت المضيفة فيها أهدت نسخا من ديوانها، وبينا أنا أقلب فى صفحاته الأولى أقرأ مقدمة الديوان التى كتبها شاعرنا الكبير وجدت عبارة لفتت نظرى بشدة واستوقفتنى مدة طويلة تلك هى:

«أتصور الإنسانية تسير قدمًا، دون عبقرية الإسكندر وقيصر ونابليون وأتصورها أيضا - وأقولها دون تحفظ - تسير دون عبقرية العلم والصناعة ولا أتصورها تسير - دون عبقرية الشعر والشعراء».

قلت لشاعرنا ما أظن إلا أنك تجامل الشاعرة، أو لعله نوع من الغزل بها قال بل هذه هى الحقيقة، قلت هل نتصور الإنسانية الآن دون مستحدثات العلم ومخترعاته، هل نتصورها دون الكهرباء والمذياع والتلفاز، والأقمار الصناعية والطائرات وسفن الفضاء... الخ قال نعم - قلت وهل تتصور الإنسانية فى أواخر القرن العشرين ومازال الإنسان يعيش فى الكهف والغاب دون أن يستمتع بالحضارة العلمية ومنجزاتها.

ثم انتقلنا لزيارة «طاق كسرى» فى خارج بغداد، وذكرت قول البحترى فى وصف الإيوان:

صنت نفسى عما يدنس نفسى وترفعت عن جدى كل جبس

وتسابق الزملاء فى ذكر أبيات أخرى من قصيدة البحترى، وإذا بالمرحوم عزيز أباظة يتلقف الفكرة، ويقول جاءك كلامى، لقد ذهب كسرى وذهب إيوانه وبقى البحترى وشعر البحترى. قلت معك حق، لقد كسبت هذه الجولة.

ثم دخلنا لتناول الشاى فى إحدى الخيام، وجلسنا القرفصاء نتناول أكواب الشاى التى توزع على كل منا واحدًا بعد الآخر، فقلت لشاعرنا الكبير هل يريحك هذا المجلس وتلك الجلسة قال نعم - قلت وتستغنى عن

فندق بغداد، وما به من ترف وثراء ووسائل راحة وترفيه، من كهرباء وتكييف وسجاد وراديو وتلفزيون وما إليها - قال ولم لا وبعد قليل تململ فى جلسته المتعبة وعدنا إلى بغداد وكان فى انتظارنا المرحوم الدكتور البزاز، فأثرت معه القضية - قال لقد قرأت كلامًا مثل هذا لعله لغلادستون يقول أتصور الإمبراطورية البريطانية دون مستعمراتها ولا أتصورها دون شكسبير وشعر شكسبير.

٣٤ - كروية

فى إحدى جلسات مجمع اللغة العربية، وكنت أعرض مادة علمية، وأصف بعض الخلايا، فأقول إنها كروية الشكل، وإذا بالمرحوم الأستاذ الشيخ أحمد العوامرى يصيح من مكانه «كرية» فوافقته على رأيه، ولكنه ترك مكانه بعد قليل، وجاء يصافحنى بحرارة قائلًا: أهنئك أنت صح، جيد جدًّا، أصلها كروة، وأذكر بهذه المناسبة أن الأستاذ العوامرى، كان يمتحنى شفويًّا فى شهادة الابتدائية، وكنت أقول قصيدة صفى الدين الحلى، وما أن بدأت قولى قال صفى الدين الحلى المتوفى حتى صاح اعرب المتوفى وقد سره أن أعرب المتوفى إعرابًا صحيحًا، وما أظنه اهتم بعد ذلك بما أنشدت من شعر صفى الدين وما أظننى تلوت أكثر من بيتين.

٣٥ - أودية

وفى جلسة أخرى كنت أصف انتشار وتوزيع بعض النباتات الصحراوية فى صحارى مصر وأوديتها، ولكنى قلت وديان، فصاح المرحوم العوامرى، قائلا أودية ولكن المرحوم الأستاذ المازنى قال، بل هذا الجمع

صحيح ومستعمل، ولما أن تحقق الأستاذ العوامرى من صحة هذا الجمع وروده فى المعاجم، جاءنى مهنئا وآسفا، وهذا لون من كرم الخلق والأستاذية النادرة المثال.

٣٦ - مفلطح

وفى إحدى الجلسات، قلت أصف بعض الأعضاء النباتية بأنه مفلطح فقال المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف «مفرطح» ولكنى أصررت على رأيى فكشف فى قاموس الفيروزبادى، فإذا به يقول مفلطح، وبعضهم يقول مفرطح وهذا خطأ يقع فيه الأدباء - وكان رحمات الله عليه آية فى السماحة وكرم الخلق، فقد كنت آنئذ، أصغر الأعضاء سنًّا، وبمثابة تلميذ لهم جميعًا وخاصة فى اللغة العربية وهم أساتذتها بل وجها بذتها. ولكنه كرم الخلق الذى تميز به هؤلاء الرواد.

٣٧ - لا حياء فى العلم

وفى ذات مرة كنت أصف بعض العمليات التكاثرية، وقلت متباسطًا، إنه لا حياء فى العلم فصاح المرحوم العقاد، قائلًا يا أخى لم يعد حياء فى العلم، ولا فى الأدب، ولا فى الدين. فقلت إننا فى العلوم البيولوجية بصفة خاصة لا يمكن أن نستغنى عن معرفة تفاصيل هذه العمليات التى تتكاثر بها الأحياء جميعًا، حفظا للنوع، وإبقاء عليه وتكثيرًا له.

٣٨ - أستاذ الجيل - أحمد لطفى السيد

وقد كان أستاذنا المرحوم لطفى السيد رئيس المجمع، مثلاً يحتذى فى الحفاظ على مواعيد الجلسات، وكان وهو فى الثانية والتسعين من عمره يدخل الجلسة متوكأ على عصاه فإذا نظرت فى ساعتك، فإنها لابد وأن تكون الحادية عشرة ياحًا، موعد بدء الجلسة الصباحية لمجلس المجمع من كل يوم اثنين، وفى إحدى الجلسات ظللت أعرض المادة حتى الواحدة إلا عشر دقائق فصاح بعض الأعضاء إشفاقًا على الرئيس لا علىّ، يقولون إن فلانا قد تعب وإذا به ينظر إلى، ويقول تعب؟ أنا لم أتعب استمر، فتابعت العرض حتى الواحدة تمامًا وكذلك كان تلميذه وصديقه طه حسين، فكان فى السنوات الأخيرة من عمره مريضًا مقعدًا يخرج السعاة له الكرسى، ينقلونه إليه قرب سيارته، ثم يرفعونه بين أيديهم، حتى يدخل قاعة الجلسة، ويتخذ مكانه ويتابع النقاش بذهن حاضر، وذكاء متوقد، وفى ذات مرة قلت للسيدة حرمه وكانت توصله إلى القاعة حتى تطمئن عليه، قلت لها لا داعى لإرهاقه بالحضور قالت إنه إذا لم يحضر فإنه يغضب جدًّا ولا يغفر لنا ذلك أبدًا.

٣٩ - أين يوضع الخط

فى سبتمبر من الأربعينات، أرسل إلى أحد أقاربى شخصًا يوسطنى حتى يقبل ابنه فى كلية العلوم، فذهبت معه إلى لقاء أستاذنا المرحوم الدكتور مشرفة وكان عميدًا للكلية فدخلت عليه مكتبه فى غير حرج ولا انتظار، وقدمت له صاحبنا قائلاً إنه جاء يسأل عن موقف ابنه بالنسبة للقبول فى الكلية، فأجاب فى بساطة وصراحة، إنه لا يعرف، ثم سألنى إن كنت أعرف

فأجبت بالنفى، ثم وجه السؤال للحاضرين واحدًا بعد الآخر، وكانت إجابة الجميع بالنفى طبعًا ثم أجاب قائلًا، أو تدرى من يعرف، إنه الكاتب المنوط به أمر القبول فى الكلية لديه كشف بأسماء المتقدمين، وسيظهر كشف آخر به أسماء الناجحين فى الدور الثانى المنقولين إلى السنة الثانية، وسيعد أسماء الناجحين الذين خلت أمكنتهم فى السنة الأولى ليأخذ مكانهم من المتقدمين من الحاصلين على التوجيهية، ولا شك أنه سيضع خطًا فاصلًا بين المقبولين الذين سيحلون محل المنقولين، أين يضع هذا الخط. أنا لا أعرف ثم وجه السؤال إلىّ، ثم إلى الحاضرين بالتتابع وكانت النتيجة بالطبع إننا لا نعرف، فالأمر كله موكول إلى الكاتب المنوط به ذلك وهو وحده الذى يعرف أين يضع الخط، وهو المسئول أولًا وأخيرًا عن هذه العملية، فخرج الرجل متعجبًا من هذه البساطة وتلك الصراحة وتلك العدالة وخرج فى الوقت نفسه مطمئنًا أن ابنه إذا كان صاحب حق فسيأخذه حتمًا وكذلك كان يقال إنه الدكتور مشرفة إذا جاءته واسطة من أعلى المستويات كان يؤشر يحفظ إلى أن نصل إلى مجموعه.

٤٠ - هل هم تلامذه؟

فى إحدى جلسات المجمع، وقفت أشرح نقطة علمية فنية، وجعلت أفيض فى الشرح فصاح سعادة الرئيس معالى الأستاذ أحمد لطفى السيد، لماذا تعمل هكذا، هل هم تلامذة؟ فأجبت أنى تلميذهم دائمًا، ولكنهم فى هذه المسألة تلامذتى.

٤١ - العمل الأصيل والعمل الهامشى

_عندما صدر العدد الأول من مجلة رسالة العلم سنة ١٩٣٤ م، ذهبت أقدمه إلى معالى الأستاذ أحمد لطفى السيد مدير الجامعة آنئذ، فأثنى عليه

ثناء مستطابًا، وشجعنى على الاستمرار والمتابعة ثم ذهبت أقدمه إلى المرحوم الدكتور على إبراهيم، وكان عميدا لكلية الطب فى القصر العينى فقال إن هذه أول مرة يرى مجلة علمية باللغة العربية، وإن هذه المجلة سوف يكون لها شأن يوم تتعدد الجامعات فى مصر والبلاد العربية، أما المرحوم الدكتور على مشرفة، فقد قال لى بعد سنوات من صدورها بانتظام إن هذا عمل هامشى بالنسبة لك، ومع ذلك فهو أفضل من أعمال أصيلة لكثيرين وكذلك كان يثنى على مجهودى فيها عدد كبير ممن تهدى إليهم من أمثال الدكتور طه حسين، والأستاذ لطفى السيد، والأستاذ مصطفى نظيف والدكتور كامل حسين وغيرهم كثير.

٤٢ – الغرفة والحجرة

كنت فى إحدى جلسات المجمع. أشرح مسألة علمية، وأصف أنسجة معينة وتكررت فى حديثى كلمة غرفة عدة مرات، وفى إحدى العبارات قلت «حجرة» فصاح معالى الرئيس لطفى السيد كده مرة واحدة تنزل من غرفة إلى حجرة «واتضح أن الفرق جد كبير بين الغرفة التى تكون فى العالى أما الحجرة فتكون أسفل ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾ ومن ذلك الحين تنبهت إلى هذا الفارق الكبير بين الغرفة والحجرة فالأولى فى الطابق العلوى أما الثانية ففى الطابق السفلى.

٤٣ – أيفتى ومالك فى المدينة

حكى لنا المرحوم الشيخ عطية الصوابى، المناسبة التى أطلق فيها هذا المثل، فقال إن امرأة توفيت، وعندما كانت مغسلتها تباشر عملها، إذا بها تضرب بكفها على جسمها قائلة «يا ترى ماذا عملت فى دنياك» غامرة

إياها أو رأيته إياها فى شرفها، فالتصقت يدها بجسم المتوفاة، واستحال فصلها عنها، واحتار القوم ماذا هم فاعلون؟ حتى وصلوا إلى الإمام مالك، فقال سلوها، هل تعرف عنها ما يشينها، فلما سألوها أجابت أنها لا تعرف عنها شيئًا مريبًا، فقال مالك إذن فقد رمت محصنة، أقيموا عليها الحد، فلما أتموا ثمانين جلدة، انفصلت اليد عن جسد المتوفاة، فقيل عندئذ «أيفتى ومالك فى المدينة» وذهبت هذه القولة مثلاً.

٤٤ - ذهبت وظيفة المدير وبقيت الأستاذية التى لا تزول

فى رثائى لأستاذنا المرحوم مصطفى نظيف، وكنت أتحدث عن شجاعته ودقته وعلمه وحفاظه على كرامته إلى أبعد الحدود، وكيف أنه عندما جاءه وهو مدير للجامعة خطاب من مدير مكتب الوزير، فأصر على أن يحضر مدير المكتب بنفسه ليعتذر ويسحب الخطاب، وكان له ما أراد، وكيف أنه بعد أن قرأ حديثًا صحفيًا لأحد عمداء كليات جامعة عين شمس، ورأى فيه تعريضًا به وكان ذلك الحديث منشورًا فى إحدى الصحف الصباحية قرأه وهو يتناول إفطاره، فما كان منه إلا أن ذهب رأسًا لمقابلة الوزير، وعرض عليه نقل العميد المذكور، فلما رفض الوزير طلبه، أخرج من جيبه استقالته، وخرج مستقيلاً فى الحال، ولما ذهبت لزيارته فى المنزل، وعرضت عليه أن يقبل أن يكون أستاذًا زائرًا بالكلية ليقوم بتدريس ما يراه من مقررات علم الطبيعة، وفى تاريخ العلم فقبل فى الحال فقلت بهذه المناسبة، لقد ذهبت وظيفة المدير، وبقيت الأستاذية التى لاتزول

وكان القانون ينص على مكافأة متواضعة هى ثلاثمائة جنيه سنويًا ولكنها تصرف مشاهرة حوالى ثلاثة وعشرين جنيهًا شهريًا، ولما وصل

شيك باسمه فى شهر مايو إذا به يرفض استلامه، لأنه لم يدرس شيئا فى هذا الشهر، كمل أنه لن يدرس فى أشهر الصيف، وحاولت إقناعه بأن هذا حقه ولكنه رفض ورد الشيك إلى الجامعة.

حدثنى أستاذنا الدكتور كامل حسين، هكذا يكون رثاء أمثال مصطفى نظيف ولم يكن ليفعل ذلك سواك.

٤٥ - الشيخ والشيخان

كنت أطلق على أستاذى المرحوم مصطفى نظيف والدكتور كامل حسين لقب «الشيخان»، وكنت أردد لهما كثيرًا أنهما شيخىّ، وكان أستاذنا الدكتور كامل حسين يحذرنى من طلاق هذا اللقب عليهما فى وجود الزملاء من العراق لأن أغلبهم من الشيعة، وللشيخين عندهم منزلة معينة، وكان أستاذنا الدكتور كامل حسين، يعترض على وضعه فى منزلة واحدة مع المرحوم نظيف، وكان يقول إنه شيخى وشيخك. وقد ذكرت هذا التعبير فى رثائى للمرحوم نظيف بك اعترافًا بفضله، وإقرارًا بتقديره من جميع عارفى فضله ونبله وأدبه.

٤٦ - بيضى وبيضاوى

فى إحدى جلسات المجمع، كنت أعرض وصفًا علميًّا لعضو نباتى فقلت إنه بيضى الشكل فقال الأستاذ أحمد أمين لم لا تقول بيضاوى، فقلت إن بيضاوى نسبة إلى بيضاء، أما بيضى، فإنها نسبة إلى بيضة. فقال إن بعض التلاميذ أشقياء فى هذه الأيام. فقلت إنى ألتزم الصواب مهما يكن. ولا ينبغى أن أتكلم خطأ لأى اعتبار من الاعتبارات، وأقرنى المجلس على ذلك.

٤٧ - ما أنا بحكمدار
ولكن عندى امتحان من نار

فى وقت من الأوقات، طلبت الدولة من مدير الجامعة أستاذنا المرحوم لطفى السيد أن يقبل نظام الحرس الجامعى، فقال فى ذلك رده المشهور ما أنا بحكمدار، ولكن عندى امتحان من نار، يريد بذلك أنه ليس فى هيئة عسكرية أو بوليسية، وإنما هو أستاذ جامعى، وأن العبرة بالامتحان الذى هو من نار، فليحضر من يشاء من الطلاب وليتخلف من يشاء، والعبرة بالامتحان الذى هو من نار، فليحضر من يشاء من الطلاب وليتخلف من يشاء، والعبرة بالامتحان.

٤٨ - المغفل الوحيد

قلت مازحا لأستاذنا الدكتور كامل حسين، إن المغفل الوحيد الذى يقرأ هذه المجلة وهى رسالة العلم من الجلدة إلى الجلدة هو أنا، وإنى أستفيد من قراءتها مهما كانت بعض موضوعاتها بعيدة عن تخصصى لأنى أقرأ تجارب الطبع مرة وثانية وثالثة، وأدهشنى أستاذنا بقوله إنه المغفل الثانى لأنه يستمتع بقراءتها دائما، وكانت تلك مجاملة كريمة من أستاذ كريم.

٤٩ - ليس حجة

فى إحدى جلسات المجمع، وكان النقاش محتدمًا حول صحة كلمة، فقلت إنها صحيحة بدلالة وجودها فى تاج العروس: فأجاب الدكتور طه حسين وكان رئيسًا للجلسة، قال إن تاج العروس ليس حجة، إنما الحجة فى رأيه لسان العرب لابن منظور أو القاموس المحيط للفيروز بادى.

٥٠ - لسان العرب والهرم

من الأقوال المأثورة التى سمعتها من أستاذنا المرحوم الدكتور محمد ولى أن لنا أن نفخر بلسان العرب لابن منظور كما نفخر بالهرم تماماً، فكلاهما أثر نفيس لا نظير له، فكما نفتخر بالهرم ونعده من عجائب الدنيا، فكذلك لسان العرب لابن منظور يعتبر أثراً عظيماً نفخر به.

٥١ - كل من عسلنا

حكى لنا المرحوم الأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف، قصة طريفة عن العلاج بالعسل .قال إن الخديوى الأسبق ذهب ذات مرة إلى بلاد الحجاز للحج وفى أثناء إقامته سمع مناد يقول الطبيب، فدعاه إليه، وشكا إليه من ذات الجنب فوصف له الطبيب عسل النحل، فقال له الطبيب كل من عسلنا، وذلك بعد أن ذكر له الخديوى أنه تداوى به فى مصر ولم يشف، يقول وقد تحسنت صحته على عسل الحجاز، وذلك لأن مرعى النحل هنا يختلف عن مرعاه فى مصر، فهو فى الحجاز يغتذى بالنباتات البرية من زعتر وشيح وقيصور وما إليها على حين أنه فى مصر يغتذى بنباتات وزهور منزرعة من برسيم وورد وقطن وبرتقال وما إليها.

٥٢ - الجنس

كنا فى لجنة المعجم الوسيط وجاء تعريف كلمة الجنس فقال المرحوم الأستاذ الزيات الجنس هو العملية الجنسية، فقلت تطلق كلمة الجنس تعريباً للفظ Genus أحد وحدات التصنيف فى علوم الحياة ويطلق خطأ على السلالات البشرية مع بنى الإنسان من نوع واحد هو Uariety كما

يطلق ترجمة لكلمة Sex وكل ما يتصل بها ويؤدى إليها، فنقول أدب الجنس وشعر الجنس وليس شرط عملية الجنس وذكر البيت التالى:

وما نلت منها غير أنك بعينك عينيها - خائب

٥٣ - رأى الإنسان ضرب من العرض
هذان هما الأكرمان من حرماته

ورد هذا البيت على لسان المرحوم شاعرنا الكبير عزيز أباظة فى رثاء أحد أعضاء المجمع فأعجبنى كثيرًا، وسألت كثيرًا من الزملاء هل سبق شاعرنا إلى هذا المعنى، وهو مقارنة الرأى بالعرض، فقالوا لا، قلت لو أنى هارون الرشيد، لأعطيته مليونًا من الجنيهات على هذا المعنى المبتكر الأصيل رحم الله شاعرنا الكبير، وبالطبع كان يشير إلى ما استشرى فى هذا العهد من النفاق والاتجار بالآراء.

٥٤ - لمسة وفاء

لما نجحنا كلانا وأنا وأخى رحمات الله عليه فى الشهادة الابتدائية أصر والدى رحمه الله أن نمر على ناظر المدرسة لنقدم له التحية والشكر والعرفان فذهبنا ثلاثتنا ورحب بنا الناظر أجمل ترحيب وقدر لنا هذا الوفاء وشكر للوالد هذه اللمحة وفى الحق أننا لانذكر إلا كل خير عن المدرسة الابتدائية ومعلميها وناظرها فقد كان الجد والإخلاص والأمانة هى أهم ما يميزهم من صفات وكانت المدرسة تهيىء لنا قاعة للمذاكرة فى بعض أيام الأسبوع، لنلتقى بالمدرسين ليجيبوا على أسئلة الطلاب، لقد ترك هؤلاء الأفذاذ طابعهم على خلقنا وتعليمنا، وكذلك وجب أن نذكرهم بالشكر والعرفان، وكذلك عندما تخرجت فى كلية العلوم، وأصدرت مجلة رسالة

العلم باللغة العربية، وكنت رئيسًا لتحريرها، أهديت ناظر مدرسة فارسكور الابتدائية، وكان هو الناظر على أيامى أرسلت إليه بعض أعدادها فأرسل شاكرًا مقدرًا ممتنًا وفخورًا فى الوقت نفسه أن نذكره بهذا الوفاء، وفقنا الله إلى الوفاء لمن أحسنوا لينا وحقا إن الإنسان ابن بيئته.

٥٥ - لنا وحدنا

فى أوائل الأربعينات، وكانت الحرب العالمية مستمرة الأوار، وكان أستاذنا المرحوم الدكتور مشرفة يستقبل فى منزله فى الساعة الخامسة بعد الظهر من يومى ١٠، ٢٠ من كل شهر فيما بين أكتوبر ومايو من كل عام وكان يطبع تذاكر الدعوة ويرسلها إلى أعضاء هيئة التدريس منذ أوائل أكتوبر أى عند بدء العام الدراسى، وكانت القاهرة آنذاك هدفًا من أهداف الطائرات وبين حين وآخر تنطلق صفارات الإنذار منذرة بغارة جوية، فأراد الدكتور مشرفة رحمات الله عليه أن يعفى زواره وضيوفه من هذا الحرج وتلك المتاعب، فقدم الموعد من الثامنة والنصف مساء إلى الخامسة والنصف بعد الظهر، وكان قد مضى أكثر من سنة لم أذهب إلى هذه اللقاءات، لذا كنت حريصًا على أن أذهب بمجرد استلامى الدعوة، وفى أول فرصة يحل موعدها، فبمجرد استلامى تذكرة الدعوة وضعتها فى جيبى دون قراءتها وبالتالى لم أعلم أن الموعد قد تقدم إلى الخامسة والنصف، فذهبت فى الثامنة والنصف تمامًا، وضغطت على جرس الباب، فسرعان ما فتح، وأطل منه أستاذنا الدكتور مشرفة، فقال على الفور «احنا خلصنا»، وما كان من السيدة حرمه، وكانت تقف إلى جواره إلا أن أجابت على الفور بالعكس هذا أحسن، سيكون لنا وحدنا وأصرت على استقبالى وقدمت الشاى، وما إن تناولته حتى استأذنت فى الخروج عائدًا إلى المنزل.

٥٦ - لا يتعبنى ألا أن أرى من لا أحب أن أراه

فى أواخر أيام أستاذنا المرحوم الدكتور مشرفة، وكان قد مرض مرضًا طويلًا فى أواخر الأربعينات، فلما شفى منه، أقام حفل استقبال فى منزله وتوافد الزملاء وأعضاء هيئة التدريس والموظفون والأصدقاء على المنزل، وجعل رحمات الله عليه، يقابل ويسلم ويودع ويقدم لهذا السجائر ولذلك الشاى أو الحلوى واستمر الحفل طويلًا، فقال له أحد الزملاء، لقد تعبت وأتعبناك. فقال رحمه الله أنا أتعب! أنا لا أتعب أبدا، لا يتعبنى إلا أن أضطر أن أرى من لا أحب أن أراه.

٥٧ - موسوعة علمية

فى أثناء عملى بالكويت مديرًا لجامعاتها المنشأة آنئذ سنة ٦٣ - ١٩٦٤م فكرت فى كتابة موسوعة علمية وخططت لها هيكلًا يضم ثلاثين مجلدًا وبينما أكتب فى الجزء السادس منها زارنى أستاذنا المرحوم الدكتور زكى وتساءل من ذا سينفق على الطبع والنشر والإخراج. إنه يحتاج إلى نفقة كبيرة ثم قال إن بيروت قادرة على ذلك وإن فيها من يجيد إخراج مثل هذه الموسوعة، ولكنى طويت المشروع وما تزال الأجزاء الستة مخطوطة بخط يدى، لا أظنها فتحت بعد ذلك.

٥٨ - التاريخ الطبيعى للنباتات

فى أوائل عهدى بالعمل فى كلية العلوم فى الثلاثينيات الأولى، فكرت فى ترجمة كتاب التاريخ الطبيعى للنباتات إلى العربية، وقد كان أستاذنا «أوليفر» رحمات الله عليه هو أحد مؤلفيه.

واستأذنته فى ذلك، فقد أعجبنى أسلوب الكتاب ولغته وطريقته وبدأت فعلاً فى الترجمة وقطعت شوطًا كبيرًا فى ترجمة الجزء الأول، ثم خطر لى أن أعرض الفكرة على أستاذنا محمود توفيق حفناوى، وكان يعمل بكلية العلوم آنئذ أستاذًا مساعدًا بقسم النبات بكلية العلوم، فكان رأيه أن الآحاد الذين يفهمون هذا الكتاب هم أصدقاؤك، وبالطبع ينتظرون منك هدية فطويت المشروع وما أشك فى أن ما ترجمته من صفحات مازال بين أوراقى هنا وهناك ولكنى أعترف أنى استفدت كثيرًا من هذه المحاولات التى لم تتبلور إلى عمل قائم بذاته.

٥٩ - شروط المثقف

عندما كنت أعمل فى الكويت مديرًا لجامعتها المنشأة من أبريل سنة ٦٢ إلى يونية ١٩٦٤م كانت الجرائد المصرية تنشر كثيرًا من الأفكار والآراء حول تقسيم المجتمع إلى عمال وفلاحين وفئات أخرى، وكان الكتاب يسمون المجموعة الثالثة فئة المثقفين، فخطر لى أن أكتب مقالاً يحدد معنى المثقف فنفيت قطعًا تعريف المثقف بأنه من يعرف القراءة والكتابة، وأن مجرد محو أمية المرء لا يعنى أنه مثقف، وقسمت المتعلمين إلى ثلاث فئات هم المتعلم والعالم والمثقف وقلت إن المتعلم من تلقى دراسة برامج معينة حتى مستوى معين مؤهله لعمل معين، أما العالم فهو ذلك

المتخصص فى لون من ألوان المعرفة، يتعمق فيها إلى أبعد الأغوار، ويصل فى مستواها إلى أعلى قممها، وإنه ليستطيع أن يضيف إليها كل جديد بمتابعة السحث ما المثقف فأنا اشترط فيه عشرة شروط هى:

أولاً: أن بجيد لغته القومية قراءة وكتابة واطلاعًا على أدبها وشعرها فإنى لا أتصور مثقفًا لايستطيعأن يجيد القراءة والكتابة بلغته.

ثانيًا: أن يجيد لغة أجنبية واحدة على الأقل، وذلك حتى يستطيع الاطلاع على أدب أو علم بلغته الأجنبية الأصيلة، لأننا مهما قرأنا لشكسبير أو هوجو أو غيرهما مترجمًا فلا يمكن أن تنقل الترجمة الصورة الأصلية، التى يتذوقها ويفهمها من يقرأها بلغتها الأصلية.

ثالثًا: معرفة جيدة بدينه، والأديان الأخرى، حتى يكون على بينة من أصول وأركان دينه، وأوجه الخلاف بينه وبين الأديان الأخرى وحتى لا يكون مسلمًا بشهادة الميلاد فقط.

رابعًا: أن يكون ملما بتاريخ وطنه، لأن الثقافة تتصل بالأوطان والقوميات وأما العلم فإنه كما يقولون: «لا وطن له» أما المثقف فينبغى أن يكون عارفًا بمسار تاريخ بلاده سواء كان إنجليزيا أو فرنسيا أو مصريا ما أشهر الأحداث التى مرت بها، ومن أشهر حكامها، وما أهم المشروعات التى طورت حياتها.

خامسًا: أن يكون له تخصص، يسعى إليه فيه - أيا كان هذا التخصص، حتى ولو كان نجارًا، كما سألنى أحد محدثى من الأمريكيين، قلت لو كان نجارًا، فهو يعرف أنواع الخشب ويجيد المفاضلة بينها للأغراض المختلفة ويستطيع أن يوجه نحو المبدعين فى هذا الفن، وكذلك الطبيب والمهندس والكيميائى ومن إليهم، فهو يعرف مصادر هذا العلم

وموارده، يستطيع أن يدل على المراجع، وأن يحول السائل إلى المختصين فى هذا الفرع أو ذاك.

سادسًا: معرفة عامة بالعلم، لأن العصر الذى نعيشه هو عصر العلم، فهذه الذرة ونواتها، وهذه العناصر المشعة، وهذه سفن الفضاء، وهذه الأقمار الصناعية، وهذا المذياع والتلفاز والالكترون والرادار والطاقات ومصادرها والتلوث وأسبابه، وهذه الصواريخ عابرة القارات، وهذه الطائرات الأسرع من الصوت، وهذه أبوللو التى حطت على القمر وفايكنج التى حطت على المريخ، فالمثقف ينبغى أن يعيش عصره، وأن يتابع أحداثه.

سابعًا: معرفة عامة بالفنون، فهذه تشكيلية وتلك تجريدية وأخرى تأثيرية، وهذا رسم وذلك نحت وغيره تصوير، وهذا مسرح وتلك سينما وهذه أوبرا وهذه موسيقى تصويرية وأخرى كلاسيكية، وتلك سيمفونية، وتلك تعبيرية، وهذا رسم بالفحم أو الزيت أو بالماء.

ثامنًا: معرفة عامة بالمذاهب الفكرية والسياسية والاقتصادية وما إليها ماذا عسى أن تكون الاشتراكية والرأسمالية والديمقراطية والليبرالية والشيوعية وماذا عسى أن تكون الوجودية والواقعية والسيريالية والارستقراطية وحكم البروليتاريا وما إلى ذلك.

تاسعًا: معرفة عامة بالحضارات والفلسفات، فحضارة فرعونية وأخرى إسلامية وغيرها حديثة، وهذه فلسفة سقراط وأفلاطون. وتلك أرسطية وهذا نيتشة وديكارت وكانط، وهذا ابن سينا وابن رشد.

عاشرًا: معرفة عامة بالأحداث الكبرى فى التاريخ، ما أسبابها وما نتائجها هذه الحرب الأهلية فى أمريكا وتلك الثورة الفرنسية، ثم الثورة البلشفية ثم الحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية، وهذه

معاهدة فرساى، وهذه عصبة الأمم، وتلك هيئة الأمم، و هذه منظمة اليونسكو، وهيئة الصحة العالمية، وهيئة الأغذية والزراعة.. إلخ.

قال أستاذنا المرحوم أحمد زكى، وهو يستمع إلى هذا الحديث، ونحن فى الكويت إنك ترسم نفسك، قلت لست منهم، قال إذن هو أملك، قلت نعم وكذلك ينبغى على المثقف أن يعرف مشاهير العلماء والأدباء والفنانين والكتاب والفلاسفة والشعراء والمؤرخين فى كل العصور ومن كل الأجناس، وأذكر أنى كتبت أسماء نحو ثلاثمائة من هؤلاء، وقلت فى آخر الحديث ومع ذلك فما أشك فى أن هناك مئات أخرى لا أعرفهم ولا أذكرهم، وخير درجات الثقافة أن يعرف المرء أنه لا يكاد يعرف شيئًا، وأن فوق علمه علمًا فهو يتواضع لهذه الزيادة وذلك مصداق للحديث الشريف، لا يزال طالب العلم عالمًا، حتى إذا ظن أنه علم فقد جهل ومصداق لقوله تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا﴾.
(صدق الله العظيم)

٦٠ - مبنى الاتحاد العلمى المصرى

عندما تولى السيد صلاح هدايت وزارة البحث العلمى، واستطاع أن يستولى على المبنى الذى تشغله الوزارة، ويتكون من عدة طبقات، وصرح الوزير للاتحاد أن ينقل إلى الطابق الخامس من مبنى الوزارة، ولم يكن البناء قد جهز بعد، ولا المصعد ركب، ولا السلالم العليا قد غطت بالرخام ونقلنا فعلًا بعض الدواليب، وانتظرنا عبثًا أن يتم تجهيز البناء، حتى يمكن أن ننقل أعمالنا واجتماعاتنا إلى هناك، وطال الانتظار أسابيع متعددة دون جدوى وفى هذه الأثناء كانت زوجتى تستعجل نقل الاتحاد، حتى ننتقل نحن إلى مبناه فى عمارة تاجر، فالموقع ممتاز، والشقة ممتازة وإيجارها بالنسبة

لموقعها مغرى جدًّا. وذلك بالنسبة لبيتنا المتواضع فى الدقى، ونقل السعاة إلى زوجتى خبر تباطئ فى النقل، ثم رفضى إياه، عندما تصورت أن أكلف الأعضاء شططًا فى الصعود بلا مصعد، والعمل فى مكان لم تجهز به بعد دورات المياه وقد كان من اليسير أن أنفذ رغبتها لأن عقد الإيجار مكتوب باسمى بوصفى أمينًا عامًّا للاتحاد، ولكنى رفضت أن أنتهز الفرصة وأستغل سلطاتى كأمين للاتحاد وأن أخلى المبنى من الاتحاد وأنتقل إلى مبنى الوزارة تنفيذًا لرغبة الوزير وأحتل أنا هذه الشقة الممتازة، ولا أظن السيدة زوجتى قد غفرت لى ذلك أبدًا.

٦١ - حق السعى

اصطلاح مستعمل فى البلاد العربية بعامة، وفى المملكة العربية السعودية بخاصة يدل على ما يدفع عمولة لمن يتوسط فى بيع أو شراء، وهو يتراوح بين خمسة وعشرة فى المائة من قيمة الصفقة، وعندما توسط أحد طلابى للحصول على الشقة التى أقطنها فى عمارة الأمير عبد الله بن سعود، ودعيت لكتابة العقد، وإذا بالإيجار يرتفع من أربعة آلاف إلى ستة عشر ألفا، وكان تاريخ العقد ٩٦/١/١٧ وإذا بالكاتب يضيف ثلاثة أشهر، فيرجعه إلى ٩٥/١١/١، ويصر على أن أدفع فى الأثاث عشرين ألفا، ثم على أن أدفع حق السعى للمالك وقدره ثمانمائة ريال، وكان له ما أراد، ولكن الغريب أن يدفع حق السعى كل عام فدفعته مرة أخرى، وسألت الوكيل هل يعتبر ذلك شرعيا، قال نعم. وعندما وكلت إلى الأمانة شراء صفقة من مخطوطات قديمة، وحضر اللورد اسكويت صاحب المخطوطات ومعه مدير أعماله الإنجليزى وانفردنا ثلاثتنا فى حجرة مكتبى، قلت إن هذه المجموعة نريد بعضها ولا نريد بعضها الآخر، فقالوا إننا لا نبيعها إلا جملة واحدة، فقلت إنها لا تلزمنا جميعها، بل بعضها فقط، قالوا إننا

ندفع ١٠٪ كحق سعى فقلت هذا أدعى أن نرفضها جميعًا، وتبلغ هذه القيمة نحو عشرة آلاف دولار وفشلت الصفقة بسبب رفضى لحق السعى المعترف به هنا.

٦٢ - التدريب العسكرى الإجبارى

فى أكتوبر سنة ١٩٥٢م وكانت الثورة ما تزال حدثًا جديدًا، وكان المرحوم الأستاذ القبانى وزيرًا للمعارف، طلب إليه رجال الثورة عقد اجتماع مع ممثلى الجامعات لدراسة إمكانية جعل التدريب العسكرى إجباريا فى جميع الجامعات والمعاهد، وفى أول اجتماع عقد بمكتب معالى الوزير وترأسه معاليه والدكتور حسام الدين ممثلًا لجامعة القاهرة، والأستاذ نجيب ممثلًا لجامعة الإسكندرية. وكنتُ ممثلًا لجامعة عين شمس، وحضر الاجتماع ثلاثة من ضباط القيادة، أذكر منهم جمال عبد الناصر، وكمال الدين حسين، فسأل الوزير ما رأى جامعة القاهرة فقال ممثلها موافق، ثم سأل جامعة الإسكندرية فقال ممثلها مثل جامعة القاهرة، ثم وجه السؤال إلىّ طالبا رأيى، فقلت كنت أتمنى أن أوافق، ولكن هناك استحالة مادية، وقد مررنا بالتجربة فى العام الماضى، حين ألغيت المعاهدة، وأضرب الطلاب، طالبين التطوع فى حرب القناة فقلت أنتم على حق، فليس أثمن من العلم إلا الحرية والكرامة فماذا عساكم تطلبون، قالوا نطلب ساعتين يوميًا نوقف فيها الدراسة ونتدرب عسكريًا فوافقتهم على ذلك، وأوقفنا الدراسة ما بين الساعة العاشرة والساعة الثانية عشرة كل يوم واتصلنا بوزارة الحربية لإمدادنا بالمدربين والأدوات التى تلزم وانتظرنا أسبوعين دون فائدة، واضطر الطلاب أن يطلبوا هم العودة إلى دروسهم فنحن فى الكلية مهمتنا تعليمية علمية، ولا شأن لنا بالتدريب العسكرى، فنحن لا نملك إلا تهيئة الوقت الملائم، وأنتم تمارسون العملية الفنية من تدريب

وأسلحة وما إليها، وفى آخر الجلسة اتفقنا على أن يقدم كل مندوب احصائيات عن عدد الطلبة فى الكليات المختلفة ومستويات أعمارهم فى كل سنة دراسية.

وفى الجلسة التالية وكان موعدها السبت التالى للجلسة السابقة أى بعد أسبوع اجتمعت اللجنة فى الموعد المحدد، وقد الوزير بيانات عن بعض مدارس القاهرة كالخديوية والسعيدية والتوفيقية، كما قدم ممثل جامعة القاهرة بيانات عن بعض الكليات وكذلك فعل ممثل جامعة الإسكندرية وكنت الوحيد الذى قدم بيانات كاملة عن جميع طلبة كليات الجامعة وأعمارهم فاتخذت جامعة عين شمس مقياسًا ومعيارًا لتقدير أعداد الطلاب الذين يمكن تدريبهم عسكريًّا فى سن معينة ولتكن بين التاسعة عشرة والعشرين، فتبين أنهم يبلغون سبعين ألفًا، وهنا صاح السيد كمال الدين حسين قائلاً، إننا فى العسكرية نرتبك إذا زاد العدد على خمسمائة فقلت ما شاء الله، أنتم يا من مهمتكم الأساسية التدريب العسكرى ترتبكون من خمسمائة، وتريدنا نحن يا من مهمتنا الأساسية تعليمية علمية فقط، تريد منى أن أقوم بتدريب سبعين ألفًا، وليس لدينا مدربون ولا أجهزة ولا أدوات، قلت لهم ليكن اختياريًّا فرفضوا، قلت اجعلوا التدريب للمدرب عسكريًّا امتيازات معينة، بمعنى أنه إذا أدى عددًا من الطوابير والتدريبات المعينة، يمكن أن يعفى من بعض مدة الخدمة العسكرية فرفضوا، قلت سيكون أفشل مما كان وفعلاً فقد ثبت فشله لعدم توافر الإمكانيات، وثبت أن بعض الطلاب يحولون من كلية إلى أخرى أو يفصلون منذ أول العام. وإذا بهم ناجحون فى مادة التدريب العسكرى وما ذلك إلا لعدم انضباط المسئولين عن هذه العملية.

٦٣ - لابد من أن يعتذر وأن يسحب

بينما أنا فى مكتبى وأنا عميد لكلية العلوم، فى الخمسينات، وإذا بضابط الحرس يستأذن فى الدخول، ثم يطلب أن يعرض أفلامًا سينمائية على الطلاب مثل فيلم شاطئ الغرام، ويبيع التذكرة بقرشين، ويمكن من الحصيلة أن ينفذ بعض المشروعات لصالح الطلبة، فاستمعت إليه بصيغة منتهى الدهشة أن يتداخل فى أعمال الكلية، وقلت له هذه كلية العلوم بأقسامها، ومهمتى أن أيسر وأهيىء الظروف لكل أستاذ أو طالب أن يؤدى عمله على خير وجه وأن أحل المشكلات التى تعترض أى واحد، حسب رأى القسم والأستاذ المختص وكذلك الشئون الاجتماعية عندنا اتحاد الطلبة وبه لجنة اجتماعية وأخرى ثقافية ورياضية... إلخ.

فعملى أن أهيىء الظروف وأحل المشكلات لكى يؤدى كل واجبه على خير صورة ونحن الآن فى ساعة الظهيرة، نجد أفلامًا علمية، تعرض فى بعض المدرجات، حتى تتيح للطالب أن يرى صورة علمية صناعية، لما سمعه فى المحاضرة نظريًّا، وما رآه فى المعمل فى أنبوبة اختبار، فيراه فى المصنع على مستوى صناعى تجارى فخرج الرجل غاضبًا، فيما علمت فيما بعد وقال كيف للعميد أن يحدثنى بهذه اللهجة وهو ليس رئيسًا لى، وهذا البرنامج الذى أعرضه سينفذ حتمًا، فقلت إن هذه كلمة حق قالها، فلست رئيسًا له لأنه يحمل نجمتين ولا أحمل ثلاثا، ولكن الهواء الذى يتنفس فيه أنا مسئول عنه والكرسى الذى يجلس عليه والطالب الذى يدربه ولابد أن يعتذر وأن يسحب، وكان لى ما أردت فبعد أسبوع حضر مع رئيسه واعتذرا وعادا من حيث أتيا، وكنت قد قلت له إن الشىء الذى نشكرك له على تعليم إيانا إنما هو التدريب العسكرى، وهو ينتهى فى الثامنة والنصف قبل أن يبدأ أى درس.

٦٤ - احمد ربنا

«احمد ربنا أن نتكلم بهذه الصورة، وتبقى خارج السجون والمعتقلات» عبارة قالها لى المرحوم عزيز أباظة، حين كان يسمعنى أتحدث عن مساوىء السد العالى، ومشروع الوادى الجديد، ومديرية التحرير، وما إليها من مشروعات فاشلة، كلفت الدولة ملايين الجنيهات، ونتائجها سلبية إلى أبعد الحدود، فكان رحمات الله عليه يشفق علىّ من آثار هذه الأحاديث الصريحة التى تصل إلى المسئولين قطعًا، وذات مرة التقيت معه وأخيه أحمد فقال لى إن لدى أخيه بضعة آلاف من الجنيهات ويريد أن يشترى بها ألف فدان فيما أسموه الوادى الجديد، فنصحت له بعدم تنفيذ هذا المشروع، وعددت له الأسباب التى أعتقدها، وعندما خطب الرئيس معلنا كشفه لهذا الوادى الجديد التى تبلغ مساحته ثمانية ملايين فدان التقيت فى الاتحاد العلمى المصرى بوفد من الصحفيين وقلت لهم إن نيلنا يجرى رخاء فى وادى صنعه هو منذ آلاف السنين، وبالكاد زرعنا ستة ملايين فدان، فما بالكم بوادى فيه مرتفعات تعلو مئات الأمتار، والتربة الرملية الخشنة، إن الوادى الجديد يحتاج إلى عشرة أنهار مثل النيل لكى تكفيه مع هذه الظروف، ولم ينبت بعد أن هناك نيلاً ثانيًا يجرى رخاء فى هذه المنطقة، والماء حفرى كما ثبت بالكربون المشع فالماء المستغل لا يعرض بالسرعة الكافية، ولما قال صاحبنا إنها تجربة، هى ومديرية التحرير، قلت إننا نجرى التجارب فى أطباق «بترى» ثم فى أصيص ثم رقعة أرض أقل من الفدان إلى أن تنجح التجربة فتعم على نطاق واسع وفى عرض كلمة «اكونيتم» فى المجمع قلت إنه نبات يسمى خانق الذئب أو قاتل النمر أو قاتل المشير وكانت إشاعة أنه قتل بسمه من أجل ذلك كان يخشى على المرحوم عزيز أباظة، ولكنها كلمات حق أؤمن بها لأن الساكت عن الحق شيطان والرزق على الله.

٦٥ – الجنة بعينها

فى أكتوبر سنة ١٩٧٤م، كنت وزوجتى فى أمريكا، فى زيارة لولدنا «عادل» وقمنا بزيارة مدينة الشمس Swncity فى ولاية أريزونا، حيث البحيرات والنوافير الصناعية، والسيمفونيات التى تنطلق تلقائيا، والحدائق البهيجة والأشجار الباسقة والفيلات ذات الحدائق وحمامات السباحة الخاصة قالت زوجتى إن هذه هى الجنة بعينها، فقلت ولكن ينقصها شيء، قالت ما عساه يكون، قلت «الحور العين» قالت نحن هنا، قلت على العين والرأس ولكنك واحدة والنص القرآنى الكريم يستعمل صيغة الجمع، وفسره المفسرون بأن عدد الحوريات لا يقل عن مائتين وقيل ثلاثمائة وقيل أكثر، فمعنى ذلك أنه ينقصنى مائة وتسع وتسعون حورية على الأقل.

وفى الحقيقة أن مدينة الشمس فى أريزونا لم تر لها نظيرًا فى الجمال والبهاء، وبخاصة تلك الفيلات المتناثرة على شواطئ البحيرة الصناعية والمؤثثة أجمل تأثيث، مما يدل على منتهى الترف، ويتراوح ثمن الفيلا بين أربعين وسبعين ألفًا من الدولارات، ويمر بنا الترولى باس، لنشاهد عددًا منها، كل منها تفوق الأخرى ترفًا وبهاءً وجمالاً، وعندما ترتفع مياه النافورة عند تمام الساعة طيلة النهار، تدور أسطوانة موسيقية بإحدى السيمفونيات الكلاسيكية وكذلك كان من الحق أن تظن السيدة الفاضلة أن هذه هى الجنة بعينها وكان من حقى أن أقول إنها تنقصها الحور العين.

٦٦ – شباب القلب

فى سبتمبر سنة ١٩٥٧م، كان المؤتمر العلمى العربى منعقدًا فى بيروت، وكان عقد المؤتمر غير مرحب به لا من مصر ولا من لبنان ولكن لم يحدث

حظر ولا منع، فعقد المؤتمر فى موعده وسافر المؤتمرون من القاهرة فى طائرة خاصة، وعلى عكس ما كان يتوقع نجح المؤتمر نجاحًا كبيرًا، ووجدنا من أهل لبنان ومن المسئولين إكرامًا وكرمًا بالغين وتعددت المآدب والمحاضرات والجلسات، وامتد المؤتمر إلى أسبوعين بدلًا من أسبوع واحد وفى أحد الأيام أقمت حفلة شاى للمؤتمرين، وحضر الحفل سعادة الدكتور رئيف أبو اللمع وكان أمينًا مساعدًا للجامعة العربية. وبعد أن تناول الشاى ذهبت أوصله إلى المصعد شاكرًا له حضوره، وكان يشكو من الشيخوخة، فقلت له إن المهم شباب القلب، فتنهد تنهيدة لا أنساها، وقال يا أخى شباب القلب لا يكفى، فلما عدت إلى المجتمعين وسألت ما رأيكم وما رأيكن فيما يقوله سعادة السفير فى قوله شباب القلب لا يكفى - ومنهم ومنهن من لم يوافق على أن شباب القلب لا يكفى، وفى أثناء عودتنا بالطائرة الخاصة، قلت للمضيفة الجميلة أتدرين آخر قرار اتخذه المؤتمر، قالت لا.. قلت لها لقد قرر المؤتمر أنك أجمل مضيفة صادفناها، قالت مبتهجة، يسلم فمك، أبلغ الشركة بهذا القرار وفى هذا المؤتمر قدمت الأستاذ فؤاد صروف محاضرًا عن السنة الجيوفيريقية، وقلت إن الثقافة فى مصر والبلاد العربية مدينة لآل صروف، فقال فى رده علىّ ضاحكًا وشاكرًا يا أخى لقد ألبستنى جبة واسعة.

٦٧ - بدأنا من الصفر المطلق

فى إحدى الجلسات بمجلس جامعة عين شمس، وكان المفروض توزيع مبلغ أربعين ألف جنيه، جاءت دعمًا لميزانية الجامعة، واحتدم النقاش بين الأعضاء، كل يريد أن يأخذ لكليته أوفى نصيب، وبخاصة الكليات العملية من هندسة وطب وزراعة وعلوم وغيرها، وكان ذلك فى أواسط الخمسينات وكانت الجلسة برئاسة أستاذنا المرحوم مصطفى نظيف، واستمر الأخذ

والرد بين الزملاء وأخيرًا قلت يا سادة، لقد بدأنا فى كلية العلوم من الصفر المطلق ولم نتحرك منذئذ، فقال بعض الأعضاء وماذا عساه يكون هذا الصفر المطلق قلت إنه ينقص عن الصفر الذى تعرفونه مائتين وثلاثا وسبعين درجة، إنه (- ٢٧٣) كما تعلمون. وفى هذه الجلسة خرجت لكليتى بنصيب الأسد إذ حصلت على ٢٢,٠٠٠ ألفا من الأربعين، حيث قلت إن الأجهزة متوافرة فى السوق ومستعد أن نصرف المبلغ ونقدم الفواتير فى خلال أيام قلائل.

وفى إحدى المرات قال أستاذنا نظيف إن الغزالة تستطيع أن تغزل.. فقلت له هل تستطيع أن تقيس القوة الدافعة الكهربائية بما يمكن أن تغزل به الغزالة؟..

وفى إحدى السنوات حصلت على ما فاض لدى الكليات الأخرى من ميزانيات لم تصرف، فأخرجت فى سنة عددين من الحواليات العلمية تكلف ألفًا من الجنيهات، وفى سنة أخرى اشتريت جهازًا بألف أخرى، وكل هذا من ميزانيات لم تصرفها كليات أخرى، وكنت أقول أحيانًا أفرضوها عارية ترد، أى قرضًا وتضاحك الرئيس قائلًا ولم عارية، قلت وما عيبها إذا كانت عارية..

٦٨ - أين هو من هذا كله؟

فى إحدى جلسات مجلس جامعة عين شمس، طلب عميد كلية التربية تسجيل أحد الضباط للدكتوراه فى التربية، فقلت للسيد العميد إن لائحتكم تنص على أن من يسجل للدكتوراه يجب أن يكون حاصلًا على الماجستير، ومن يسجل للماجستير ينبغى أن يكون حاصلًا على الدبلوم الخاصة، ومن يتقدم للدبلوم الخاصة ينبغى أن يكون حاصلًا على الدبلوم

العامة، ومن يتقدم للدبلوم العامة ينبغى أن يكون حاصلاً على بكالوريوس علوم أو آداب أو ما يعادلها فأين هو من هذا كله فرد العميد قائلاً إنه حاصل على بكالوريوس الكلية الحربية، قلت له أولاً إن ما حصل عليه الطالب آنئذ لم يكن بكالوريوس وإنما دبلوماً ولم تكن مدته أربع سنوات بل بضعة أشهر، ولو أنها كذلك لوجب أن يعادلها هذا المجلس بما يمنح من بكالوريوسات، ولكن ماذا يعادل؟ وأشرت بيدى إلى حركات الألعاب الرياضية، وأخيراً رفض الطلب وتكرر هذا الطلب عدة مرات فى سنوات متتابعة، وكان مصيره الرفض طيلة عضويتى فى مجلس الجامعة، وفى ذات مرة حدثنى رئيس قسم الجيولوجيا فى جامعة القاهرة تلفونياً، قائلاً إننى الوحيد الذى أعارض، فقلت له لست إلا عضواً فى المجلس الذى يقرر الرفض، قال بل يقولون إنه أنت وحدك، قلت ولم لا تسجله للدكتوراه فى الجيولوجيا عندك، إن الدرجات الجامعية متماثلة فى القدر والكيف، فقهقه ضاحكاً لأن ذلك مستحيل طبعاً أن يسجل الدكتوراه الجيولوجيا من ليس لديه البكالوريوس على الأقل.. ولكن كان كذلك منطق كلية التربية بالنسبة للضباط خاصة.

٦٩ – شاطر ومشطور

فى أبريل سنة ١٩٦٢م، ذهبت إلى الكويت، مديراً لجامعتها المنشأة، وفى ثانى يوم وصلت الكويت، دعيت إلى مقابلة سمو الأمير عبد الله السالم الصباح أمير الكويت وبعد التحية والسلام، قال يا أخى أنا فى نفسى من المجمع شىء قلت «خير ان شاء الله يا سمو الأمير»، قال يا أخى هذا الشاطر والمشطور وبينهما طازج، قلت له لم يحدث أن وضع المجمع هذا المصطلح للدلالة على الساندوتش، إنما وضع كلمة «شطيرة» ولكن هذا تشنيع من الصحافة، فبعض الصحف يأخذ من أعمال المجمع مادة للتهكم،

وهو برىء من كل هذا وكذلك قالوا إن المجمع وضع كلمة «زعرور» للدلالة على الوزير وهذا لم يحدث خاصة وأن كلمة وزير عربية قرآنية، فما هو الداعى لتغييرها ووضع بديل لها، ثم أضفت أن أعمال المجمع وجلساته، مطبوعة ومنشورة وهى بين أيدى الدارسين والراغبين فى الاطلاع عليها، وهذا ما دعانى فى إحدى الجلسات فى مجلس المجمع، وكان البعض يرى التصدى للرد على مثل هذه الافتراءات، ولما طلب إلى معالى الرئيس أستاذنا المرحوم لطفى السيد، قلت رأيى «إن نعلو على هذا» فسندخل فى حوار ونقاش لا طائل تحته وسينشرون ما يريدون ويغفلون مالا يريدون مما قد يؤدى إلى مهاترة لا طائل وراءها.

٧٠ - من لم يتزوج مصرية

فى إحدى رحلاتى للمغرب، سمعت حديثًا ينسب إلى رسول الله ﷺ هو قوله «من لم يتزوج مصرية فهو غير محصن، وفى رواية مات كمدا، وفى أخرى مات عزبا». ولما عدت إلى القاهرة، سألت فضيلة شيخ الأزهر، فأجاب «نعم» لقد ورد فى الستة يريد فى الستة كتب المعتمدة. فى رواية الحديث الشريف. وأذكر أننى عللت ذلك بأن «مارية القبطية» التى أهديت إلى الرسول الكريم، لابد أنها أعجبته وأنها كانت على مستوى حضارى وثقافى وجمالى، مما دعا الرسول إلى أن يحييها هذه التحية الكريمة فينسب إلى المصريات جميعًا هذه المواهب التى قدرها عليه الصلاة والسلام فى حديثه الشريف وأذكر أنى رويت الحديث لطالبات كلية البنات فى جامعة عين شمس، فسررن به سرورًا عظيمًا فكأنما كنت داعية لهن ولحسن خلقهن وجمالهن ومودتهن وبالتالى سعادة المتزوج من بينهن، وكثيرًا ما رويت هذا الحديث أمام السيدات المصريات فكن يؤمن على كلامى

طبعا، ويرون الكثير عن زواج غير المصريين من المصريات وتفضيلهن على غيرهن من جنسيات عربية أو أجنبية.

٧١ - وصية شكسبير

من العبارات المأثورة عن شكسبير فى إحدى رواياته، وأظنها الليلة الثانية عشرة حين أضربت بطلة الرواية عن الزواج، بعد فقدها لمن تحب ومن كانت تأمل أن تتزوج منه، وأرسل لها آخر ممن يعشقونها ويتمنون الاقتران بها يقول: «إنك يا سيدتى تكونين أقسى مخلوقة وجدت لو حكمت على هذا الحسن ألا يترك للعالم صورة منه من بعده، فكنت أردد هذه الوصية أمام زوجات أنجبن ذكورًا، اثنين أو ثلاثة وليس بين إنتاجهن بنت، فرددت هذه الوصية أمام إحدى السيدات ولها ثلاثة أولاد هم الآن فى سن الرجولة والشباب فقالت السيدة وقد نظرت إلى زوجها الكبير نوعًا فى السن، وقالت ومن أين آتى بهن؟ تشير إلى كبر سن زوجها «ثم ذكرت الوصية لإحدى تلميذاتى من السيدات الشابات وقد أنجبت ولدين، ولم تنتج بنتا، ثم سألتها بعد أسبوع ماذا فعلت بوصية شكسبير، قالت ضاحكة لقد حصل... وهكذا كانت هذه الوصية مثار نقاش ممتع بين السيدات شابات كن أو كهلات، فهى تحية تقدير لجمالها على الحالين سواء أكان الجمال غاربًا أو باقيًا ما يزال يرسل بإشعاعه وأشعاته.

٧٢ - الخامسة والسادسة

فى أواسط الخمسينات، شعرت بألم شديد فى رقبتى، وخدر وتنميل فى أصابع الإبهام والسبابة فى يدى اليمنى، وذكرت الحالة إلى أحد الزملاء وكان عميدًا لإحدى كليات جامعة القاهرة فى التليفون، فقال أعطيك

بطاقة تذهب إلى أحد أطباء العظام من أصدقائى، فقلت له لست طالب وظيفة حتى آخذ بطاقة توصية، فإذا كنت تريد خدمتى حقًّا فلتأخذ موعدًا من صديقك الطبيب، وتحضرنى إليه وقد كان، وبعد أن فحص الطبيب الحالة، طلب إلى أن أصنع طوقًا من الباغة ألبسه فى رقبتى ليبقى عليها مشدودة فى وضع مستقيم، ولكنى لم أجد صاحب محل الأطراف الصناعية فى نفس المساء، فأجلت الموضوع إلى الغد، وفى الغد قابلت أستاذنا الكبير الدكتور كامل حسين فوصفت له الحالة قال «عارفها عارفها» إنها الخامسة والسادسة، قلت ماذا تعنى قال لا شأن لك بذلك، مر على فى العيادة الساعة الرابعة بعد الظهر فذهبت إليه فى الموعد، فأدخل طوقًا فى رقبتى وجعل يشده بوساطة بكرة مثبتة فى سقف الغرفة، وجعل يشد الحبل فيشد رقبتى إلى أعلى ويقول هل استرحت فأجيب بالنفى، فقال حظك وحش، وطلب إلى الممرضة أن تأخذ صورة أشعة لرقبتى فأحضر إلى صورة وقال انظر هذه هى الفقرة الخامسة ضاغطة على الفقرة السادسة وأنها بذلك تشل العصب الذى يخرج من بين الفقرتين ليغذى هذه الأصابع فتشعر بالخدر الذى تحسه، عليك بخمس جلسات أشعة اكس العميقة واستعمال هذه الحقن وتلك الحبوب من فيتامين «ب» المركب.

٧٣ - متى يشتد ساعدى؟

بعد إتمام العلاج كما وصفه تمامًا، لقيت أستاذنا مرة أخرى، وكان اللقاء هذه المرة فى مجلس الجامعة، وكان اللقاء الأول فى مجلس المجمع وقلت له متى يشتد ساعدى فقال إذا اشتد ساعدك سترمينى، فقلت لا عاش من يرميك أيها الأستاذ الكبير، إن الساعد الذى يرمى هو المستد أى الذى يجيد التسديد، وليس المشتد، فالأخير هو الذى يجيد الحضن تعبيرًا عن الشكر والتقدير لمن كان الشفاء والشدة على يديه.

وكان أستاذنا يشير إلى الشاعر الذين يقول:

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

وأنا أقول لأستاذنا متى يشتد ساعدك لآخذك بالأحضان تعبيرًا عن شكرى وتقديرى لمن كتب لى الشفاء على يديه، فسألنى كم عدد الجلسات التى تعرضت فيها إلى أشعة إكس فقلت لقد نفذت تعليماتك وجلست خمس جلسات قال خذ جلستين أخريين، وفعلاً ذهبت إلى طبيب الأشعة وجلست جلستين أخريين وكان الشفاء التام من أعراض هذه الحالة على يدى أستاذنا الكبير بإذن الله ولم أحتج إلى الرقبة الباغة ومتاعبها، ولكن الأشعة أسقطت الشعر من مساحة معينة من القفا، ولكنه عاد إلى النمو والظهور مرة أخرى بفضل الله.

٧٤ - الشيطان من وجهة نظر العلم

سألتنى مجلة الهلال الغراء عن رأيى فى الشيطان من وجهة نظر العلم، ونشرت الهلال المقال، وقد ذكرت فى مطلعه أنى كمسلم مؤمن أعتقد بوجود الشيطان بطبيعة الحال، ونحن نستعيذ بالله دائمًا من هذا الشيطان الرجيم.

ولكننا فى العلوم الطبيعية، لابد من المشاهدة والتجربة والاختيار وأن الشيطان كما ورد فى الحديث الشريف «يجرى فى الإنسان مجرى الدم فى العروق، وأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وفى نفسه جانب الخير من صدق وأمانة ووفاء وإخلاص - وفيها جانب الشر ونوازعه، وأن الإنسان إذا فعل الخير، فقد تغلب الجانب الخير فيه، وإذا مارس الشر فقد تغلبت نوازع الشر «وأن هتلر حين أشعلها حربًا ضروسًا أتت على الملايين من البشر فهل هو الشيطان الذى أوحى إليه بذلك أو نزعته الشريرة هى الموعزة إليه.

وأن ترومان حين أمر بإلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما وناجازاكى فأفنت وشوهت مئات الألوف، هل هو الشيطان الذى أوعز إليه بذلك؟

أم أن نزعة إنهاء الحرب واستعمال أشد الأسلحة فتكًا وتدميرًا فى سبيل وضع حد لهذه الحرب الطاحنة التى استطالت ست سنوات كاملة، أغلب الظن أن الشيطان هو المشجب الذى يعلق عليه الإنسان مساوئه ومثالبه ومع ذلك فأنا أومن بوجوده كمسلم سألت شيخ الأزهر هل كفرتمونى بسبب هذا المقال قال لا، فاستراح ضميري وآمنت بالله العظيم الذى لو شاء لهداكم أجمعين.

٧٥ - نحن والقنبلة الذرية

سألتنى مجلة الهلال الغراء أن أكتب فى موضوع القنبلة الذرية وكان ذلك بعد إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما وناجازاكى، التى كان فى إلقائها فصل الخطاب، ووضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها فور إلقائها. كتبت فى ذلك مقالاً نشرته المجلة المذكورة فى الأربعينيات، وقلت فيه فلنصنعها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً فينبغى أن يتسلح العاقل بأحدث ما أنتجه العلم من أسلحة، فإن عدوى سيفكر مرات قبل أن يستعمل سلاحًا لدى نظيره وأن الأسلحة فى تطور مستمر. وما نصنعه اليوم من أسلحة سيحتاج إلى متحف بعد بضع سنين قد لا تتجاوز الخمس.

وها هى ذى الطائرات والصواريخ وما إليها من أسلحة تختلف سرعاتها وقدراتها وآثارها وأبعادها. والدول التى لا تعطينى أو تبيع من أسلحتها إلا ما يتقادم عليه العهد، وبطل أو كاد استعماله، وقد اخترعت وصنعت ما هو أحدث وأقوى، ولعلنا لا ننسى أن قد بيع لنا من الأسلحة بعد الحرب العالمية الثانية ما بطل استعماله منذ الحرب العالمية الأولى، وبطلت

فعاليته واستحدث ما هو أشد منه فتكًا وها هى ذى دول النادى الذرى يتزايد عددها يومًا بعد آخر ولو قد فكرنا فى ذلك جيدًا لما كنا فى هذا الوضع وعمل أعداؤنا حسابًا لقوتنا.

٧٦ - خطاب إلى رئيس الوزراء

فى أوائل يناير سنة ١٩٧٧، كتبت خطابًا إلى دولة رئيس الوزراء أذكر له فيه أن ما لمست فيه من وفاء حين لقينى فى أسيوط وقدم نفسه لى كأحد تلاميذى يومًا ما، هو الذى شجعنى على الكتابة إليه ذاكرًا له أربع مسائل لها خطرها.

أولها: العلم والتعليم، وأنه الوسيلة الأولى والأخيرة لإحداث أى تقدم وأن السلف الصالح من الحكام كانوا يخصصون ثلث الخراج للعلم والتعليم، وأن الأمة العربية استطاعت فى العصر الذى يسمى العصر العربى الإسلامى حين امتدت الدولة من حدود الصين شرقًا إلى حدود فرنسا غربًا فى أقل من قرن من الزمان، وإنما تم ذلك بعاملين الإسلام أولا وبالعلم ثانيًا، بالإسلام خلقا وقيما وعقيدة وبالعلم والتعليم أثرًا وقدرًا، ونشرًا للمعرفة. ولكن الحال غير ذلك الآن فإن الأمية تزداد، فارتفعت نسبتها من ٥٠ إلى ٦٠ إلى ٧٠ إلى ٨٠ وأكثر وما ذلك إلا لأن هناك فائضًا فى المواليد على الوفيات يقارب المليون سنويا فكأن لدينا رصيدًا من الأمية نضيف إليه كل عام وإنى عندما ناديت بذلك تنبأت به منذ عشرين عامًا غضب قوم وسخر آخرون، وعجبوا كيف أنشر ذلك ولا أقول كما يقول غيرى «ليس فى الإمكان أبدع مما هو كائن» ولكنى كما أقول دائمًا لا أحب النفاق ولا أطيقه وأقول ما أعتقد وليكن ما يكون..

ثانيها: هذا السد العالى الذى كلف مصر شططًا، يقول بعض الناس إن له

آثارًا جانبية يمكن معالجتها. فقلت له إنها آثار صميمة وليست جانبية وأن لها خطورتها على تدهور التربة وإنتاجية الأرض وخصبها. ولها آثارها على الماء الأرضي وتهوية التربة وعناصرها، التي كانت تحفظ على الأرض شبابها وتجدده عامًا بعد عام، وذلك فضلًا عن النحر المستمر الذي يؤثر على شواطئ النهر، وما أقيم عليه من جسور وأن القائلين بأننا غدونا نتحكم في النهر بعد أن كان النهر يتحكم فينا، فقلت إن النيل العظيم لم يضن على مصر بالخير وبالبركات منذ آلاف السنين، وما أظنه أغرق أو أقحط، كما تفعل أنهار أخرى في الهند أو غيرها، وقلت له إني سمعت في أمريكا أنها سحبت تمويلها للسد بناء على تقرير علمي كتبه مختص يتنبأ بهذه الكوارث التي أشير إليها وأن من الواجب العناية بهذا الموضوع الخطير، وأن القول بأنه سياسي هو الآخر مردود فلا يعقل أن نتغاضى عن هذه الآثار الخطيرة في سبيل نتائج سياسية لم تظهر لها حتى الآن أية نتائج أو مظاهر وأن نزرع سرطانا في داخل الجسم، على حين نسمم الأطراف بالمطهرات.

ثالثها: هذه المنطقة التي تسمى جبال علبة، والتي تزيد مساحتها على مساحة الدلتا إذ تبلغ ٢٥,٠٠٠ كم^{٢}، والتي هي غنية بالمنجنيز والغابات وقد حدثت بسببها حرب بيننا وبين السودان سنة ١٩٥٧ م. ثم تركت المسألة معلقة مع أنها داخل حدود مصر أفلا يمكن أن ننتهز فرصة العلاقات الطيبة مع السودان الشقيق في الوقت الحاضر، ونحل هذه المشكلة وتمارس مصر حقها الطبيعي في استغلال هذه المنطقة واستنباط ثرواتها.

رابعها: موضوع القنبلة الذرية. وأني قرأت في إحدى المجلات العلمية الأجنبية أن لدى إسرائيل ثلاث عشرة قنبلة ذرية، قابلة للإسقاط، وأن دولًا أخرى كثيرة على الطريق لدخول النادي الذري تبلغ نحو العشرين

دولة بعد الهند والصين اللتين دخلتا أو التحقتا بالنادى الذرى مؤخرًا وذلك كله تحت ستار الأغراض السلمية، وأن تفاعلاتها لا تخفى على علمائنا وأن من الخير أن نتنبه إلى ذلك، وأن نعمل على اللحاق بهذا الركب، حتى لا نتخلف ولا نبقى تحت رحمة الأقوياء من الأعداء الذين يملكون مثل هذا السلاح الخطير.

أشعر أنى بالتنبيه إلى هذه المسائل الأربع قد أرحت ضميرى من حمل هذه المسئولية الخطيرة ومن التنبيه إليها عن طريق رئيس الحكومة نفسه وكان ذلك فى خطاب شخصى إلى المسئول الأول فى الدولة وهو رئيس الوزراء فاللهم فاشهد، اللهم قد بلغت وعلى الله قصد السبيل.

٧٧ - هذه الأبيات[١]

رسالة العلم ضخم ما نهضت به — والعلم أكرم ما يقنى ويدخر
لم تحبسيه وشر الخلق من حبسوا — علما يضىء ويهدى وهو منتشر
والعلم للناس والدولات رائدهم — لمشرف سدتاه المجد والخطر[٢]
وليس من أوغلوا فى جهلهم بشرا — بل طالبوا العلم فى جدهم البشر
ما كرم الله بالعقل الورى عبثا — والعقل إن لم يقده علمه هدر
قد صال أعداؤنا بالعلم فانتصروا — وصال دولاتنا بالجهل فاندحروا
لم ترتفع أمم فى الدهر عدتها — من الملايين حين الوعى منحدر
هذا الزمان زمان العلم منطلقا — فما لفاقده ورد ولا صدر

---

(١) هذه الأبيات لشاعرنا الكبير المرحوم عزيز أباظه من قصيدة قالها بمناسبة مرور أربعين سنة على إصدار رسالة العلم قلت له سأحذف بعض هذه الأبيات التى ورد فيها اسمى قال ليس من حقك. وكان له ما أراد من نشرها كما أوردها رحمات الله عليه.

(٢) المشرف: المكان العالى. والخطر: المكانة والقيمة.

قـد يفقدُ النصـر من تم العتاد لـه ... وتنصـر الأعزل المستضعف الفكـر
وسـطوة الفتك مهـما تغل قـاصـرة ... وسـطوة الجهـل لا تبقى ولا تـذر

* * *

رسـالـة العلم سيـرى غـير وانيـة ... واشتـد أزرك واسترخى لـك العمر
هـذا جهـاد يحـل الشـرق وثبتـه ... الله ردءلـه إن عـزك الـوزر(١)
مـذ أربعين خلت تـوجت هـامتهـا ... بـالوعى يشـرق والتنويـر يزدهـر
إن فـاتك المـال ينفى عنك غـامره ... أن تحجبى. فلديـك الجـلة الغـير
يرعون عرضك من مهـزول ما لهم ... فـإن تغشتهم مكـروهـة صبـروا
المـال والجـاه قـد لا يخلقـان معـا ... مـا يخلق العلم والإيمـان والبصـر

* * *

«عبـد الحليم» جـزاك الله صـالحـة ... وعـشت لـلعلم تجلوه وتـبـتـكـر
نهضت بـالعبء لم تبهـظك وطـأتـه ... وقـد تنـوء بـأدنى ثقله الـزمـر
رسـالـة العلم لم تعتب عليـك ففى ... منفـوس أسفـارهـا آثـارك الكـبر
من كـل عصـاء نـور العلم مؤتلق ... فيهـا. وذوب عميق للبحث منهمـر
فى مشـرق من بيـان لا يـطوعـه ... إلا خبـير ينسـج القـول مقتـدر
يـود من بلغـوا بـالنـثر قمتـه ... لـو أنهم كمصفى سبكـه نثـروا
والعلم يكفيـه مـا يجلوه من لسن ... فـإن علا سهـل استيعابـه العسـر

* * *

«عبـد الحليم» ألا أهديـك خالصة ... قد.وكدت صدقها فى سبحهـا العصر
التـافهـون يـرامى عنهم القـدر ... حتى لضمهـم فى حضـنـه القـدر
إن سـاووا يلغـوا أو نـافسـوا علما ... فى علمـه بحواشى جهلهم ظفـروا

---

(١) الرده والوزر: الملجأ الحامى.

والعبقريون يهوى فضلهم بهمو ... الحقد مغرى بهم حران ينشمر(١)
محسدون وفضل المرء ينشره ... فى الناس ذو حسد أو كاذب أشر
فإن قضوا هبت الدنيا تمجدهم ... وكان أعدل لو قبل الردى ذكروا
والنفس. والشر مركوز بخلقتها ... يدعى فيجهر أو ينهى فيستتر
تطوى لذى الفضل أما غيره جحت ... أو بغضة أو كنودا(٢). هكذا البشر

* * *

موسوعة أنت يا «عبد الحليم». بها ... عن كل شاردة علمية خبر
فاشدد عرى الجهد واسكب راحها غدقا ... فالشرق ظمآن والأجيال تنتظر
مغارس العلم. أهل العلم ترأسها ... وللملايين بعد الطلع والثمر
عش صابرًا شاكرًا إن الكرام إذا ... لم ينصفوا صبروا أو أوغروا شكروا
فأنت إن دجت الأوغام(٣) أو كشفت ... عال عليها جليل الوزن منتصر

٧٨ - شريط تسجيل

كان للمذيعة المرحومة «سلوى حجازى» برنامج تلفزيونى اسمه شريط تسجيل وقد دعتنى مرة لتسجيل هذا الشريط أمام الكاميرات، وكان لها سؤال تقليدى هو لمن تريد أن تهدى الشريط، فقلت لها أهديه إلى زوجتى وإلى زوجات المشتغلين بالعلم عموما، فهن يضحين كثيرًا فى سبيل تهيئة الوقت والجو الملائم لأزواجهن لكى ينتجوا إنتاجا علميا، وذلك على حسابهن وما تتطلبه الحياة الزوجية عادة من مطالب وما للزوجة من رغبات أو متطلبات يضحين بها من أجل العلم، وسردت قصة تلك الأم التى

(١) الحران: المضطعن. وينشمر: يسرع.
(٢) من معانى الكنود: نكران الجميل.
(٣) الأوغام: الأحقاد.

دأبت على زيارة ابنتها المتزوجة وفى كل مرة تجد زوجها عاكفًا على القراءة والكتابة وأمامه الدواة والقلم فأمسكت بالدواة وألقتها على الأرض بعنف وقالت له «بس» هذه أضر على ابنتى من مائة ضرة.

٧٩ - مثل العقاد

فى ذات مرة طلب إلى المرحوم الأستاذ عادل الغضبان أن أكتب مقالاً شهريًا فى مجلة أصدرتها دار المعارف اسمها الكتاب، فوافقت فورًا ثم أردف الناحية المالية، فدهشت فقد كنت أكتب فى بعض المجلات مثل السياسة الأسبوعية والرسالة والثقافة دون أجر ما فى أغلب الأحوال فقال سندفع عن كل مقال كذا، ويظهر أنه كانت ما تزال الدهشة بادية على وجهى وظن أنى مستقل لهذا المبلغ، فقال إنه مثل ما ندفع للعقاد، فقلت له موافق وأين أنا من العقاد، وكان يرسل إلى الشيك والمجلة مع مطلع كل شهر مع ساعى خاص إلى المنزل بمصر الجديدة.

٨٠ - خيار وفقوس

طلبت إلى مديرة البرنامج الثقافى فى التلفزيون، إعداد برنامج يذاع فى رمضان تحت عنوان مسابقة «من هو» وكان موضوعه عددًا من العلماء العرب، فأعددت المادة العلمية وسلمتها للمخرج، الذى يحولها إلى حوار فى صورة معينة تنتهى بسؤال من هو؟ وحضر إلى المخرج فى المنزل ليعرض على بعض ما أتم من سناريو، وفى أثناء الحديث ذكر عبارة الفئة الممتازة فسألته ماذا تعنى بالفئة الممتازة - وفهمت منه أن هناك فئة ممتازة تتقاضى أجرًا مضاعفًا فقلت له إذا كان هناك خيار وفقوس فلن أكون فقوسا،

وامتنعت عن متابعة العمل، فعاد إلى رئيسته وأخبرها بما كان من أمرى ورفضى العمل إلا أن أكون خيارًا ومن الفئة الممتازة، لأنه ما دام هناك مفاضلة فلن أقبل هذا الوضع وذكرت له قصتى مع المرحوم عادل الغضبان ودفعه الأجر لى مثل ما كان يدفع للعقاد، فكتبت المسئولة المذكرة إلى المسئول وصدر القرار لى باعتبارى من الفئة الممتازة، وصرف الأجر فعلًا على هذا المستوى، وبذلك رفضنا أن نلحق بغير الفئة الممتازة فى أعمال التلفاز، وقد عرضت فيه عدة أعمال بعد ذلك وكانت جميعها بحساب الفئة الممتازة وكثيرًا ما سمعت أن أحاديثى فى الإذاعة أو التلفاز يعاد بثها، ولكن دون أن أتقاضى عنها شيئًا، وما ذلك فى ظنى لولا أنها مطلوبة من الذين يقدرونها ويستهويهم سماعها.

٨١ - قرأته معنعنًا

فى إحدى جلسات مؤتمر مجمع اللغة العربية، كنت أعرض مادة علمية فى علم النبات ومصطلحاته، وعلق أستاذنا المرحوم معالى محمد رضا الشبيبى من العراق، قائلًا: إنه يأسف كثيرًا لأنى لم أذكر بين مراجعى «كتاب» النبات للدينورى وهو يشير إلى أبى حنيفة الدينورى من جهابذة علماء النبات الأقدمين، فقلت له إن السبب أن كتابه هذا عبارة عن نسخة خطية وحيدة موجودة فى استكهلم، ولم يكن من سبيل لاطلاعى عليها، إلا أنى أطمئن الزميل المحترم أنى اطلعت عليه معنعنًا فما من مؤلف من الأقدمين كتب فى النبات إلا أشار إلى أبى حنيفة، وأنه نقل عنه.

وفى الحق أن الدينورى عالم نباتى بحت، وليس نباتيًا طبيًا، كغيره من كثيرين ممن كتبوا فى النبات، واهتموا أغلب الأمر بالفوائد الطبية، ولكن أبا حنيفة كان يعنى بالنبات من حيث هو بصرف النظر عن فوائده الطبية.

ومن عجيب المصادفات أن يصلنى الكتاب بعد ذلك محققًا من المستشرق لوين من السويد وأن أقرأه كاملًا، وأن ألخص منه فصلًا فى كتابى.

(تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه)

٨٢ - من أجل هؤلاء

فى ذات مساء حضرت محاضرة لفضيلة الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر فى مبنى جمعية التراث الإسلامى القائمة فى عمارة كبيرة بميدان التحرير، وكنت أجلس فى الصف الأمامى بين الحضور، وقد ردد المحاضر اسمى عدة مرات مشيرًا إلىّ بأن هذا الموضوع لا يحدث فيه أفضل من فلان ثم يعيد الإشارة مرة أخرى، ويقال إن ذلك لا يعرفه ويحسن عرضه إلا فلان ولما أن انتهت المحاضرة هرع إلىَّ المسئولون عن هذه المحاضرات والمنظمون لها، فقلت لهم إنى على استعداد لأن أحاضر فى الحال، قالوا لقد تأخر الوقت هذه الليلة فنحن فى نحو العاشرة مساء قلت إنى مستعد فى الوقت الذى تحددونه ودعونى فى السبت التالى، ويبدو أنى كنت موفقًا جدًّا فى عرض الموضوع وما آل إليه أمر العلم والتعليم فى مصر فى العهد الحاضر، واما انتشر من أمية ومن جهل ومن إنحدار فى مستوى التعليم، بسبب الانصراف عن تهيئة أسبابه وتوفير إمكانياته ورصد نفقاته وبناء مدارسه، فانتشرت الأمية والجهل وزاد رصيد الأميين وارتفعت نسبة الأمية من عام إلى آخر بسبب فائض المواليد على الوفيات الذين لا تبنى لهم مدارس ولا تعد لهم الأجهزة والأدوات والكتب والمراجع وما إلى ذلك وقلت إن العلم أولًا وثانيًا وعاشرًا هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق نهضة ما.

وقد سمعت تعليقًا من أحد الوزراء السابقين قوله من أجل أن يتحدث هؤلاء سجنا.

٨٣ - حكومة العلماء

فى حفل افتتاح أحد المؤتمرات العلمية. دعيت لإلقاء كلمة الاتحاد العلمى العربى بوصفى رئيسًا له. وكان المؤتمر هو الكيميائى العربى ويعقد فى قاعة المحاضرات بالمركز القومى للبحوث، وكان به ممثلون لعدة دول عربية، وتكلم قبلى ثلاثة من الوزراء، كلهم يردد الشعارات المألوفة آنئذ دولة العلم والإيمان والرئيس المؤمن، وحرب أكتوبر المجيدة، وما إلى ذلك من كلمات يحسن هؤلاء ترديدها بمناسبة وبدون مناسبة.

ثم طلبت لإلقاء كلمتى، فقلت إنى أتحدث من موقع الوالد الذى يسعده أن يرى أولاده شبوا عن الطوق وحملوا الأمانة، ومن موقع الأستاذ الذى يبهجه أن يرى تلاميذه قد حققوا آماله فى نشر العلم والعرفان، وعقد المؤتمرات والندوات العلمية، ولكن على مر التاريخ ومنذ نادى أفلاطون فى جمهوريته بحكومة العلماء، لم يتحقق هذا الحلم، لأن العلماء يتمسكون بالقيم جميعًا، أما الساسة فإنهم يستبيحون القيم جميعًا فى سبيل تحقيق غاياتهم، وألاحظ أن الأمية تزداد نسبتها عامًا بعد عام، ولا يمكن أن تحقق نهضة دون علم وتعليم، ولا يمكن أن تصلح أمورنا دون العناية بتراثنا العلمى ولابد من أن نزيد فى بناء المدارس لتقبل هذه الزيادات المطردة من السكان، ولابد من أن تكون لدينا القدوة الصالحة، ولابد من توفير الإمكانيات للمدارس والمعاهد والجامعات ومراكز البحوث العلمية، وأن تقدر العلم وأهله حتى تتحقق آمالنا، وقد لقى هذا الحديث تقديرًا وتشجيعًا وتصفيقًا حادًا من الحاضرين لأنه فيما أرى صادق وصريح.

٨٤ - بين العلم والفن

فى يوم من الأيام فكرت إحدى دور النشر فى عمل كتاب فى المعلومات العامة أو «الأشياء» لطلاب المدارس الابتدائية، على أن يكون مزودًا بالصور والرسوم، واختارتنى مع أحد الزملاء من المتخصصين فى التربية فى إعداد مادة الكتاب وفعلًا أعددنا الكتاب لطلاب المدارس الابتدائية فى سنيها الدراسية المختلفة، وطلبنا إلى رسام ممتاز أن يعد اللوحات المطلوبة، وفعلا التقينا مع المسئول فى دار المعارف نحن والفنان صاحب الرسوم، فسأل المسئول الفنان عما يطلب من أتعاب ثمنًا لرسومه فطلب ثلاثمائة جنيه فأخرج المسئول ورقة وقلمًا، وقدر الأتعاب ثم قال تمام وأخرج دفتر الشيكات وكتب للفنان شيكًا بالمبلغ المطلوب.

على حين جلست وصاحبى، وخرجنا دون أن نحصل على شىء، لأن عمل الفنان قد انتهى بتسليم لوحاته ورسومه أما عملنا نحن فينص العقد على أن ننتظر حتى يتم طبع الكتاب وتوزيع قدر منه يفى بمصاريف طبعه وإخراجه، ثم نحصل على نسبة معينة من فائض أرباحه، واحتاج ذلك بطبيعة الحال إلى شهور وسنوات، ثم خطر لنا أن نسأل عن نصيبنا، فأعطينا مبلغًا متواضعًا لا يوازى نصف ما أخذه الفنان، وكان هذا هو كل ماوصلنا من هذا الكتاب.

٨٥ - قانون الجامعات

فى أيام عمادتى بجامعة عين شمس، كنت أقبل تحويل الطلاب من كلية علوم مناظرة فى أى من جامعات الجمهورية العربية المتحدة، وكانت تشمل جامعات مصر وسوريا أيام الوحدة، وكان القانون يبيح التحويل بعد سنة

من الالتحاق بجامعة ماقبل افتتاح الدراسة بناء على موافقة العميدين، وكنت أقدر الأسباب الاجتماعية فلا داعى لتحميل الأهل مالا طاقة لهم به، أن يكونوا فى القاهرة وأولادهم فى الإسكندرية أو أسيوط أو دمشق، وكنت أجمع طلبات التحويل لأوافق عليها قبيل افتتاح الدراسة بأيام معدودات، وفى ذات مرة جاءنى تساؤل من وكيل الجامعة على أى أساس قبلت تحويل طلاب من جامعة دمشق، فقلت على أساس من القانون الذى تنص مادة كذا فيه على أن جامعات الجمهورية هى القاهرة وعين شمس والإسكندرية وأسيوط ودمشق وحلب.. إلخ.

كما تنص مادة كذا على أنه يقبل التحويل من جامعة إلى أخرى وبين الكليات المتناظرة بناء على موافقة العميدين.

وذات مرة رأى مجلس الكلية تأجيل إعلان عن وظيفتى مدرس بقسم الكيمياء إلى وقت لاحق فسألت الجامعة عن سبب التأجيل فأحببت أنى وجدت من المصلحة التريث بعض الوقت وكانت هناك اعتبارات خاصة لذلك، فسألت الجامعة سؤالاً سخيفًا، هو ما هى الأسباب الحقيقية للتأجيل؟ فكانت إجابتى الإعلان فورًا، والتعيين بسرعة دون تقدير للاعتبارات الخاصة التى لا داعى لذكرها.

٨٦ - أليس عندكم أولاد؟

فى السنوات الأخيرة لرئاستى لقسم النبات وعملى بالكلية، كانت قد بدأت ظاهرة طبع الكتب والاتجار فى الكتب والمذكرات، فنشط بعض مدرسى القسم فى طبع ثلاثة كتب تتناول ربع المقرر اللازم للسنة الإعدادية، وجعلوا ثمن الكتاب الواحد جنيهًا مصريًا واحدًا بمعنى أن الطالب تكلف ثلاث جنيهات ثمنا لهذه الكتب، وبمعنى أنه يلزمه كتبًا

بـاثنى عشر جنيهًـا للمقرر كله فـطلبت المسئول عن هـذه العملية من المدرسين، وقلت له أليس عندكم أولاد؟ كيف تبيحون تكليف الطالب كل هذه التكلفة، ولم يكن للقسم طوال عملنا به أن يبيع كتبًا أو مذكرات، وطلبت إليه أن يعتذر عن تدريس هذا المقـرر فتشنج وأغمى عليـه فى مكتبى، وبعد إسعافه نحيته عن تدريس المقرر، وقمت أنا بتدريسه دون أن أكلف الطالب مليمًا واحدًا، فلم أبع مذكرة أو كتابًا.

ومن الأسف أن هذه الظاهرة قد انتشرت هذه الأيام، حتى قرأت يومًا فى صحيفة الحائط بالكلية أن الطلبة يقولون فيها «عيب يادكاترة» لأن هذا الدكتور يحذر طلبته ألا يجيبوا من كتاب فلان، كما يحذر فلان طلبته بألا يجيبوا طبقا للكتاب الآخر، بل منهم من يقول إن من لا يشترى الكتاب الذى ألفه ويجيب طبقا له سيأخذ صفرًا، وظهرت آثار المساومات والمشتروات والمبيعات، وما هكذا تكون الأخلاق الجامعية، وما هكذا تكون أخلاق المشتغلين بالعلم.

٨٧ - فليبدأوا من الصفر كما بدأنا

سألتنى إحدى المذيعات مرة، ماذا أعددت لأولادك بعد هذا الكفاح الطويل، فقلت ولماذا لايبدأون من الصفر كما بدأنا، إن العلم والمال لايجتمعان وقد استغرق كفاحنا العلمى طيلة حياتنا،ولم يكن ثمة وقت لتجميع ثروة أو التفكير فيها، إنا نحمد الله على الصحة والستر ونسأل الله أن يديمها علينا وعلى أولادنا وأن يوفقهم للخير دائمًا، وذكرت أنى عندما تركت العمادة كان رصيدى سبعة جنيهات.

٨٨ - تواضع العلماء

وسألتنى مذيعة تلفزيونية، كيف تشغل كل هذه المراكز العلمية المرموقة ونرى فيك تواضعًا بلا حدود، فقلت لها إن العالم الحق يكون متواضعًا دائمًا لأنه يعلم أن فوق علمه علمًا، فهو يتواضع لهذه الزيادة، أما الجاهل فيظن أنه عندما يعرف شيئًا، يظن أنه قد تناهى، فتمقته النفوس، وهذا مصداق لقوله تعالى ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا﴾.

٨٩ - ملكة جمال أو شهادة الماجستير

كنت أمتحن إحدى الطالبات فى جامعة الإسكندرية، مناقشًا رسالتها للماجستير، وبعد أن انتهيت من سؤالها ومناقشتها، قلت لها هل تحبين أن أمنحك الماجستير، أو شهادة بأنك ملكة جمال، فأى الشهادتين تفضلين فقالت فى ثقة وثبات بل شهادة بأنى ملكة جمال، وكانت هذه مداعبة بطبيعة الحال، ولكنها تدل على عقلية المرأة، وأنها تفضل الجمال ولعله أربح كثيرًا من العلم، قلت لها إن شهادتى لك بالماجستير ستعتمد فورًا أما شهادة ملكة الجمال، ففضلًا عن أنها لن تعتمد، فقد يساء تأويلها أو يختلف عليها.

٩٠ - مراتب الهوى

قالت لى إحدى بناتى وكنا قد عزمنا على إقامة حفل زواجها فى فندق هيلتون النيل قالت إنى أفضل أن تعطينى ما ستنفقه فى الحفل، قلت لا، إن المسألة ليست صفقة ولكنى أحب أن أسجل حفل قرانك فى ذاكرتى وفى قلبى ولا يرضينى أن تغادرى المنزل على صورة المسافر، يحمل حقيبته فى يده فإنك ذاهبة إلى حياة جديدة ومنزل آخر، فلا أقل من أن نحتفل

احتفالاً لائقًا بهذه المناسبة السعيدة، وفى الموعد المحدد أقيم الحفل وكان رائعًا وفى عصر اليوم التالى، طلبت ابنتى على التليفون، وسألتها إن كان قد أعجبها الحفل، قالت جدًّا، وهل أنت راضية عنه، قالت كل الرضا، قلت إن رضاك هذا أنسأ فى عمرى، قالت ما معنى أنسأ، قلت يعنى أطال ومد، كأنما أضاف إلى عمرى، ثم سألتها فى أى مراتب الهوى تعيشين الآن، قالت وما هى مراتب الهوى تلك، قلت ألا تعرفينها قالت لا، قلت إن للهوى سبع مراتب: هى الحب والود، والغرام والعشق والهيام والولـه والتبتل، قالت وما التبتل، قلت هو العبادة، ويمثل أعلى مراتب الحب، قالت هو كله على بعضه، قلت المهم المحافظة على المستوى، لأنه غالبًا ماينـزل عن مستواه مع الأيام، ثم قلت لها مضيفًا إلى هذا النقاش عن الهوى، قلت لها وأنت فى بداية حياتك الزوجية، لا أقول لك كما قالت أعرابية لابنتها، كونى له أمة يكن لك عبدا، ولكن أقول كونى له أختا يكن لك أخا، ومن الطريف أنى عندما أعدت هذه القصة أمام إحدى الأديبات قالت بل أمة وعبدا ففى الحب لا يكون إلا كذلك.

٩١ - أريد أن ألقاك وحدك

فى أوائل عهدى بعمادة كلية العلوم، وقفت فى صباح أحد الأيام عند باب الكلية، أراقب دخول الطلبة، وإذا بإحدى المعيدات مقبلة فى أبهى حلة وفى زينة أقرب إلى التبرج الممقوت، والذى لا يليق بطلب العلم داخل الكلية، فاستوقفتها وطلبت إليها أن تقابلنى فى المكتب، وإذا بها تقبل مع زوجها، ويدخلان على معًا فى المكتب، وكان كلاهما قد انتقل حديثًا من كلية العلوم بالإسكندرية إلى كلية العلوم بجامعة عين شمس، فقلت لها أريد أن ألقاك وحدك، فخرج زوجها، ثم وجهت إليها حديثى عنيفًا جادًّا

ومرشدًا. ما هذا الذى تعمليه بنفسك؟ إن جمالك فى غير حاجة إلى مزيد، ثم إن هذا مكان عمل وهذا مظهر وملبس لا يليق به، إن لك أن تلبسى ما تشائين فى الخارج، ولكن العمل له حرمة، والعلم له قداسته، فهذا الماكياج الصارخ لا لزوم له وهذا اللباس الخارج لا يتناسب وجو العمل، ولا القدوة الحسنة التى نتيحها لطلابنا، وما أظن هذه النصيحة قد أدت إلى نتيجة.. وعندما كنت أقص القصة على المرحوم نظيف بك مدير الجامعة كان ينتفض عند قولى «ر«أريد أن ألقاك وحدك».

وفى مرة أخرى بينما أنظر من نافذة مكتبى إذا بتجمع الطلبة حول إحدى الطالبات وقد لبست فستانًا خارجًا عن المألوف فى مظهره وشفافيته وتفصيله فاستدعيتها، وقلت لها إن مكان العمل له حرمة وله ملابسه وليس معنى الاختلاط أن نسمح بهذا الخروج على الحشمة والوقار، فتراجعت خجلى من مظهرها وكذلك كان دأبى الحفاظ على الأخلاق الفاضلة والاحتشام داخل الكلية.

٩٢ - عايشت القضاة والمستشارين

فى سنة ١٩٥٣م كنت عضوًا فى لجنة التطهير بجامعة عين شمس، وكانت تضم مستشارًا ونائبًا عامًا، وزميلاً آخر معى، وناقشنا كثيرًا من القضايا وحققنا كثيرًا من التهم التى نسبت إلى أعضاء هيئة التدريس أو الإداريين، وأصدرنا أحكامًا كثيرة من بينها حكم بفصل أحد أعضاء هيئة التدريس بإحدى كليات الجامعة، وكان أستاذًا مساعدًا، وكان مدرسًا لى فى إحدى المدارس الثانوية، وبينما أنا فى مكتبى فى قسم النبات بالكلية إذا بالعامل يقدم لى بطاقة تحمل اسم الأستاذ المذكور، وقد كتب فيها «أرجو تحديد مكان وزمان للاجتماع بك لمناقشة موضوعى» وكنت بين عاملين

لا ثالث لها إما أن أقابله فورًا مع تصورى أنه يحمل مسدسا سيفرغه فى رأسى، فقد ضاع مستقبله، وإما أن أرفض هذه المقابلة منتحلاً عذرًا أو آخر ولكن تغلبت الفكرة الأولى مع ما فيها من مخاطر، ومع ذلك فقد نفذت الأولى، بل وخرجت للقائه والترحيب به، وأن صورة المسدس الذى يحمله لم تغب عن خيالى قط، ورحبت بمقدمه وطلبت له القهوة، وتبادلت معه الأحاديث الودية فى أثناء تناوله القهوة، وإن صورة المسدس الذى تخيلت أنه يحمله وأنه لا شك سيفرغه فى رأسى بين لحظة وأخرى، على أنه وقد شرب القهوة، بدأ يتكلم فى الموضوع الذى جاء من أجله، وهو أسباب فصله - فألهمنى الله أن أجيب بما يأتى، لقد عايشت القضاة والمستشارين عدة أشهر، ومن تقاليدهم ألا نذيع سرية المداولات مهما تكن الظروف والأسباب فكان فى هذا الرد فصل الخطاب وخرج الرجل من فوره، فقد تصورت أن أى كلمة أقولها فى هذا الموضوع ستفشى سرية المداولة وذلك ما ينبغى ألا يكون ولله الحمد.

٩٣ - لا معناها لا
وليس لها من معنى آخر

فى سنة ١٩٥٤م كنت عضوًا بالمجلس الأعلى للجامعات، وكانت موجة فى كثير من الكليات أن يتخلص العمداء ممن لا يرغبون فيهم لسبب أو آخر وكان مدير إحدى الجامعات، يحضر فى كل جلسة مفكرة حمراء ويتلو أسماء من يريد التخلص منهم، إلا إذا رغب أحد العمداء فى انتقال هذا غير المرغوب فيه إلى كليته، وكنت رئيسًا لجمعية خريجى كليات العلوم، وكنا على وشك أن نكون نقابة المهن العلمية، وكنت منذ تخرجى أعتبر الزملاء والخريجين كأنهم أولادى، وأعد نفسى مسئولاً عنهم فقبلت فى كلية

العلوم نحو ثمانية عشر عضوًا، كان مفروضًا أن يفصلوا من جامعتهم، أو ينقلوا إلى المدارس الثانوية، أو غيرها وعلى ذلك قبلت من ذكر اسمه أمامى من خريجى كليات العلوم، فكان السؤال هل تأخذ فلانًا - فيكون جوابى نعم، وكذلك زودت أقسام الكلية المختلفة من حيوان وكيمياء ورياضيات وطبيعة ونبات وجيولوجيا، وبذلك دعمت هيئة التدريس بالكلية المنشأة، وأرضيت ضميرى كمسئول عن هؤلاء الخريجين الذين كانوا يفصلون أو ينقلون دون تحقيق أو مساءلة على أنى فى إحدى الحالات، وقد سأل مدير الجامعة سؤاله التقليدى تأخذ فلانا قلت: لا، قال لا يعنى إيه قلت لا يعنى لا، وليس لها من معنى آخر.. وكان هذا هو الشخص الوحيد الذى رفضت نقله إلى كلية العلوم بجامعة عين شمس، ممن عرضت أسماؤهم على، وكان هذا الشخص مشهورًا بتقديم الشكاوى والعرائض فى حق زملائه ورؤسائه وأشيع عنه أنه قدم فى عميده مائة وتسعًا من الشكاوى والعرائض المدغومة، ولهذا استعملت حقى فى رفض قبوله عضوًا فى هيئة تدريس كلية العلوم جامعة عين شمس، وكانت الكلية الوحيدة بين كليات الجامعات التى لم يفصل أو ينقل منها أى عضو من هيئة التدريس أو معيد أو موظف أو عامل ولله الحمد.

٩٤ - ردّه

فى إحدى جلسات مؤتمر مجمع اللغة العربية، وكنت ألقى بحثًا عن اللغة العربية لغة العلم وكيف أنها لا تقصر عن متابعة التقدم العلمى، وملاحقة المصطلحات العلمية، وقد أثبتت قدرتها فى التعليم الجامعى، حين بدأ كثير من الكليات العلمية فى التدريس باللغة العربية، ولكن من أسف أن بعض الكليات قد عادت إلى التدريس بلغة أجنبية، وقلت إن هذه «رده» فصفق

الأعضاء طويلاً وطربوا لهذا التشبيه بين الارتداد عن الدين والارتداد عن اللغة العربية.

٩٥ - سبحان من أعطاك ملكا

في أثناء عمادتي للكلية، وكنت نقيبًا للمهن العلمية، أوقف وزير الصناعة وكانت نقابتنا تتبعه، أوقف العمل باللائحة الملحقة بالقانون والتي تحدد الأعمال التي يمارسها العلميون، نظرًا لاحتجاجات النقابات الأخرى من صيدلية وهندسية وطبية وزراعية عليها لتداخل أعمال نقابتنا ضمن اختصاصات أعضاء هذه النقابات، وأضرب الطلبة احتجاجًا، وطلبني الوزير على التليفون، وقال تفضل للمقابلة في مكتبي، قلت له ولم لا تتفضل أنت، سبحان الذي أعطاك ملكًا وعلمك الجلوس على السرير !، لقد كان سيادته مدرسًا، ورفض مجلس الجامعة الذي أنا عضو به ترقيته إلى أستاذ مساعد، لعدم وجود إنتاج علمي مناسب لترقية سيادته، وهو الآن يطلبني لأذهب إلى مكتبه بدلاً من أن كان يتفضل هو بالزيارة قلت له: إني مستعد لمناقشة الجميع بشرط أن يعود العمل بالقانون أولاً - وفعلاً عاد العمل بالقرار والقانون بإضافة عبارة هي من قبيل تحصيل الحاصل «بما لا يتعارض مع عمل الآخرين»، وذلك لأن لكل نقابة قانونًا ولا يمكن إيقاف العمل به إلا بقانون كل ما في المسألة أن لعضو نقابتنا أن يمارس التحاليل والأعمال التي قد يشترك في ممارستها آخرون بحكم قوانينهم.

٩٦ - رآبا لصدع

في سنة ١٩٥٥م، صدر قانون نقابة المهن العلمية، واعترف للعلميين بأنهم هيئة علمية لها دورها في بناء النهضة العلمية، وقد تم ذلك بعد كفاح

طويل.. دام عدة سنوات، وكان المفروض أن أكون أول نقيب لهذه جلهيئة تقديرًا من الزملاء لكفاحى الطويل فى سبيل إنشائها، إلا أنى آثرت وشجعت ترشيح أستاذنا المرحوم مصطفى نظيف أول نقيب للمهن العلمية، وذلك تقديرًا لشخصيته وأستاذيته، وسألنى كثير من الزملاء هل صحيح أنى أؤيد هذا الترشيح، وكان عجب كثير من الزملاء أن أتنازل لأستاذنا عن هذا المركز الأدبى وكان أن تم انتخابه أول نقيب للمهن العلمية.

وفى العام التالى انتخبت أنا نقيبا، وبقيت أشغل هذا المركز عدة سنوات ثم انتخب الدكتور تهامى عبد الرحمن موسى، وبقى نقيبًا سنتين.. ثم رغب إلىّ عدد من الزملاء أن أعيد ترشيح نفسى نقيبًا، وفعلًا تقدموا باسمى للترشيح ولكنى أدركت أن السيد/ صلاح هدايت يطمع فى شغل هذا المركز، وأنه يعلق أهمية كبيرة على انتخابه نقيبًا، كما أن الدكتور تهامى لم يعلن رغبته فى التنازل وأدركت أنه سوف يكون هناك صراع شديد بين الزملاء فآثرت الانسحاب إبقاء على وحدة الصف، وأرسلت للمجتمعين رسالة هذا نصها:

«رآبا لصدع، يخشى أن يحدث بين الصفوف، التى أوصى بالحفاظ عليها أعلن تنازلى عن الترشيح لمنصب النقيب».

وفى هذه الجلسة - التى بلغنى أنها كانت أكثر من صاخبة تم انتخاب السيدآ صلاح هدايت نقيبًا للمهن العلمية، وقد هنأته، وحمدت الله أن بعدت عن هذه المعركة.

٩٧ - هذا عبث لا ينبغى لمثلى أن يشارك فيه

فى خمسينات هذا القرن، وكنت عندئذ عميدًا لكلية العلوم بجامعة عين شمس وكانت تتكرر الاجتماعات مع المسئولين، وتكررت الدعوة إلى

تطوير التعليم الجامعى وفى إحدى الجلسات وكان الوزير قد عزم عددًا من العمداء والمديرين وشهدت الوزير يجلس وسط إحدى الكتبات، وقد جلس أحد المديرين عن يمينه وبقى يساره شاغرًا، وأن أحد العمداء ليحوم حوله وينظر إليه، فإذا بالوزير يعزم عليه أن يجلس فى المكان الذى يبدو أنه متلهف على الجلوس فيه، وإذا بصاحبنا يرد قائلًا، إن هذا الشرف يطمع فيه الكثيرون، ثم عقدت الجلسة واستمرت المناقشة فى أمور الجامعات ومشكلاتها، وتشعب الحديث فتساءلت هل المطلوب أن من لديه مشكلة يعرضها ونحاول أن نجد لها حلًّا، أم أننا نتكلم فى اللوائح أساسًا، ونحاول تفهم تفاصيلها وعلاج مسائلها وإذا بمعالى الوزير يرد قائلًا «أهو بندردش» واستمرت الجلسة طويلًا دون أن نصل إلى نتيجة، وخرجت الصحف فى صباح اليوم التالى تقول إن الوزير اجتمع بالمديرين والعمداء اجتماعًا استمر سبع ساعات.

وتعددت أمثال هذه الاجتماعات دون جدوى أو نتيجة، وحدث أن دعيت مرة إلى مثل هذه الاجتماعات التى تدعو إلى التطور، فأرسلت للوزير ردى المختصر بأن هذا عبث لا ينبغى لمثلى أن يشارك فيه.

٩٨ – جمعية الخريجين

تخرجت فى كلية العلوم بالجامعة المصرية سنة ١٩٣١م، وكانت قد سبقت دفعتنا دفعتان ٢٩، ٣٠، ثم عينت معيدًا بكلية العلوم فى أكتوبر سنة ١٩٣١، وفى يناير سنة ٣٢ دعوت إلى إنشاء جمعية خريجى كلية العلوم، واجتمع معظم أعضاء هذه الدفعات الثلاث وكان مجموع من يوجد منهم فى القاهرة حينئذ لا يزيد على بضعة وثلاثين، ويكونون أغلبية الخريجين آنئذ وللمجتمعين صورة تذكارية أخذت فى حديقة الحيوان، ويلبس الأعضاء

الروب الجامعى، وانتخب المجتمعون المرحوم الأستاذ إلهامى جريس رئيسًا لمجلس إدارة الجمعية، وكنت عضوًا بهذا المجلس الذى يتكون من تسعة أعضاء.

وفى العام التالى انتخب المرحوم الدكتور عبد الفتاح محمد رئيسًا للجمعية، وفى العام الثالث انتخب الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر رئيسًا لها، وفى يناير سنة ١٩٣٤ صدر العدد الأول من مجلة رسالة العلم، والتى استمر صدورها بانتظام بضعة وأربعين عامًا، ثم تباطأ صدورها ولعله توقف بعد اشتغالى بالمملكة العربيةة لسعودية مستشارًا للمجلس الأعلى للجامعات بالرياض منذ مايو سنة ١٩٧٥م.

وقد صدرت شهريا لمدة سنة ونصف السنة تقريبًا، وكان رئيس تحريرها عندئذ المرحوم الدكتور عبد الفتاح محمد، ثم عدت إلى رئاسة تحريرها وظلت تصدر ربع سنوية إلى أن توقفت سنة ١٩٧٦م، وعندما تعددت كليات العلوم فى الجامعات المصرية، تغير اسمها إلى جمعية خريجى كليات العلوم وقد شغل رئاستها عدد من الزملاء ولكن كان من نصيبى، أن أكون رئيسًا لها أغلب أيام حياتها، وفى نحو عشر سنوات متتالية كنت أجمع بين رئاسة الجمعية والنقابة ومجلة رسالة العلم.

ولا شك أن الجمعية قد قامت بدورها خير قيام طيلة حياتها، ولعبت دورًا كبيرًا كجمعية علمية نشرت محاضرات ومقالات علمية متخصصة باللغة العربية، وأن مجلة رسالة العلم كانت مدرسة لنا معشر الخريجين مارسنا فيها الكتابة العلمية باللغة العربية، ولعبت الجمعية دورًا كبيرًا فى نشر آراء الخريجين والدفاع عن مصالحهم، فقد كانت أعمال الخريجين تتداخل مع أعمال كثيرة من خريجى كليات أخرى، كالصيدلة والزراعة والهندسة وما إليها، وكنت أبعث ببرقيات احتجاج وشكاوى ودفاع عن

الخريجين الذين يضارون، بل ويفصلون من أعمالهم بحجة أنها تدخل فى اختصاص أصحاب مهنة أخرى، ومن هنا نشأت حزازات وعداءات بيننا وبين خريجى الكليات الأخرى، وكان الوزراء أغلب الأمر من خريجى كليات أخرى، كانوا خصمًا وحكمًا، وقد كنت أعد نفسى مسئولاً عن الخريجين والدفاع عن مصالحهم، وما أشك فى أن كثيرًا من الزملاء يذكرون هذه الجهود التى بذلت فى هذا المجال على أنه بعد إنشاء النقابة، وكانت الأخرى نتيجة جهود الخريجين، فبقيت الجمعية لتأدية واجبها العلمى من محاضرات وندوات ورحلات ورسالة العلم، واستقلت النقابة بالشئون النقابية وإنى لأرجو لهذه وتلك النجاح والاستمرار والتوفيق فى الدفاع عن مصالح الخريجين، ونشر العلم باللغة العربية، ورابطة بين الخريجين جميعًا فى سبيل إحداث نهضة علمية شاملة، ورفع شأن الخريجين والدفاع عن مصالحهم، وكم تقدمت إلى المسئولين بمذكرات وكم بعثت ببرقيات ونشرت مقالات، والله من وراء القصد.

٩٩ - لما عظمت فليس مصر واسعى
لما غلا ثمنى عدمت المشترى

هذا البيت لابن سيناء تـوارد على اطـرى، فى ويف سنة ١٩٧٤ م، وكنت فى لنـدن أزور المتحف البريـطانى، وأردت الدخـول إلى المكتبـة الشرقية الغنية بالمخطوطات العربية، وسألنى الأمين عن اسمى، فقلت منتصر قال منتصر عبد الحليم قلت نعم فأذن لى بالدخول دون مراجعة أو تدقيق، وتبين لى أنهم يجمعون ويؤرشفون ما أكتبه عن التراث العلمى العربى، وترددت على المتحف على مدى عشرين يومًا، كنت أقابل دائمًا بالترحيب والإكرام، وقد حدث نفس الشىء فى برلين، عندما ذهبت إلى المكتبة الشرقية بها لمراجعة بعض المخطوطات.

وأذكر بهذه المناسبة أنى خرجت يومًا من محاضرة فى معهد الدراسات الإسلامية وإذا بشخص يسأل عنى، قال إنه يوغسلافى، وإنه انتهز فرصة وجوده فى مصر ليلقانى ويقدم لى بضعة أعداد من جريدة يوغسلافية، ترجم فيها فصلاً كنت قدمته إلى اليونسكو عن العلوم عند العرب، فنقله إلى اليوغسلافية فى بضعة أعداد متتابعة من الجريدة وصمم على أن يلقانى ليقدمها إلىّ فشكرت له هذا الصنيع، وقلت فى نفسى كم فى بلدنا مصر يعرفون العبد الفقير.

١٠٠ - «لو» حرف امتناع لا متناع

فى إحدى جلسات المجمع كنت أشرح موضوعًا علميًا، واستعملت حرف «لو» فإذا بمعالى الرئيس المرحوم أستاذنا لطفى السيد يقول إن «لو» حرف امتناع لامتناع إنها تذهب بك إلى باريس وأنت جالس بيننا، وقد قال تعالى: ﴿ولوْ أن ما فى الأرض من شجرة أقلام، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾ وفى الحديث الشريف والذى نفس محمد بيده لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها، وفى كلتا الحالتين الاحتمال غير وارد، إنما الأصل هو الامتناع.

١٠١ - ما أجمل أن يعود السلطان إلى المواطنين

عندما عين أستاذنا المرحوم الدكتور مشرفة، أول عميد مصرى لكلية العلوم بالجامعة المصرية (فؤاد الأول، ثم القاهرة). وكان عمداؤها قبلاً من الأجانب حيث كان الدكتور هوجيوم السويدى أول عميد، ثم الدكتور بانجهام الإنجليزى وكان أستاذًا ورئيسًا لقسم الكيمياء، وبقى عميدًا تسع سنوات متتابعة ثم كانت فرحتنا بتعيين عبقرية مصرية هو المرحوم

الدكتور مشرفة أستاذ ورئيس قسم الرياضة التطبيقية، فأقامت له جمعية خريجى كلية العلوم، حفل تكريم أذكر أنى ارتجلت خطبة كنت موفقًا فيها إلى حد كبير، وكانت تعبيرًا عن فرحتنا وتقديرنا لأستاذنا الدكتور مشرفة وقد افتتحتها بقولى: «ما أجمل أن يعود السلطان إلى مواطن من أهل البلاد، وأن يتمثل ذلك فى شخص أستاذنا الدكتور مشرفة.

١٠٢ - كنا نود أن نستزيد

فى سنة ١٩٣٠ م كنت طالبًا بالسنة الثالثة بكلية العلوم، وكان أستاذنا المرحوم حسن أفلاطون، يدرس لنا مقررًا فى علم الحشرات، ولما أن انتهى المقرر وأعلن هو ذلك، وقفت على عهدنا فى ذلك العصر، نودع أستاذنا بكلمة فيها شىء من الاعتراف بالفضل والتقدير للأستاذ، وبدأت كلمتى بقولى كنا نود أن نستزيد وبدأ أستاذنا يسأل «إيه». فقال الطلبة له «يستزيد» فكرر سؤاله «أيه» وكرر الطلبة شرحهم لكلمة يستزيد، وأوضحوا معناها له، وكان رحمات الله عليه لا يجيد العربية، ولا يكاد يتحدثها إلا فى صعوبة وتتخلل أحاديثه كلمات أجنبية كثيرة، فلما فهم ما أقصد إليه من كلمة نستزيد.. قال آه.. إذا كنت عاوز تغوط ابقى تعالى عندنا وإلى أن تم ذلك كانت الكلمة التى كنت أعتزم إلقاءها قد طارت من ذهنى وجلست خجلًا ومتخاذلًا ولله الحمد.

١٠٣ - رغيف الخبز يتكلم

فى السنة الرابعة الابتدائية، وكنا فى مدرسة فارسكور الابتدائية، وكان ثمة منافسة شديدة بين طلاب الريف والحضر، وكنا نحو خمسة من الغوابين يحتل معظمنا المراكز الأولى فى الترتيب، وكان أهل الحضر يتمنون

ويطمعون أن يحصلوا على بعض هذه المراكز فلم تسعهم قـدراتهم أبدًا، ويظهر أنهم لجأوا إلى طريقة أخرى. ففى إحدى الحصص لاحظ الناظر، وكان يدرس لنا اللغة الإنجليزية - لاحظ أن طلاب فارسكور يسألون أسئلة خاصة، فكان يقول إنها أسئلة هامة فكانوا يسألون عن الدقيق، والعجين والقمح والخميرة والفرن والمنخـل وما أشبـه.. وبعد أن خـرج الناظر، اعترف بعضهم أنهم يعرفون الامتحان لنصف السنة وأن موضوع الإنشاء، هو تكلم عن رغيف الخبز بذاته، وأن هذه المفردات التى يسألون عنها لازمة لهذا الموضوع، وكانوا قد اتفقوا مع أحد الفراشين وكان مكلفًا بسحب أوراق الامتحان على البالوظة، فغافل الناظر الذى وكل إليه طبع الامتحان المكتوب بالحبر الزفر المستعمل آنئذ لهذا الغرض فرفع جلبابه، وجلس بلباسه الأبيض على البالوظة، فـطبع الامتحـان عليه، ونقله إلى هؤلاء ولما عرف الناظر القصة، ألغى الامتحان بالطبع، ووضع غيره، وطلب الناظر معاقبة الفراش بخصم خمسة عشر يومًا من مرتبه، ولكن المسؤلين فى مجلس المديرية التى كانت تتبعها المدرسة، رفضوا معاقبة الفـراش، لأنه لا ينبغى أن يتولى مثل هذه الشئون. وأن هذه مسئولية الناظر أو الأستاذ المختص ولا ينبغى أن يتولاها سواه.

١٠٤ - علقة ساخنة

وذات مرة جلس الناظر على مقعد فى آخر الفصل يصحح كراريس الإنشاء وإذا به ينادى على اسمى، فقمت إليه، ووقفت بجانبه، وإذا به يتميز غيظًا من هذا المكتوب أمامه لكثرة ما به من أخطاء، ويستعمل القلم الأحمر فى عنف وغيظ، متعجبًا أن تكون هذه كتابتى، وكانت لديه فكرة ممتازة عن قدرتى، فكيف أنحدر مثل هذا الانحدار، وأنا واقف أمامه زائغ

البصر، ولكنى لا أملك الاعتراض، فقد كانت الهيبة والأدب تحول بيننا وبين مجرد الاعتراض أو الاستفسار، فقام إلىّ وضربنى علقة ساخنة، وأخذت الكراسة، وعدت إلى مقعدى وأنا أنتحب وأبكى بكاء مرًّا.

وما إن جلست حتى نادانى ثانية، وإذا بالكراسة السابقة ليست كراستى وإنما هى كراسة جارى، وكان ثمة تشابه فى الأسماء، فما إن تبين الرجل خطأه حتى اعتذر اعتذارًا بالغًا، ولكن بعد أن فات الأوان وأكلت علقة ساخنة.

١٠٥ - مع المحامين

أذكر أنى كنت قد أبديت رغبتى فى دخول القسم الأدبى، بعد حصولى على الكفاءة ولما سألنى والدى رحمه الله عن سبب رغبتى تلك، قلت لكى أعمل محاميًا، أدافع عن المظلومين، وأساعد كل ذى حق على الحصول على حقوقه، فقال رحمات الله عليه ألا تعلم أن محامى «معناها أفوكاتو» وأن هذه الكلمة مأخوذة من «الإفك»، إنهم كثيرًا ما يأفكون، وهكذا صرفنى عن الالتحاق بالقسم الأدبى، فالتحقت بالقسم العلمى، لتأخذ حياتى هذا المسار من اشتغال بالعلم، وهواية للأدب واللغة والكتابة.. ولكن شاء الله أن يحدث لى مع بعض المحامين أو القانونيين ما يثبت لى تفسير أبى ففى أخريات أيام عملى مديرًا لجامعة الكويت، قال لى أحدهم إنه مسافر إلى القاهرة وأنه مستعد لأى خدمة، وكان يحضر لزيارتى فى منزلى بالكويت وكنت أعرفه من القاهرة، فسلمته مبلغًا كبيرًا لعله كان يمثل ما ادخرته خلال عملى بالكويت وإذا بسفره الذى كان مفروضًا أن يتم فى أسبوع يتأجل من أسبوع إلى آخر فلما أظهرت قلقى من هذا التصرف، كتب لى إيصالاً بالمبلغ ، ذكر فيه أنه تسلم مبلغ كذا، وأنه أمانة لديه.

ومرت شهور إلى أن وصلت إلى القاهرة، وإذا بالسيد المحامى قد لطش نصفه وسلم النصف الثانى - ومازال هذا المبلغ طرفه غفر الله له، وها قد مرت بضع عشرة سنة ولما تصل الأمانة أو تؤدى إلى أهلها.

وحادثة أخرى مع محام ثان، لعلها تؤيد وجهة نظر أبى رحمه الله فكنت قد اشتريت قطعة أرض فى الشرقية، وكان قد بقى من ثمنها مبلغ ينبغى أن يؤدى إلى بنك التسليف، وبينما أنا أكتب الشيك بالمبلغ باسم البنك الدائن، إذا بالمحامى يطلب أن يكتب الشيك باسمه هو، وكان له ما أراد، وافقته بسذاجة، وكان له ما أراد، وكتب لى إيصالا بالمبلغ وأنه تسلم مبلغ كذا شيكا رقم كذا لتوصيله إلى بنك التسليف الزراعى - وأن المبلغ أمانة لديه وانتظرت شهرًا وأشهرًا، ولم يرد السيد المحامى الأمانة. ثم أغرانى محام آخر أن أرفع قضية وأذنت النقابة، ومع ذلك فمازالت القضية فى المحاكم تؤجل سنة بعد أخرى ولم أحصل على حقى، ولم يأخذ البنك حقه وبالطبع يتزايد الدين فوائده غفر الله له.

ومحام آخر، أوصلنى إليه أحد رجال القانون، قلت له إن الأرض التى اشتريتها لم تسجل بعد، لأن المحامى الذى كان موكلًا بشئونها لم يعلن جميع المستحقين فى الوقت الذى كانت تتبعه الأرض، ولابـد من إعادة الإعلان وأطلع على جميع الأوراق فقال إنها مسألة بسيطة، ولن تستغرق أكثر من شهر وطلب مقدم الأتعاب، وفعلًا سلمته شيكًا بالمبلغ المطلوب، وتوالت الشهور وتعاقبت السنون وحتى الآن لم يتم التسجيل، والقضية تؤجـل من جلسة إلى أخـرى، والأستـاذ المحـامى يـطلب مـزيـدًا من الأتعاب...

معذرة للسادة المحـامين، فليس لى من تعقيب عـلى هذه الأحـداث، إلا أنها دليل على صدق فراسة أبى، وقد حمدت الله أن استمعت إلى نصحه

ومن الخير أن أضيف أن أحد رجال القانون كان واسطة فى بعض هذه المسائل وغيرها، وكان يطلب مبالغ لإنجاز هذه المهمة أو تلك.. وذهبت كلها هباء، ولا شك أنى مقتنع الآن أن أى صلح أقل تضحية أو خسارة من الوقوع فى حبائل المحامين والقضايا ولله الحمد.

١٠٦ - محكمة تأديبية

فى أوائل عهدى بجامعة عين شمس، وعلى ما أذكر سنة ١٩٥٤ م وكنت عميدًا لكلية العلوم، عقد مجلس تأديبى عال، لمحاكمة أحد أعضاء هيئة التدريس بكلية الزراعة وكانت بشبين الكوم، وكان قد حوكم وأدين من قبل أربع هيئات إدارية وقضائية، ثم عرضت القضية على محكمة تأديبية عليا، تتكون برئاسة مدير الجامعة وكان أستاذنا المرحوم مصطفى نظيف وحضور جميع عمداء الكليات، وكانت التهمة الموجهة إليه، أنه استعمل علفًا جافًا فى زمن البرسيم وهو العلف الأخضر، مما كلف الدولة مالاً قدر بنحو أربعمائة جنيه دون داع.

وعقدت الجلسة فى سراى الزعفران، وتقدم المتهم للدفاع عن نفسه، ولم يكن ممن يحسنون الحديث، وإنما هو يبرطم وينفعل، فنهره أستاذنا الرئيس قائلاً: إننا نحن الذين نحاكمه وليس هو الذى يحاكمنا، ولكنى أحسست أنه مظلوم، ولم يحسن عميده الدفاع عنه مع أنه لم يثبت عليه أنه اختلس أو سرق شيئًا فتبرعت للدفاع عنه من واقع وحى الجلسة ووقائع المتهم التى سمعتها، وكلها شكليات وروتينيات فى رأيى لا تمس ذمة الزميل، ولا توحى بأنه ارتكب إثمًا فقلت للسادة القضاة إذا حكمتم على الأستاذ بأى حكم، فسيكف كل باحث عن البحث العلمى، إنه يجرى تجارب علمية ويبحث عن أثر العلف الجاف فى موسم البرسيم، وفائدة خلط كمية من

هذا مع كمية من ذاك، وأن النتيجة السلبية فى العلم نتيجة، فما بالكم وهى إيجابية، فقد زاد إدرار اللبن مع هذه الخلطة فرد عميد الحقوق قائلا لقد أدانته أربع هيئات فكيف تبرئه؟، فقلت إننا قضاة مستقلون ونحن هيئة عليا، ولا شأن لنا بالآخرين، وكان أن حصل المتهم على البراءة بالإجماع على حين حكم على آخر بالإجماع أيضا لأنه أهان أستاذه ورئيسه.

١٠٧ - مواد

فى صباح أحد الأيام، كنت أجلس إلى مكتبى الملحق بمعمل النبات فى كلية العلوم بالجامعة المصرية (فؤاد الأول - ثم القاهرة)، وكنت أراجع تجربة الطبع الأخيرة لبعض مقالات فى مجلة رسالة العلم، التى ظللت أشرف على تحريرها نيفًا وأربعين عامًا، وكان من بينها مقالاً لى، وردت كلمة «مواد» وهى كما نعلم ممنوعة من الصرف، لأنها على وزن مفاعل.

وكانت الكلمة فى موضع نصب، إلا أن زميلًا لى أقنعنى أنها ليست ممنوعة من الصرف، ومن الواجب وضع «ألف» وفى زحمة العمل، ورغبة فى سرعة إعطاء إذن الطبع والإنصراف إلى عملى، وضعت الألف أمام الكلمة فغدت «موادا» ولكنى كنت غير مقتنع وفى مساء نفس اليوم التقيت مع الزميل مع أستاذنا للغة العربية، حين كنا فى المدرسة الابتدائية، فعرضت عليه المشكلة قائلًا إنى مختلف مع الزميل فى كلمة مواد، وإعرابها، فأقرنى على رأيى. وما هى إلا أيام حتى جاءت المجلة من المطبعة، وكانت ثلاثة آلاف نسخة وبدأت فى فتح كل عدد فى كل رزمة، واحدة بعد الأخرى على الصفحة التى فيها الكلمة «مواد» وبموسى الحلاقة أنزع الألف من موضعها، واستمرت العملية فى نسخة بعد الأخرى، وفى ورقة بعد الأخرى، وفى ألف بعد أخرى، حتى انتهت الأعداد الثلاثة الآلاف... وكذلك حالى

مع عملى ولغتى فإذا وقع خطأ دون قصد، وعن غير معرفة.. فقد يحدث ذلك، فإن الكمال لله وحده، أما أن أعرف الصواب ولا أعود إليه فذلك لا يتأتى أبدًا.. فالعصمة لله وحده، ومن قال لا أدرى فقد أفتى وفقنا الله إلى الصواب.

١٠٨ - الحضارة العربية بين الأصالة والتجديد

فى مارس سنة ١٩٧٥ م، دعيت إلى بيروت لحضور مؤتمر الحضارة العربية بين الأصالة والتجديد والمشاركة فى أعماله، بإلقاء محاضرة عن الفكر العلمى التجريبى عند العرب... وقد عقد المؤتمر فى فندق «بوريتاج» وهو نفس الفندق الذى كان ينزل فيه معظم أعضاء المؤتمر الذين وفدوا على بيروت من مختلف البلاد العربية، وكانت رئيسة المؤتمر الدكتورة زاهية قدورة، وفى جلسات اليوم الأول، وكانت برياستها، كان التوتر باديًا بين الأعضاء، فما أن يقول هذه الحضارة الإسلامية، حتى يرد آخر ذاكرًا أثر المسيحية أو الموارنة أو الشيعة أو ما إلى ذلك من طوائف وشيع، وكان جو الجلسات فى المؤتمر صاخبًا، وفى اليوم الثانى أسندت إلى الرئيسة رئاسة الجلسات فبدأت بكلمة قلت فيها إننا نتحدث فى التاريخ، إن هذا العصر يسمى فى التاريخ العصر العربى الإسلامى، وإن حضارة هذا العصر تسمى الحضارة الإسلامية وانطلقت متابعًا حديثى عن الفكر العلمى التجريبى فى الحضارة الإسلامية، وكان العلماء والمسلمون من أمثال جابر بن حيان، وابن الهيثم، والبيرونى وابن سيناء والرازى، والكندى، وابن العوام ومن إليهم يجرون تجاربهم فى الكيمياء والطبيعة والطب والزراعة، وما إليها مما يدل على أنهم اتبعوا الطريقة العلمية، والتى تعتمد على التجربة والمشاهدة والاختبار، وساد السكون وإصغاء المؤتمرين، وكنت أسمع الرئيسة وقد رأت أثر حديثى فى جمهور المؤتمرين تقول «يسلم فمك»

ترددها مرارًا وتكرارًا، وكان المؤتمر ناجحًا جدًّا علميًّا واجتماعيًّا، قلت للدكتورة بعد انتهاء المؤتمر ونجاحه، إنك تستحقين الدرجة النهائية على إنجاح المؤتمر على هذه الصورة الرائعة، وتستحقين فوق ذلك قبلة تقديرية، وحقا لقد كان مؤتمرًا ناجحًا ذكرنى بمؤتمر علمى ناجح عقد فى بيروت قبل ذلك بعشرين عامًا ذكرت به إحدى المشتركات فى المؤتمرين قائلاً لها: ولكنك كنت عندئذ طفلة صغيرة فى الخامسة.

١٠٩ - حرضا

فى إحدى جلسات المجمع، كنت أعرض بعض المصطلحات العلمية، ومن بينها كلمات تدل على التدهور والاضمحلال والتفتت والتحلل والانحلال وما بها لتكون مقابلة لكلمات علمية هى: إنحلال Degenevation تدهور Deteiuraton هدم = Destraction تفتت = Disintegvation تحلل = Analysis. فساد = Decay فاستعملت فى الأولى كلمة حرض. فاعترض أستاذنا المرحوم الدكتور طه حسين قائلاً: إن هذه لفظة قرآنية، لا أذكر أنى قرأتها فى شعر أو نثر، فذكرت له الآية الكريمة ﴿قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضًا أو تكون من الهالكين﴾ وقد أخذ المجلس برأى الرئيس واستعملنا كلمة تدهور وانحلال، وهدم وتفتت وتحلل وفساد على الترتيب المذكور، واستبعدنا كلمة حرض.

١١٠ - هذه الذكريات

أرسلت إلى دار المعارف قائلاً إن لدى مشروع كتاب أو ثلاثة كتب، يتضمن أحدها هذه الذكريات العطرة، والثانى تاريخ لبعض العلماء قدماء ومحدثين، عرب وأجانب والثالث يشمل نحو ثلاثين مقالاً مبسطًا، وكانت

معظم المادة جاهزة لا تحتاج إلى كبير عناء فى سبيل تنسيقها وإعدادها للطبع، فأرسلت إلىّ الدار تقول: مستعدة أن تدفع لى عشرة فى المائة من ثمن الغلاف، فصعبت علىّ نفسى، أن أبذل هذا الجهد وأقدم مثل هذه المواد وأحصل على ١٠٪، هنا يكون نصيب الطابع والناشر والمعلن، تسعين فى المائة وطويت المشروع إلى حين يأذن الله.

١١١ - فى موضوع الاختلاط

لقد كان موضوع الاختلاط بين الجنسين فى الجامعة مثار كثير من النقاش فى الخمسينات وذلك بمناسبة العزم على افتتاح كلية خاصة بالبنات، وأذكر أنى كنت من أنصاره، لما سمعته من أستاذنا المرحوم لطفى السيد، بأنه انتصر فيه ونفذه فى غفلة من إخواننا باعتبار كلمة «طالب» استعملت كاسم جنس لتدل على الطالب والطالبة، ولكن حدث أنى عارضت فى دخول إحدى الطالبات كلية العلوم، لما ثار حولها من شائعات رغم ذكائها الفائق، ثم حدث مرة أنى بينما أغادر مكتبى فى الثانية والنصف وإذا بحلقة رقص وزمر فى فناء الكلية، ووجدت من المناظر مالا يليق خاصة وأن الدراسة ماتزال مستمرة فى المعامل والمدرجات، فأمرت بفض السامر ولم أغادر الكلية إلا بعد أن نفذ الأمر تمامًا، كما حدث مرة أخرى، وأنا أنظر من نافذة مكتبى أن رأيت مجموعة من الطلبة، تتحلق حول فتاة لبست فستانًا شفافًا خليعًا، فأرسلت من يطلبها لتحضر فى مكتبى وقلت لها ما هذا؟ إن ذلك لا يليق فى محل عمل وبين زملائك، وإن الحشمة أولى فخرجت متراجعة ومعتذرة.

ومع ذلك فإن ما كنت أسمعه وألاحظه فى المجتمع النسائى البحت، يدل على أن الاحتشام مع الاختلاط كان هو السائد فى كلية العلوم على حين أن

التبذل وما يتبعه كان أكثر شيوعًا فى كليات البنات، وقد أتيح لى أن أمارس التدريس فى مختلف الكليات والمجتمعات.

١١٢ - الدرس الخاص

وفى نفس المدة حولت إلىّ الجامعة شكاوى أحد الطلبة من أن معيدين من قسم الطبيعة قد أعطوا طالبًا درسًا خصوصيًّا، دفع فيها مئات الجنيهات ورسب فأحضرت المعيدين، وطلبت إليهما أن يعيدوا المبالغ التى دفعها لهم الطالب وبذلك تتحول المسألة إلى أن الطالب قد استعمل حقه فى أن يشرح له المعيد بعض النقاط الصعبة، وقد أدى المعيدان واجبهما نحو الطالب، ولم يعد فى المسألة درس خاص ولا أجر، وبذلك اكتفت الجامعة بلفت النظر للمعيدين ولعلهما استفادا من هذا الدرس منذ أصبحا أستاذين كبيرين.

١١٣ - أفواف الزهر

ديوان شعر أنيق، لشاعرة العراق، الدكتورة عاتكة الخزرجى، وقد صدرته بصورة لها، داخل وردة جميلة، وقد طبع على ورق صقيل، وأخرج إخراجًا رائعًا، أهديته عند زيارتى لها فى كلية التربية بجامعة بغداد، كتبت إليها شاكرًا هديتها الجميلة، قلت لها بوصفى أستاذا للنبات، فإنى أقرر أن أجمل أزهاره، الزهرة الأولى، أعنى الوردة التى تتوسطها صورتها وبوصفى متذوقًا للشعر العربى، فإنى أقرر أن شعره كله يفوح منه شذى عطر جميل، لابد أن به بعض أنفاسها، وقصائد الديوان كله، إنما هى شعر حب وغزل جميل فى ذات الله سبحانه وتعالى، فهى فيها تقول شاعرة متصوفة، وكنت أقول لها مداعبًا، من عساه يكون سعيد الحظ الذى يرمز له فهى تقول:

أحبك لو صح أن الهوى | تترجمه أحرف أو معان
أحبك للحب لو أعربت | عن الحب قافية أو بيان
وأنت جميل تحب الجمال | فإن تجليت كان افتتان

* * *

وأسفر وجه الزمان المهيب | عن الهز فى خلجات النظر
وكنت وكنت وكان الهوى | على غفوة من رصيد القدر
وأجسست فى خافقى هزة | تلاشى كيانى بها وانحسر

١١٤ - دسم المعرفة

فى أول يناير سنة ١٩٧٣م نظمت الجمعية الطبية فى جاما الإسكندرية ندوة علمية عن الطب عند العرب وقد دعتنى إلى القاء محاضرة عن مكانة الطب عند العرب، وكانت الندوة برئاسة أستاذنا الدكتور كامل حسين، وحضرها كثير من الأطباء والمختصين، وقد ألقيت محاضرتى ملخصة فيما لا يزيد عن نصف ساعة، حسب الوقت المحدد، وفى مساء نفس اليوم، وكنا ننزل فى فندق سيسل فى ضيافة جامع لإسكندرية، سألت أستاذنا الدكتور كامل حسين عن رأيه فى محاضرتى، قال فى ظرفه المعهود، وهل أنت فى حاجة إلى رأيى كفاية «دسم المعرفة» إلى جانب ما يتجلى من إيمانك بالفكرة، مع جودة اللغة وبراعة الإلقاء، فشكرت له هذا التقدير من أستاذ جليل؛ وقد جمعت محاضرات هذه الندوة ونشرتها فى عدد خاص من مجلة رسالة العلم، وفى الحق أنها دراسة قيمة لدور العلماء العرب فى مجال الطب وقد ذكرت دور المصريين القدماء، ثم انتقلت إلى دور علماء الإغريق وبخاصة أبقراط ثم إلى دور علماء الإسكندرية وبخاصة أوريباسوس ثم إلى العصر الإسلامى، ذاكرًا نبذة عن الطب فى العصر الجاهلى من أمثال ابن حزيم والحارث بن كلدة والنضر بن الحارث وابن أبى رمثة، ثم إلى الطب

النبوى، وهو عبارة عن الأحاديث التى تنسب إلى الرسول الكريم وأسماها المؤرخون كالحموى والذهبى وابن قيم الجوزية بهذا الاسم، ثم أطباء العصر الأموى من أمثال ابن آثال وبتاذون وابن أبى الحكم، وكيف أن الوليد بن عبد الملك أول من بنى البيمارستات وأول من أنشأ محجرًا فى الإسلام، ثم بعصر الترجمة فى العصر العباسى، ثم عصر الإبداع بالرازى وابن سينا والزهراوى وابن النفيس وابن زهر وغيرهم.

١١٥ - مرارة

فى ظهر أحد الأيام، أطلعنى أحد أولادى على نعى لشقيق الدكتور كامل حسين، فى جريدة الأهرام، وكان موعد الجنازة ظهر نفس اليوم وكان من المستحيل القيام بواجب العزاء عند تشييع الجنازة، ولم يكن بد من الانتظار حتى مساء اليوم نفسه، لتعزية أستاذنا وصديقنا الدكتور كامل حسين فى السرادق المخصص لذلك فى ميدان التحرير بجوار جامع مكرم، وفى تمام السابعة مساء كنت إلى جوار أستاذنا لأقدم العزاء، وإذا بأربعة ميكروفونات يتلو منها المشايخ القرآن الكريم فى سرادقين متجاورين إلى جانب عزائين فى واجهتى المسجد، وكان من المستحيل متابعة أى منها أو الانصات إلى أيها، فالأصوات متداخلة، ولا يمكن متابعة أى من القراء، ولم يكن بد كذلك من متابعة الحديث فى الأحوال الجارية، والأمور المتعلقة بالوطن ومشاكله ومن فيه، ومافيه ومن تناول مسائل علمية، واجتماعية وسياسية مدى أربع ساعات كاملة وكان تعليق أستاذنا الدكتور حسين أنه ليس عجيبًا أن تتفق آراؤنا اتفاقًا كاملًا فى كل ما عرضنا له من شئون وشجون ولكنى علقت على ذلك بقولى، ولكننى عندى «مرارة» قال أليس غريبًا أن نتفق حتى فى المرض، قلت لا ، وما ذلك إلا لأن مرارتى معنوية، قال أما أنا فقد اعتدت أن أنظر إلى الأشخاص والناس من الجانب

الحسن، فلكل إنسان مهما تكن مساوئه له جانب أو أكثر يوصف بالحسن ثم أنى إلى جانب ذلك أفضل أن أكون مغلوبًا عن أن أكون غالبًا، قلت لأستاذى إن هذه ملائكية لا أدعى أنى وصلت إليها أو قاربتها، قال لعلك لو حاولت تستريح وتريح قلت لقد فات الأوان، وإن ما أشعر به من مرارة مما لقيت من عنت من الأصدقاء وغير الأصدقاء على السواء مما يفوق الوصف، نسأل الله السلامة وله الحمد أولا وآخرًا.

١١٦ - قمة النذالة

كنا نجلس فى قاعة مجلس مجمع اللغة العربية، خمسة أو ستة من الزملاء والخبراء، وفى إحدى لجان المجمع وبعد أن انتهت أعمال اللجنة، تطرق الحديث إلى ماي بين بعض المعارف جحود ونكران فى بعض الأحيان، ومن خسة ونذالة لدى البعض الآخر فقلت إن لدى اصطلاحا أطلقه على أمثال من ذكرنا، نتيجة لما عاش فيه المجتمع منذ عشرين عامًا من قهر ومن ضغط فكثر الخوف والجبن لدى البعض، وكثر النفاق والرياء لدى الوصوليين مما جعلنى أصف هؤلاء وأولئك بالأنذال، وأن أعمم الاصطلاح، «مجتمع الأنذال» ليطلق على أمثال هؤلاء وأولئك، وتطرق الحديث إلى ذكر فلان قال قائل إنه قمة فى النذالة، ورد آخر بأن قمة لا تكفى، بل ينبغى أن يطلق عليه اصطلاح، «مالا نهاية فى النذالة» وهكذا من اسم إلى آخر ومن رابع إلى خامس، ويأخذ شهادة من الجميع بأنه قمة فى النذالة، وإذا بها مجموعة من القمم ولكن مع الأسف فى النذالة، قلت ألم أقل لكم إنه مجتمع الأنذال وهذه النتيجة الطبيعية للقهر والإرهاب أن تختفى الشهامة والمروءة وأن تشيع الخسة والنذالة، فما أحلى الحرية والعدل والأمانة، التى تشيع النخوةالكرامة وما أبغض القهر والظلم، الذى يشيع الجبن والرياء وهل الحياة للإنسان إلا حرية الرأى وحرية الكلمة، وما قيمة الحياة بدون حرية

وما قيمة الإنسان بدون رأيه وفكره، ورحم الله شاعرنا الكبير عزيز أباظه الذى قال:

والرأى للإنسان ضرب من العرض　　　هذان هما الأكرمان من حرماته

١١٧ - فى صالون الأدب

كان بيتنا فى قرية «الغوابين»، أشبه بصالون الأدب، يجتمع فيه معظم أيام الاسبوع، فى المساء خاصة، صفوة رجال القرية، والقرى المجاورة يتبادلون أحاديث الأدب والشعر، ويقرأون فى أمهات كتب الأدب من أمثال الأمالى، والأغانى والكامل للمبرد، والبيان للجاحظ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ونهج البلاغة والعقد الفريد لابن عبد ربه - ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وتفسير القرطبى، والألوسى، والبيضاوى، وما إليها من كتب صحيح أن عددها قليل قد لايجاوز بضع مئات قليلة، ولكنها كتب دسمة وكان والدى عليه رحمة الله يقرأ ونحن نشارك فى الاستماع ومازلنا فى سن الطفولة، وكانت تأسرنى صيحات الإعجاب لكلمة جميلة أو معنى رائع ولما أن كبرت نوعًا شاركت فى القراءة، ثم شاركت فى الشرح والتنقيب، وكذلك استمعت إلى سقط الزند لأبى العلاء ولزوم مالا يلزم له أيضا،ومقامات الحريرى وحفظت بعضها، وصهاريج اللؤلؤ للبكرى وأنا بعد فى ميعة الصبا وسن الشباب واستمعت إلى شروح وتعليقات كثيرة على ديوان الحماسة لأبى تمام وديوان المتنبى وغيرهما من الشعراء، فكان لذلك كله أثره فى تكوينى اللغوى، والأدبى، وأنا أذكر الآن كيف علق أستاذى الأكبر أحمد لطفى السيد حين سمعنى عدة مرات فقال: إنه استخسرنى فى كلية العلوم، وأذكر كيف كنت وأنا فى القسم العلمى أحصل على أعلى الدرجات فى اللغة العربية فى القسمين العلمى والأدبى،

ولا شك أن هذه البيئة الأدبية كان لها أثرها فى تكوينى واستعدادى وفقنا الله إلى مافيه الخير ولاننسى تأثر قراءاتى لأئمة الأدب من أمثال طه حسين والعقاد والمازنى وحسين هيكل وأحمد حسن الزيات وأحمد أمين ومصطفى صادق الرافعى فقد كانت غذائى اليومى.

١١٨ - قتل أوقات الفراغ

حين كنت مديرًا لجامعة الكويت المنشأة من ٦٢/٤/٢ إلى ١٩٦٤/٤/١ حضرت ندوة عنوانها قتل أوقات الفراغ، وكنت بين المستمعين، ولكن خطر لى أن أعلق من مقاعد المستمعين فقلت إنى معترض على التعبير بقتل الوقت فوقت الإنسان هو حياته مادام حيًّا، ومن الخير أن يفيد من الوقت على نحو من الأنحاء، وقلت لهم إنى سكنت فى مصر الجديدة عشرين عامًا، وليس أضيع من الوقت الذى يضيع فى المواصلات ولكنى أفدت منه على هذه الصورة، فتلك المسافة كان يقطعها مترو مصر الجديدة فى نصف ساعة، فأنزل مبكرًا نوعًا حتى أتخذ مقعدًا مريحًا يكون ناحية الشمس شتاء، وبعيدًا عنها صيفًا، وبمجرد أن أقتعد مقعدى أفتح ما معى من كتاب، أتابع القراءة فيه، ومعى ورقة وقلم آخذ مذكرات أسجل فيها خلاصة ما قرأت فإذا تصورتم أنى سأستغل المترو مائتى يوم فقط فى العام، أتابع فيها القراءة لمدة نصف ساعة ذهابًا، ونصف ساعة إيابًا، فلمدة عشرين عامًا، أكون قد قرأت فى المترو مدة أربعة آلاف ساعة فتصوروا كم قرأت من الكتب والصفحات فى هذه الآلاف من الساعات، إنها لاشك آلاف من الصفحات ومئات من الكتب، حتى قال لى أحد أعضاء المجمع فيما بعد، ولم أكن أعرفه حينئذ لقد كنا نسميك الرجل وكتابه.

تلك صورة من صور استغلالى للوقت فى القراءة ولذلك أنادى دائمًا

بالدعوة إلى القراءة كل ساعة من اليوم ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا، ولست نادمًا على هذا الوقت الذى استفدت منه فى القراءة فمتعة المعرفة لا تدانيها متعة وبحر المعرفة لا ساحل له وحقا ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾.

(صدق الله العظيم)

١١٩ - هذا التوشيح

يا نسيم الروض قبل لى الرشا	لا يزيدنى الورد إلا عطشا
لى حبيب حبه حشو الحشا	إن يشأ يمشى على القلب مشى
قوله قولى، وقولى قوله	إن عاش عشت وإن عشت عشا

زرت المغرب العربى بضع مرات فى السبعينات، إذ كنت مستشارًا لمكتب التنسيق التعريب بالرباط، فكنت أذهب ضمن وفد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومجمع اللغة العربية واتحاد الجامعات العربية والاتحاد العلمى المصرى، الذى كنت أمثله وكنا نمضى فى كل سفرة نحو عشرة أيام نجوس خلال الديار، ونزور حواضر الأقاليم من مراكش إلى فاس إلى طنجة إلى الرباط إلى الدار البيضاء، وهى بلاد جميلة فعلًا، وأهلها كرام فعلًا وكانوا يقيمون لنا الحفلات، وكنا نلبى دعوات الشاى والعشاء وفى أثناء تناولنا الطعام من بسطيلة، وكسكسى، وخراف مشوية، ودجاج.. إلخ على حين تعزف الموسيقى، ويغنى أفرادها التواشيح الأندلسية المختلفة، وهى من التراث العربى الفنى الأصيل، وقد طربت جدًا للتوشيح المذكور إن كان المحبوب هو رشا، إنها ابنتى وحبيبتى، وكان لتسميتى إياها بهذا الاسم رنة عجب وإعجاب، فطلبت من الفرقة إعادة غنائه، وفى زيارة تالية للرباط، جعلت الفرقة تغنى تواشيح أخرى جميلة، فقمت إلى قائد

الفرقة ورجوته أن تنشد الفرقة هذا التوشيح الذى يذكرنى بابنتى العزيزة فضلًا عن معناه الجميل، وقد لبت الفرقة طلبى، وأعادت إنشاده، وقد شكرت له وللفرقة حسن صنيعه.

١٢٠ - أزرع فوق بلورة المكتب

بينما أنا جالس فى مكتبى، عميدًا لكلية العلوم، بجامعة عين شمس فى أواسط الخمسينيات زارنى أحد الضباط، وكان فيما يقال مستشارًا لرئيس الجمهورية، وقد عمل بعد ذلك محافظًا ووزيرًا، وتطرق الحديث إلى مديرية التحرير، فقلت له إنه مشروع فاشل، قال ناجح، قلت فاشل، فكم أنفقتم عليه قال بضعة ملايين قلت عندى ما يؤكد أنها بضعة عشر مليونا من الجنيهات، ومع ذلك كم من الفدادين أصلحتم وزرعتم، قال أربعة عشر ألف فدان، قلت عندى من المعلومات ما يؤكد أنها لا تزيد على ثلاثة آلاف فدان. ومع ذلك فليس هذا هو المهم فإنى أستطيع أن أزرع لك نباتا يزهر ويثمر فى هذه الغرفة وفوق هذه البلورة. ولكن لا تسألنى كم تتكلف، فقد تتكلف الوردة مائة جنيه أو أكثر، ولكنها ستنمو وتزهر، كأينع ما تكون، فسأنظم لها كل ما يحتاج إليه النبات من ضوء ورطوبة ورى وصرف وعناصر معدنية وما إليها، فما هو العائد إذا كنا نكلف النبات فى مديرية التحرير مثل هذه التكلفة العالية لنحصل على عائد لا يجاوز عشر معشار ما أنفق، إن الوردة فى البستان أو الحقل لا تتكلف أكثر من ملاليم، وإنها لتباع وتشترى بهذا الثمن والغريب أن هذا الحديث تسرب إلى الصحف ونشر فى بعضها، فجاءنى تأييد كثير من بعض الزملاء، والغريب أنى قابلت زائرى بعد ذلك بأيام فسألته هل بلغت.. قال نعم ولكن خففت نوعًا، قلت ولم تخفف إنها بلادنا ونتمنى على الله أن تغدو جنة وارفة فى كل ربوعها.

١٢١ - نريد عشرة أنهار مثل نهر النيل لكى نزرع واديا آخر مساويا لواديه

فى أصيل أحد أيام شهر سبتمبر فى الستينيات الأولى، وكان رئيس الجمهورية قد ألقى خطابًا، قال فيه إنهم عثروا على وادى آخر تبلغ مساحته ثمانية ملايين من الأفدنة، وإن الدولة ستسعى فى استصلاحه واستزراعه لمضاعفة الأرض الزراعية وأقبل الصحفيون علىّ فى الاتحاد العلمى بعمارة تاجر على ضفاف النيل، وكان الفيضان فى أوجه قلت لهم أترون هذا النيل السعيد يجرى فى أرضنا رخاء منذ آلاف السنين، فى وادى صنعه هو يحمل حبيبات الطمى ويرسبها حيث يشاء.

ويذلك تكامل الوادى ولم يكد يكتمل ستة ملايين فدان، رغم ما أقمنا من مشروعات وسدود وقناطر وترع ورياحات، فما بالكم بالوادى الآخر الذى تكثر به هضاب تعلو مئات الأمتار وبه أودية تهبط مئات الأمتار، والحبيبات رملية غليظة، والماء الأرضى يبعد عن سطح الأرض مئات الأمتار، وإذا لاحظنا أن الماء الأرضى حفرى، بمعنى أنه قديم تكون على مر السنين، وهو قمين أن يجف إذا ما أسرف فى استنزافه، لأن الماء الذى يسحب لا يتجدد تلقائيًا، فإذا ثبت أن هناك نهرًا آخر يزيد فى قدراته على نهر النيل الحالى عشرة أضعاف حتى يستطيع أن يكون واديًا مماثلًا لوادينا، وذلك للفروق الكبيرة بين التربة هنا وهناك وبين بعد الماء الأرضى هنا وهناك، وبين الأرض المستوية هنا والنجاد والوهاد الموجودة هناك، فضلًا عن أن مياه الآبار متصلة بعضها ببعض كالأوانى المستطرقة فما يسحب من هنا إنما يأخذ معه ما يأتى من هناك، كما أننا نحفر إلى عمق مئات الأمتار قد تصل إلى الألف لكى نصل إلى هذا الماء مما يكلف شططا.

١٢٢ - بل الحيوانية المهدرة

قلت لأستاذنا المرحوم الدكتور محمد كامل حسين يومًا، إن الانسان حين يمضى شهرا أو شهرين فى الخارج فى أوربا أو أمريكا، فإنه يحس بآدميته وإنسانيته أما حين يعود إلى الوطن، فإنه مع الأسف يحس بالآدمية المهدرة فأجاب بل الحيوانية المهدرة.

١٢٣ - «ليت» و «لو»

كان النقاش دائرًا فى إحدى جلسات المجمع، فقلت فى حديثى للرد على بعض الأعضاء مستعملاً كلمة «لو» فقال معالى الرئيس أستاذنا المرحوم أحمد لطفى السيد إن «لو» تذهب بك إلى باريس وأنت فى موضعك هنا، إنها حرف امتناع لامتناع وأنشد «ليت شعرى وأين منى ليت» إن ليتا وإن لوا عناء.

١٢٤ - «حيعل»

هذا فعل منحوت من كلمتين حى على، مضارعه يحيعل وأمره حيعل وهو من باب النحت ويذكر فى ذلك قول الشاعر:

أقول لها ودمع العين جار   ألم يحزنك حيعله المنادى

فكأن ساعة الفراق قد دنت، إذ أن المنادى أو المؤذن قد نادى: حى على الصلاة وحى على الفلاح، إيذانا بالفراق.

١٢٥ - ليلة فى صحراء سيناء

تعودنا فى الأربعينيات والخمسينيات زيارة شبه جزيرة سيناء بين حين وآخر لدراسة نباتاتها، وكنا نصعد جبالها ونجادها وأوديتها باحثين منقبين عن النباتات فى مواطنها وكم تسلقنا قمم جبل موسى، وسانت كاترين وغيرها من قمم قريبة من دير سانت كاترين، حيث كنا ننزل فيه ونمضى أسبوعين أو أكثر فى تجوال وتصعيد مستمر، وكان المرحوم الأستاذ حسن أفلاطون ينزل غير بعيد منا، وكان يستضيفنا على الغداء مرة ومرات فى كل رحلة، وكنا نصعد الجبال يومًا ونستريح فى اليوم التالى، وفى ذات مرة بعد أن أنهينا الرحلة أخذنا طريق العودة إلى أبى زنيمة حيث بتنا ليلتنا، وكان حارس الاستراحة سواحليًّا، وطلبت منه أن يطهو السمك «صيادية» فأحسن وأجاد وكانت سمكة ضخمة تزن عشرة كيلو جرامات، ومعها نحو خمسة كيلو جرامات من سمك البورى، وكان عشاء فخمًا رائعًا، وفى الصباح استقللنا السيارة فى طريقنا إلى السويس، وإذا بالسيارة تتعطل فجأة واستحال إصلاحها فنصبنا خيامنا، وجعلنا ننتظر فرج الله القريب، ولما مرت سيارة فى ضحى ذلك اليوم، هرعنا إليها نستنجد بها، وإذا بالسائق يهرب منا، وكنا أثناء الحرب العالمية الثانية وعبور سيناء بإذن خاص، وبعد ساعات أخرى مرت سيارة وتوقف صاحبها، وعاد معه اثنان من الزملاء ليبلغوا الجهات المختصة ويرسلوا نجدة لنا، وكان أحد السائقين قد ترجل وقال إنه يعرف نقطة بوليس على بعد عشرات الكيلو مترات سيذهب ليبلغهم الأمر، ولما اطمأنينا إلى قرب فرج الله، ذهبت مع أحد الزملاء لترقب غروب الشمس وفى اتجاه الغرب، ولما غربت أظلمت الدنيا فجأة، فعدنا أدراجنا بسرعة ولكن تبين أننا ضللنا، فتوقفت وإياه عن

متابعة السير وجعلنا نصيح منادين الزملاء وكان اتجاه الريح نحوهم، فيسمعونا دون أن نسمع ردهم ثم خطر لهم أن يضيئوا نور السيارة فرأينا الضوء واتجهنا نحوه، ليلتئم الشمل ونعود سالمين بإذن الله.

١٢٦ - فى واحة سيوه

فى صبيحة ٢٧ يناير سنة ١٩٥٢م، كنا فى طريقنا إلى واحة سيوه، وكان منظر القاهرة غداة حريقها فى ٢٦ مقبضًا مؤلمًا محزنًا، ولكنا تابعنا مسيرتنا نحو واحة سيوة وهى واحة كبيرة متسعة الأرجاء، وتشتهر كغيرها من واحات الصحراء الغربية بنباتاتها، ونخيلها، وأعنابها، وزيتونها إلى جانب عادات أهلها وطباعهم وتقاليدهم بل حتى لغتهم وفى اليوم التالى، زار الواحة المرحوم اللواء صالح حرب، ونزل معنا فى نفس الاستراحة وكان محدثًا بارعًا فكنا نمضى أمسيات رائعة، وهو يسرد تاريخ مصر، منذ ما قبل ثورة سنة ١٩١٩ وكيف أنه حارب ضد الإنجليز فى أثناء الحرب العالمية الأولى، ويطوف بنا مواقع تلك الحرب فى تلك البقعة من أرض الوطن، وكيف كان يحارب معه الملك إدريس السنوسى، وكيف طبخوا يومًا الأرز بماء من بركة كان طعم الطين فيه واضحًا، وكان يقول وهنا استشهد فلان، وفى هذا المكان استشهد ضابط آخر وثالث ورابع، يعدهم بأسمائهم، وكان الأهالى يحتفلون به لمعرفتهم إياه وفى ذات مرة رأيت أن أرد على أحد خطبائهم فما كان من هذا الخطيب إلا أن يقوم من مقعده، ويقدم لى نصيبه من الجمار وكان أمام كل منا جمار نخلة قدمه قائلًا إنى أقدم نصيبى هدية للبك الذى غلبنى فى الخطابة، وفى آخر ليلة قبل سفرنا أهدى إلينا المرحوم صالح حرب خروفًا، فذبحناه لنتعشى به، ورأيت أن أعزمه ليتعشى معنا، وقلت له فضلة خيرك فغضب غضبًا شديدًا، أن أذكر هديته إلينا، ولكنه قبل وظللنا طوال السهرة فى حديث ممتع يروى فيه تاريخ مصر، وما قام به

زعماؤها من تضحيات، ولما عدنا إلى القاهرة سمعنا إشاعة أنه هارب، مع أنه كان فى الواقع يستجم ويروى تاريخ مصر.

١٢٧ - بين واحتى الداخلة والخارجة

لعل الواحات الداخلة والخارجة، هى من أكثر الواحات التى قمنا بزيارتها وكانت الإقامة فيها متعة وخيراتها كثيرة، حيث كنا نعود بأحمال من تمر وزيت وزيتون وديكة رومية بأرخص الأسعار، وفى ذات مرة وكان معنا طلبة كثيرون، اشتروا من إحدى الحدائق كميات من البرتقال، لأن كلا منهم اشترى بعشرة قروش، وكان العشرون برتقالة بقرش، فامتلأت السيارة التى سنركبها بالبرتقال فقلت لهم إن أكل البرتقال خدمة وطنية، وجعلنا نستبق فى أكل البرتقال حتى نجد مكانا نجلس فيه، وفى رحلة أخرى ذهبنا فى رحلة علمية مبتدئين بالواحات الخارجة، تفتحت لنا أبواب الاستراحة الملكية ونزلنا فى قاعاتها الفخمة - وكنا قد أخذنا من الكلية ورقة من ذات الخمسين جنيها لمصروفات الرحلة ولكن المحافظ أحسن استقبالنا وخصص لنا سيارات من المحافظة لتنقلاتنا وقيد على حسابنا صفائح البنزين التى استنفدناها فى رحلاتنا إلى بلدان الخارجة والداخلة ووقعت على الاستمارات الخاصة بذلك، وعلى ذلك لم نحتج إلى فك الورقة ذات الخمسين جنيهًا، وبذلك أعيدت بذاتها إلى خزانة الكلية.

وكانت الرحلة موفقة ولله الحمد، حيث قطعنا مئات الكليومترات فى كل اتجاه، وجمعنا مختلف أنواع النبات من بيئات مختلفة، مما يعمر المنطقة وعدنا نحمد الله على سلامة الأوبة وسلامة ذمتنا ولله الحمد، حيث كنا نسمع عن رحلات أخرى لا يعود من ميزانيتها مليم واحد وكانت تنفق مئات الجنيهات.

١٢٨ - بين واحات الفرافرة والبحرية

تعتبر هذه الواحات من أقل الواحات ارتيادًا، وأقلها إقبالاً من بين المرتادين والمرتحلين وذلك لصعوبة الطريق إليها، ولكنها لم تكن من الأماكن التى زرتها، فأصررت على قيام هذه الرحلة رغم ما يذكر عنها من صعوبات وما يعتريها من عقبات فاستأجرنا سيارة خاصة واعتمدنا على الله وأخذنا طريقنا إليها، وكان السائق خبيرًا بالطريق، وكان يشك أحيانا فى اتجاهه، فينزل من السيارة، ويذهب جريًا فى اتجاه ما، ثم يعود، ليستأنف الجرى فى اتجاه آخر وأخيرًا يقرر السير فى اتجاه خاص، ونحمد الله أنه لم يضل ولم يضلل وأخيرًا وصلنا بسلامة الله وبدأنا عملنا الجاد فى دراسة البيئة وتوزيع النباتات، وبعد أن أمضينا أيامًا بالبحرية قررنا السفر إلى الفرافرة والطريق إليها أشد وعورة والصحراء هناك جبلية وليست رملية، وتخوف البعض فتخلفوا بالبحرية، حتى نعود إليهم، ولكنى صممت على الذهاب إلى الفرافرة مع بعض الزملاء، وقد وصلناها بعد جهد جهيد، فإذا بها ذات أرض أجود من بقية الواحات وزرعها وثمرها أوفر، ولكن استراحتها الأميرية أفقر كثيرًا، لا يكاد يوجد بها إلا دكك طينية هى للجلوس، وهى للنوم، ولكن أهل الواحة أصروا على استضافتنا وبعد نحو ساعتين فرش البساط وبه الديكة الرومية والدجاج البلدى بكميات وافرة.

وكان الصعوبة فى دورة المياه، حيث لم يكن بها مياه، وكان الجو قارس البرودة وتيارات الهواء الصاعدة عنيفة، مع ذلك فقد احتملنا الكثير فى سبيل العلم وفى سبيل إتمام الرحلة كما صمم لها وقد نجحت ولله الحمد.

١٢٩ - العلامات المميزة للعالم

لقيني ذات يوم معالى المرحوم محمد العشماوى باشا، فقال إن لديكم عالمًا ممتازًا قلت من عساه يكون قال الأستاذ محمد حسيب، قلت وكيف قدرت علمه وفضله وهو فى غير اختصاصك ولا شأن له بالقانون وأهله، قال لقد كنت معه فى رحلة فى شبه جزيرة سيناء، وسألناه عن اسم نبات التقطناه من الصحراء فقال ببساطة «لا أدرى» مع أنه لو برطم بأى اسم أجنبى أو لاتينى لما استطاع أحد أن يخطئه، وحقًّا وحقًا من قال لا أدرى فقد أفتى، وحادثة أخرى دلت على عظم قدره، ذلك أنه التقط نباتًا من صحراء سيناء فى أثناء تجولنا وأعطاه للتابع ليحفظه، وبعد برهة سأل الرجل عن النبات فأجابه بأنه أكله، فتميز الأستاذ حسيب غيظًا، وكاد أن يفجر بطنه لكى يستخرج النبات، وذلك يدل على مدى حبه لعلمه وفنه، وتلك أيضا سمة من سمات العلماء الممتازين حبهم لعلمهم وللمعرفة، وعدم الفتوى فيما لا يعرفون ولا يطمئنون إلى صوابه وحقًّا لقد كان المرحوم الأستاذ محمد حسيب أمة وحده فى مجال تصنيف النباتات ومعرفة أسمائها العلمية وفصائلها وأجناسها وأنواعها، وكان صحب مدام تاكهلم فى رحلة، وجعلت هى تلقى باسم النبات جنسه ونوعه، وإنه ليشك فى صحة النوع، فيقول على الفور من فضلك يا مدام، لا داعى لذكر اسم النوع.. رحم الله أستاذنا وزميلنا.

١٣٠ - الذى آلمنى أنى اضطررت لتغيير مبدئى

كلمة قالها المرحوم الأستاذ محمد حسيب، وقد كنا فى رحلة علمية إلى منطقة الإسكندرية وعلمنا أن أستاذنا مدام تاكهلم فى طريقها إلى

الإسكندرية قادمة من أوربا، وأن الباخرة التى تقلها تصل الميناء فى الخامسة مساء، وكنا نتناول غذاءنا فى مطعم فى محطة الرمل فى الثانية بعد الظهر، وقد انتهينا من تناول طعام الغداء فى نحو الثانية والنصف، وقال المرحوم الأستاذ حسيب هيا بنا فقلنا له (أنا وزميل آخر)، ما زال الوقت متسعًا، فإن الذهاب إلى الميناء، لا يحتاج لأكثر من نصف ساعة، حتى ولو ذهبنا سعيًا على الأقدام فقال بل نذهب مبكرين، فذلك أضمن، فقلنا إن الانتظار فى هذا المقهى أو ذاك أيسر وأمتع من الانتظار هذه المدة الطويلة فى الميناء، وانتصرت وجهة نظرنا، أو لعله انصاع إلى رأى الأغلبية، وقمنا فى الرابعة لنصل الميناء قبيل الخامسة، وإذا بنا نعلم أن الباخرة قد وصلت فى الرابعة وأن الركاب قد غادروها كل إلى حال سبيله منذ زمن طويل، فتميز صاحبنا غيظًا، ورمى بالزهور الجميلة التى كنا قد اشتريناها لنلقى بها الأستاذة وعاد أدراجه إلى محطة السكة الحديد رأسًا ليأخذ القطار عائدًا إلى القاهرة وكان من المقرر أن نمضى الليلة فى الإسكندرية، وقال إنما يؤلمه ويزعجه أنه اضطر إلى تغيير مبدئه الذى أخذ نفسه به طيلة حياته، فلم يكن لديه مانع أن يذهب إلى محطة السكة الحديد لينتظر القطار لساعة أو أكثر مع أن موعد وصوله محدود وأن انتظار القطار فى المحطة لا يطول أكثر من دقائق معدودات، وتلك أيضا كانت سمة من سماته رحمات الله عليه.

١٣١ – حبا وكرامة

فى ذات ليلة، كنا نقضى أمسية السهرة فى بيت المرحوم الدكتور مشرفة حيث كان من عاداته استقبال أعضاء هيئة التدريس بالكلية فى منزله فى مساء العاشر والعشرين من كل شهر، وفى ذلك المساء كان ثمة عدد كبير من الزملاء يشغلون حجرات وردهات الفيلا التى يسكنها الأستاذ العميد،

وكان من بين ضيوفه المرحوم الأستاذ كامل كيلانى، وكان يؤنس الجلوس بأحاديثه، وإذا به يسأل «إن الذى يعرف معنى خبًّا وكرامةً سأنفحه عشرة جنيهات، فانتحيت به جانبًا وقلت له أنا أقبل بجنيه واحد، فسألنى هامسًا وهل تعرف معناها قلت نعم إنه «الزير وغطاه» قال طيب اسكت حتى ترى النتيجة، وبالطبع لم يقل أحد المعنى، فقلت له ضاحكًا عليك بالجنيه ولما لم يدفع شكوته ضاحكًا إلى أستاذنا المرحوم الدكتور مشرفة، قلت له لقد ذكرت المعنى ولكنه لم يدفع حتى ولا الجنيه الواحد، الذى قبلت به، فاحتج المرحوم كامل كيلانى قائلاً إنى لم أشرك فلانا فى المسابقة، فقال المرحوم الدكتور مشرفة ضاحكًا ان من الشرك ألا تدفع ما وعدت به.

وكذلك كانت تمضى أمسيات المرحوم مشرفة، ما بين أحاديث أدبية أو شعرية أو عزف على الآلات الموسيقية، وكان المرحوم الدكتور مشرفة من هواتها، لقد كانت جلسات رائعة رحم الله الجميع.

١٣٢ - إذا أردت أن تعرف

حكمة تعلمتها منذ الرابعة الابتدائية، كان مدرس الترجمة يعلمنا كيف ننقلها من العربية إلى الإنجليزية وهى: «إذا أردت أن تعرف ما يقال عنك، فاصغ إلى ما يقال عن غيرك» وهى حكمة رائعة، كلما جلست فى مجلس واستمعت إلى ما يلوكه الزملاء، وما يتناولون به بعضهم بعضًا ذكرت هذه الحكمة البالغة، وهى أنه من المحتم، أنهم سيتحدثون عنى فى غيابى، بمثل ما يتحدثون به عن الغير.. غفر الله للجميع.

١٣٣ - ما أكرم هذا الزائر

إنه نفس مدرس الترجمة السابق ذكره، الذى علمنا الحكمة القائلة إذا أردت أن تعرف.. إنه هو نفسه، وفى نفس السنة، يعطينا درسًا آخر فى الترجمة إلا أن موضوعه التعجب، ولا يجد عبارة أبلغ من التعجب من كرم زائر الفصل وهو سعادة مدير الدقهلية فى ذلك الحين، فكانت الجملة المطلوب التعجب منها هى هذا الزائر كريم... وصيغة التعجب منها ما أكرم هذا الزائر.

١٣٤ - القرنية لا البقلية

فى إحدى جلسات المجمع اللغوى، وكنت أعرض مادة فى مصطلحات علم النبات وقلت عن فصيلة الفول والعدس والفاصوليا البقلية، فصاح الأمير مصطفى الشهابى رحمه الله، بل القرنية نسبة إلى الصفة السائدة فيها وهى أن الثمرة «قرن» قلت إننا فى مصر نستعمل بقلية منذ خمسين عامًا فقال المرحوم الدكتور طه حسين تستعمل مصر بقلية منذ خمسين عاما خطأ، وتستعملها سوريا قرنية صوابًا فماذا ترى قلت بل نلتزم الصواب، ومنذئذ شاع استعمال قرنية ترجمة لكلمة Leguinosae.

١٣٥ - مع الضرائب

وصلنى ذات يوم خطاب من مأمورية الضرائب بالدقى، يطالبنى بمبلغ كبير نسبيًّا من المال كضرائب متأخرة، إنها بضع مئات من الجنيهات، فذهبت إلى المأمورية ودفعت المبلغ شيكًا على بنك مصر حيث حسابى، وانتظرت أسابيع وأشهر دون أن يصلنى الإيصال، فمررت على المأمورية،

وبعد أن أهديت إلى السيدة المسئولة، وبعد بحث طويل وجدت الملف الخاص بى، واستخرجت صورة الإيصال، وكان لابد من توقيعها من رئيسها فدخلت إحدى الغرف، وعادت، فسألت هل تم التوقيع قالت لا، إن البك يفطر، فقلت ادخل أسلم على البك فإذا به يتناول إفطاره حقيقة، ولكن الغرفة قذرة إلى أبعد الحدود وكان معى ورقة ممزقة، فسألت البك أين أرميها، فقال هنا، وأشار إلى أرض الغرفة المليئة بالبقايا والأوراق والفضلات وأعقاب السجائر، فقلت ولم ذلك قال وما العمل؟ إذا كان لدينا خمسة من الفراشين، توفى أحدهم، ومرض الثانى، وثالثهم فى أجازة ورابعهم فى مشوار ولم يبق إلا الخامس، فعلقت يكفيه أن يأتى بالإفطار، وأخذت الإيصال وانصرفت، وبعد شهرين جاءنى خطاب آخر من المأمورية يطالب بدفع المبلغ السابق توريده، قبل يوم كذا وإلا وقعنا الحجز، فبحثت عن الإيصال حتى وجدته، ثم ذهبت إلى البك وقلت له إنكم تطالبونى بهذا المبلغ، قال نعم، قلت ولكنى دفعته، وهذا هو الإيصال قال وإيه يعنى؟ قلت ما شاء الله كان هناك ثلاثة احتمالات، أحدها أن أكون قد توفيت فتطالبوا الورثة، أو أن يفقد الوصل، فاضطر للدفع مرة أخرى، والاحتمال الثالث ألا أحضر اليوم، فتحجزون علينا، وتفضحونا، فطلب الدوسيه، ووجد صورة الإيصال واعتذر بأنه لا يوجد دبوس ليشبك الإيصال فسقط فى قاع الدوسيه، فخرجت من المأمورية غاضبًا، وآليت على نفسى ألا أعود إليها، ومنذئذ لا أتعامل معها إلا عن طريق المحامى، وقد كان وحتى الآن.

١٣٦ - عميد العلوم بلا ملابس

فى سبتمبر سنة ١٩٥٧م، كنا نستعد للسفر إلى بيروت، حيث عقد المؤتمر العلمى الثالث فى بيروت، وقبيل السفر بأيام معدودات، وقع حادث

بالمنزل وسرقت ملابسى المعلقة على المشجب وما بها من حافظة نقود وكذلك ساعتى ونقود ومصوغات كانت بدولاب الملابس، ونشرت الجرائد الحادث، وكان عنوانه عميد العلوم بلا ملابس، فكانت مثار تهكم وتريقة من المعارف والأقارب، ومع أن البوليس وعد بتعقب الجانى، وضرورة إعادة المسروقات وبالطبع لم يحدث ذلك فمنذئذ لم نعد نبلغ الشرطة عن أى حادث من هذا النوع وكفى الله المؤمنين القتال.

١٣٧ - العميد الذى يتحدث عن الحب بدلا من الذرة

وفى ذات يوم، وكنت عميدًا للكلية، نشرت لى جريدة الأخبار حديثًا ومع أنى تناولت فى حديثى كثيرًا من الموضوعات العلمية، إلا أن المحرر ركز على حديثى عن الحب، وأنه موجود حتى فى الكائنات الأخرى غير الإنسان وحتى الأرقام كانت العرب تسميها الأرقام المتحابة، وهى التى إذا وضعت فى خانات ضمن مربع معين، ذى تسع أو ست عشرة خانة أو خمس وعشرين كان المجموع فى أى اتجاه واحدًا، وأن الكائنات النباتية والحيوانية فيها كثير من مظاهره، لأنه عنصر أساسى فى الحياة، فعقب أحد كتاب الجريدة فى عموده الخاص بهذا التعقيب من باب الإثارة ولله فى خلقه شئون.

١٣٨ - رحلة مباركة

فى منتصف نوفمبر سنة ١٩٦٠م، حضرت أستاذًا زائرًا بجامعة الرياض، وألقيت على طلاب كلية العلوم مقررًا فى علم البيئة النباتية وعلم التقسيم، وأنهيت المقرر فى ستة أسابيع أمضيتها فى الرياض، وكنت ألقى

خمس محاضرات فى الأسبوع وأقوم برحلات علمية مع طلابى لجهات مختلفة فى المملكة، وألقيت محاضرات عامة فى جامعة الرياض، وفى معهد الأنجال، الأولى بدعوة من الشيخ ناصر المنقور وكان مديرًا للجامعة، ثم عين وزيرًا للمعارف، أما محاضرة معهد الأنجال فكانت بدعوة من الشيخ عثمان الصالح مدير المعهد، وبعد انتهاء المحاضرة، دعيت لمقابلة المغفور له الملك سعود، وتناولت العشاء على مائدته، كما دعيت مرة لتناول العشاء على مائدة الأمير عبد الرحمن عم جلالة الملك، وفى رحلة إلى المنطقة الشرقية دعيت لمقابلة الأمير ابن جلوى، وبقيت معه ساعات نتناول أحاديث ودية وأشرح فيها مسائل علمية كما دعيت لتناول العشاء فى قصره والمبيت به، وفى ثانى يوم دعيت لإلقاء محاضرة عامة فى الهفوف، وكانت ناجحة جدًّا وفى هذه المحاضرات العامة لاحظت اهتمام المسئولين بالتقديم والتعقيب، كما لاحظت أن الطلاب يحسنون الإصغاء، وفى طريق العودة قمنا بزيارة جدة ومكة، وأديت واجب الطواف والعمرة، ثم شرعنا فى المساء فى رحلة زيارة المدينة المنورة للسلام على الرسول الكريم، فأخذنا السيارة وكانت فارهة رائعة وبها راديو، وكانت أم كلثوم تغنى فى القاهرة، وكان الليل رائعا، وكانت ليلة رأس السنة واسترحنا فى ينبع حيث تناولنا العشاء، وفى فجر الصباح أول يناير سنة ١٩٦١ م استقبلنا الحرم النبوى الشريف، لنصلى الفجر فى الحرم ولنسلم على رسول الله ﷺ، فكانت رحلة رائعة مباركة ما زلت أذكر سحرها وروعتها وبركاتها.

١٣٩ - هل أستطيع المساعدة ياسيدى؟

فى صيف سنة ١٩٦٨ م، كنت فى زيارة للندن، وخطر لى أن أذهب إلى باريس لبضعة أيام، فذهبت إلى مبنى «إدارة الجوازات»، وضغطت على

جرس الباب ففتح الباب، وإذا برجل ينحنى أمامى قائلًا: هل أستطيع المساعدة يا سيدى فقلت إنى أريد أن أحصل على تأشيرة خروج وعودة «فأشار إلى أحد النوافذ، حيث تقف شابة حسناء، أخذت جواز السفر، وبعد دقائق معدودات، عادت به وقد منح تأشيرة خروج وعودة، ثم مدت الإقامة شهرًا، دون أن أطلب، وعللت ذلك بأنى قد أتأخر فى باريس أو أحب أن أطيل إقامتى بها فشكرت لها هذا الصنيع الكريم، وذكرت ما كنا نلاقيه من متاعب فى استخراج الجوازات وضرورة موافقة مكتب الأمن، وكم من المؤتمرات دعيت لها، وحرمت من المشاركة فيها بسبب تأخر هذه الإجراءات، والتى كانت تمتد إلى ما بعد انتهاء المؤتمر، وأذكر هذا الساعى الظريف فى المجمع، الذى أنهى لى الإجراءات مرة فى مدة معقولة وكانت هذه مفاجأة لى، فمنحته منحة سخية جزاء جهوده وأذكر وأنا أكتب الآن هذه الذكريات العطرة، والوقت والنفقة والجهد الذى نبذله فى الحصول على تأشيرة أو تسجيل إقامة أو حجز تذكرة أو ما إلى ذلك من مسائل ومشاكل تحتاج إلى جهود صعبة من أولى العزم مع الصبر والاصطبار، من إجراءات ومجهودات ليس لى حصرها من سبيل والله المستعان.

١٤٠ - بين آثار مصر

عندما كنت طالبا فى السنة الرابعة الثانوية، بمدرسة الجيزة الثانوية وكانت أول سنة تفتتح بها هذه المدرسة، فى حديقة الأورمان فى مواجهة مبنى جامعة القاهرة نظمت المدرسة رحلة إلى آثار مصر فى الأقصر وأسوان، وكانت رحلة ممتعة بارعة شاهدنا فيها لأول مرة عظمة الآثار الفرعونية، وقد داهمنى ارتفاع فى درجة الحرارة ولكنى قاومت، وكنت أشرب الماء البارد قبل أن يكشف علىّ الطبيب، وذلك حتى لا يثبت الترمومتر ارتفاع درجة حرارتى فيحرمنى من الرحلة ويفرض علىّ الراحة، ومكثت على ذلك

طيلة أيام الرحلة، وفى رحلة العودة اشتدت وطأة المرض، وكنا نركب قطار الصعيد الذى يغادر أسوان فى حوالى الرابعة بعد الظهر ليصل القاهرة فى صباح اليوم التالى، وكان رفيقى فى الديوان المرحوم الدكتور عزيز فهمى (المحامى وعضو مجلس الأمة فيما بعد)، فأصر على أن يقضى الليل بطوله مستلقيا على الرف ليترك لى أريكة الديوان، فكان هذا التصرف منه مثار إعجاب وإكبار يدل على شهامة وأصالة، وبعد العودة وانتظام الدراسة زارنا المرحوم الشيخ على الجارم وسأل من شارك فى رحلة الآثار فرفعت أصبعى بين الرافعين، فسأل من يستطيع أن يصف لنا ما شاهد فرفعت أصبعى بين الرافعين، فسأل من يستطيع أن يصف لنا ما شاهد، فرفعت أصبعى مرة أخرى، وكنت أكتب مشاهداتى فى خطاباتى للوالد رحمات الله عليه، فلما وقفت أخطب انثالت المعانى والكلمات، مما أثار إعجاب الشيخ الجارم، فقال عرفناك خطيبًا فتقدم إلى السبورة وأملانى بيتًا من شعره، وطلب إلى شرح المعانى وما به من محسنات وكنايات واستعارات رحم الله الجميع.

١٤١ - تشجير الصحراء

فى أوائل عهد الثورة، ظهرت دعوات وادعاءات كثيرة لمشروعات وهمية مثل تشجير الصحراء، أو إسقاط المطر الصناعى، وذهبت هيئات كثيرة إلى الصحراء، حيث زرع كل واحد شجرة فى الصحراء، وظهر كثير من المؤيدين والمطالبين للمشروع، على أنى نبهت بنى قومى، إلى الحقيقة المرة، فكتبت ونشرت وأذعت، أن الصحراء ستظل صحراء، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها إلا إذا أرادت وشاءت إرادة الله أن ينزل علينا غيثا من السماء وأن يبدل الجو غير الجو، ويأتينا بجو الغابات المطير وكذلك الحال، عندما دعيت إلى عمل بحث عن الضائع من الموارد العلمية فى

الوطن العربى فوضعت ورقة أسئلة أتبعتها بأخرى، وجهتها إلى المسئولين فى البلاد العربية، وكانت تشمل أسئلة كثيرة عن حالة العلم والتعليم فى أرجاء الوطن العربى، وكانت الإجابة مع الأسف مؤلمة، إذ تبين بما لايدع مجالاً للشك أن الأمية فى ازدياد مستمر، وما ذلك إلا لأن هناك فائضا فى المواليد على الوفيات يقارب المليون عدًّا، فكان لدينا رصيد من الأمية، نضيف إليه كل عام فكان أن ارتفعت نسبة الأمية بدلاً من أن تنخفض فزادت فى العقود الأخيرة من ٥٠ إلى ٦٠ إلى ٧٠ ثم إلى أكثر من ثمانين فى المائة وقد خاف على بعض الزملاء أن أنشر مثل هذا الرأى، وقالوا إن هذه حقائق ولكن لا تقال، ولكنى كتبتها ونشرتها وأذعتها والله المستعان.

١٤٢ – المهم أنه لا يوجد تقدير

كان لنا أستاذ فاضل فى الرياضيات فى المدرسة الثانوية بالمنصورة هو الأستاذ نقولا باسبور وكان يوصينا فى آخر درس له، ألا نعمل مدرسين وأذكر له وكنا نهابه جدًّا لشخصيته المهيبة، وكان يظن أنى ضعيف فى الرياضة وقد دهش عندما أعطانى الدرجة الكاملة فى امتحان نصف السنة، فأضاف إليها عبارة «أحسنت كل الإحسان» وكتبها بخط كبير ملأت الصفحة كلها.

وشاءت الأيام والظروف أن نلتقى بعد ذلك فى المدرسة الثانوية النهارية وهى مدرسة أهلية، كنت قد انتدبت للتدريس فيها شهرًا واحدًا لم يتكرر رغم أن المكافأة كانت مغرية بالنسبة للمرتب، خاصة وأنه عمل إضافى. ولما التقيت بالأستاذ نقولا باسبور رحمات الله عليه، قلت له لقد كنت توصينا دائمًا ألا نعمل بالتدريس، فجعل كل واحد من الجالسين يذكر عبارة تقديرية إن المدرس هو الشمعة التى تحترق لتضىء، فقال الأستاذ

نقولا لما كنت أوصيكم بذلك؟ لماذا لم تعملوا بالوصية؟ فقلت إنها الظروف قال المهم أنه لا تقدير للمدرس فى بلدنا، وقد أنهيت عملى بالمدرسة بعد شهر واحد لأن الناظر أراد أن يعامل مدرس الأحياء أقل من اللغة الإنجليزية أو الرياضيات فرفضت قائلاً إن كرامتى لا تتجزأ.

١٤٣ - الكنز الموعود

اعتاد المجمع المصرى للثقافة العلمية أن يقيم حفل غداء كل عام فى أحد الفنادق الفاخرة بالقاهرة، فمرة فى سميراميس وثانية فى شبرد وثالثة فى فندق هليوبوليس بالاس، وهكذا، وفى ذات مرة وكان الحفل فى سميراميس، وكان الرئيس المنتخب لهذا العام هو المرحوم «فارس نمر باشا» فقام عقب الغداء يلقى كلمته، وكان فى منتصف العقد العاشر أى أن سنه تناهز الخامسة والتسعين، فقال إنه منذ طفولته وهو يسمع عن الكنز الموعود، ويقرأ عن الكنز الموعود، وينتظر أن يجد الكنز الموعود، وفى منتصف العقد الثانى ظل يبحث عنه ويترقبه، وفى منتصف العقد الثالث جدد السعى وراءه والبحث عنه وفى منتصف العقد الخامس ظل الأمل يراوده فى العثور عليه، وتجددت آماله فى البحث عنه فى منتصف العقد السادس، ثم فى العقد السابع، ثم الثامن ثم التاسع، وها هو يعثر عليه ويراه ويلمسه فى منتصف العقد العاشر، وهو أنتم أيها الشباب من أعضاء المجمع الذين تحملون الأمانة عنا، وتجتهدون فى نشر الثقافة العلمية.

وأذكر بهذه المناسبة، وقد اقترحت على أستاذنا لطفى السيد، وكانت سنه فى التسعينات، أن يضم إلى لجان المجمع الفنية، بعض الأساتذة من الشيوخ، فقال رحمات الله عليه، إنما نريدكم أنتم الشباب أن تحملوها، وأن تتعهدوا الغرس حتى يثمر وينضج على أيديكم وكذلك هى نظرة الشيوخ

إلى الأجيال الصاعدة، يحدوها الأمل فى أن تقوى على حمل الرسالة وأن تتابع المسيرة حتى تحقق أهدافها.

١٤٤ - أصغركم سنا

كنت وأخى المرحوم «محمد» طلبة فى المنصورة الثانوية فى السنة الأولى وكان أصغر طلاب المدرسة الثانوية سناً، إذ لم تكن سنة تجاوز الحادية عشرة والنصف، وفى ذات يوم عقد مدرس الطبيعة امتحاناً لنا جميعًا، وبعد أيام أعلن النتيجة، بقوله مناديا على اسمه أنه أصغركم سنا وأحسنكم أخلاقًا وعلمًا.

وأذكر أنى عقدت امتحانا لطلاب السنة الأولى فى كلية العلوم، وعند إعلانى للنتيجة فى المدرج، وإذا بى أعلن أن الورقة الوحيدة التى أعجبتنى بلا حدود هى للطالب فلان وإنه لأصغركم سنا وأحسنكم علمًا وخلقًا، وهو الآن أحد أساتذة الكيمياء النابهين فى الجامعات المصرية.

وتكررت هذه الظاهرة فى سنين متتابعة، قبل حكاية المجانية المطلقة للتعليم، لقد كانت المصروفات فى الابتدائى ستة جنيهات، وفى الثانوى عشرين للخارجى وأربعين للداخلى وثلاثين فى الجامعة، وما أظننا كلفنا أهالينا أكثر من هذه المصاريف الرسمية ولله الحمد، أما هذه الأيام فرغم مجانية التعليم فإنه فى معظم الحالات كلفتنا الدروس الخصوصية لأولادنا مئات الجنيهات وغدونا نسمع عن مجاميع خيالية، ولكن التحصيل هابط ومستوى الطلاب هابط والأمر لله.

١٤٥ - احتمال الأذى ورؤية جانبه

فى إحدى زياراتى للمرحوم «حسن العشماوى»، وكان يعمل مستشارًا بحكومة الكويت وكنت مديرًا لجامعة الكويت إبان إنشائها، فيما بين سنتى ٦٢ - ٦٤ وقد أنشدته بيتا للمتنبى يقول:

واحتمال الأذى ورؤية جانبه   غذاء تضوى به الأجسام

وإذا بالمرحوم حسن ينتفض انتفاضة إعجاب، ويطلب إعادة البيت مرة وأخرى وإنه ليترنم به ويطرب له قائلاً يا أخى أنت فين، إننا لا نكتفى بأن نرى جانبه فقط، ولكن يفرض علينا استعذاب تعذيبه، وطلب المزيد منه فأنشدته بيتين آخرين للمتنبى فى نفس المعنى وهما:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى   عدوًا له ما من صداقته بد
يروح ويغدو كارهًا للقائه   وتجمعه الأيام والزمن النكد

وكان إعجابى بالبيت الأخير شديدًا، وعجبت كيف يحظى البيت الأول بالشهرة والذيوع دون الثانى الذى هو فى رأيى أبلغ وأعظم.

وكان المرحوم حسن العشماوى يطرب لهذا النوع من الشعر الذى يلائم حاله مع السلطات المصرية آنئذ. رحمه الله رحمة واسعة.

١٤٦ - درجة واحدة

كنا بدأنا أجازة الصيف بعد الدراسة طيلة العام فى المدرسة الثانوية بالمنصورة وكان أحدنا هو الذى يرتب لنا اللعب والألعاب والكرة والأدوات، وهو يرأس الفريق ويدربه ويختار الملعب، ويوزع اللاعبين، وكنا

ننتظر نتيجة الامتحان وما هى إلا أسابيع قليلة حتى وصلت النتيجة بالبريد، وإذا بنا جميعًا ناجحين فيما عدا رئيس الفريق، وبسبب درجة واحدة فى مادة الترجمة فكتبنا خطابًا إلى المدرسة، نتساءل فيه هل حقا أن صديقنا راسب، وما هى إلا أيام إلا وقد جاءنا الرد، على نفس الخطاب الذى أرسلناه ولكن عليه التأشيرة الآتية «معاد إلى حضرات مقدميه للإفادة بأن فلانًا باق للإعادة».

فوجمنا وجومًا شديدًا، وازدادت كآبتنا، ولكن هكذا كانت جدية الدراسة وجدية الامتحانات فى هذه الأيام، وأذكر أنى بعد أن عملت بالتدريس فى الكلية، فكان الأستاذ يصر على رسوب من عمل أخطاء فاحشة، حتى ولو كانت درجته قد زادت على الستين بالمائة فيقول كيف ينقل إلى السنة التالية من أخطأ فى كذا وكذا.. وكذلك كانت الجدية فى الدراسة وفى الامتحانات وأذكر أنى رفضت إنقاص نسبة النجاح فى كليات العلوم من ستين إلى خمسين بالمائة، عندما كنت عضوًا بالمجلس الأعلى للجامعات، وقلت لا ينبغى لمثل هذا المجلس أن يعمل على تخفيض نسبة النجاح ومستواه.

١٤٧ - بيع الماء بالفلوس

ذكرنى أحد طلابى، وهو أستاذ كبير فى الصيدلة فى الوقت الحاضر ذكرنى بأنى كنت السبب فى التحاقه بكلية الصيدلة بدلاً من كلية الطب بسبب رسوبه فى مادة النبات التى كنت أعلمها إياه، فلما جاء معاتبًا، بأنه بسببى دخل الصيدلة ليصبح صيدليًا، بدلاً من أن يدخل كلية الطب ليصبح طبيبًا فقلت له يومئذ، إن هذا جميل ستبيع الماء بالفلوس، وكان هذا هو الشائع المعروف عن الصيادلة، إذ أن أغلب ما كانوا يبيعونه آنئذ،

عبارة عن تحضيرات وقطرات وجرعات، يكون الماء فيها نسبة عالية جدًّا، وما بها من أملاح أو عقاقير أو أدوية لا يزيد على نسبة قد لا تزيد فى بعض الأحيان عن واحد فى الألف.

ولعلى ذكرت له أخيرا ما كنت قرأته من حديث شريف، ياعباد الله تداووا فان الذى خلق الداء، خلق الدواء، فتلمسوا دواء كل داء فى ما تنبته الأرض من نبات، وأن لكل داء دواء إلا واحدًا وهو الهرم.

وهذه مهمة الصيادلة وعلماء الأقرباذين إنما هى التعريف بالنباتات الطبية وطريقة تحضير العقاقير والمواد الفعالة منها - والله الموفق.

١٤٨ - يظهر أنى أحسنت صنعا

أعلنت الكلية عن حاجتها لملء وظيفة أستاذ مساعد فى الطبيعة، وتقدم لشغل الوظيفة اثنان أحدهما من الإسكندرية والثانى من عين شمس، وتألفت لجنة لفحص الإنتاج العلمى وقررت أن كليهما صالح لشغل الوظيفة المعلن عنها ولكن ترتيبها الأول من الإسكندرية والثانى من عين شمس، فاتفقت مع عميد الإسكندرية أن يرقى صاحبه فى كليته، وأن ننتظر نحن حتى يتم ذلك ثم نرقى صاحبنا فى كلبتنا، وكفى الله المؤمنين القتال. فأخذ بالفكرة وتم ذلك فى غضون شهرين وبقى كل فى مكانه.

وبعد سنوات لقيت صاحبنا فى الاسكندرية، وقدم لى نفسه بأنه فلان الذى رفضت أن آخذه فى كلية العلوم بجامعة عين شمس، وكانت قد تناثرت أقوال كثيرة عن أخلاقه الشخصية، وعن تصرفاته فى منزله وأنه ليس كريما مع أهله مما يسبب كثيرًا من ألوان الشقاق، ولذلك فإنه عندما عرفنى بنفسه على هذا النحو لم يكن جوابى له سوى أنه «يظهر أنى أحسنت صنعًا».

١٤٩ - طالب يهدد

بينما أنا جالس فى مكتبى وأنا عميد لكلية العلوم، وإذا بى أسمع ضجة فى الغرفة المجاورة حيث مكتب سكرتيرى الخاص، وإذا بصوت أحد الطلبة يصل إلى مسامعى، أنه يهدد بالضرب بالرصاص، لأنه رسب فى علم النبات وكان ينبغى أن ينجح، بل أن ينال أكثر من ثمانين درجة من مائة.

ولما تعالى الصوت، ولم تهدأ الضجة، فتحت الباب الذى يفصل بين الغرفتين وناديت الطالب أن يدخل عندى، ولما سألته ما الخبر، قال إنه كان ينبغى أن ينجح بتفوق، لا أن يرسب فسألت عن اسمه ورقم جلوسه وأرسلت فى طلب ورقة امتحانه، وما هى إلا دقائق حتى كانت الورقة بين أيدينا، سألته هل هذه ورقتك، قال نعم، وهذا خطك، قال نعم، قلت دعنا نعد ونحسب ونجمع الدرجات، فإذا بها صفر، وصفر، ٢، ٣، ٨ فإذا بالمجموع ١٣ من مائة سألته هل يمكن أن يجمع الكل على ظلمك من المصححين فإن كل سؤال صححه أحد الزملاء وهل يمكن أن يجمع الكل على ظلمك، والأرقام سرية ولنفرض أن كلا منهم ظلمك فى درجة أو درجتين، فهل يمكن أن يرتفع الرقم ١٣ إلى ٨٠، ولنفرض أنها ارتفعت إلى ١٥ أو ٢٠، فإنها لا يمكن أن ترتفع إلى ٦٠ وهى نسبة النجاح، فخرج الطالب مقتنعًا هادئًا راضيًا ولله الحمد.

١٥٠ - لا تحب السرعة ولا تطيقها

نشرت لى جريدة الأخبار ذات يوم حديثًا عن ذكرياتى أيام الدراسة الابتدائية، قلت فيه إن المدرسة كانت بالبندر - فارسكور، وتبعد عن قريتنا الغوابين نحو خمسة كيلو مترات، وكنا نركب آتانا لا تحب السرعة

ولاتطيقها ولذلك كنا نغادر القرية قبل السابعة وأحيانا قبل السادسة، لنكون بالمدرسة قبل الثامنة، وذلك لأن الاتفاق مع الناظر أن كل دقيقة تأخير نعاقب عليها بالضرب عصا واحدة، ولذلك كنا نحرص على التبكير، لأن الطريق لم تكن ممهدة ولا مسفلته، والأيام المطيرة فى الشتاء كثيرة، ولا يخلو الأمر من وحل وتزحلق، وكان بعض الفريق من القرية يذهب راجلاً، والبعض الآخر يشترك ثلاثة من الزملاء فى آتان واحدة المهم أن ابنتى المرحومة د . ليلى كانت طالبة فى كلية الطب بالقصر العينى – عندما قرأت الحديث بكت، لأنها شعرت بشىء من عدم الزهو فلعلها كانت تظن أن والدها كان يركب سيارة كاديلاك مثلاً، أو لعلها كانت تفضل أن يكون والدها من أصحاب السيارات الفارهة – ولعل هذه الظاهرة فى شباب الجيل الحديث، أو لعلهم لا يفخرون بالعصامية، ولكن الحقيقة أننا نحمد الله أننا كنا بالأتان أسعد حالاً، ممن كانوا يضطرون إلى الذهاب إلى المدرسة على بعد خمسة كيلو مترات على الأقدام، وكنت وشقيقى المرحوم (محمد) نشترك فى امتطاء آتان لا تحب السرعة ولا تطيقها، رحم الله تلك الأيام وحمدًا لله على نعمائه.

١٥١ – هذا التنظيم

كنت أدعو طلبة الماجستير إلى المحاضرة فى مكتبى، فقد كان عددهم قليلاً لا يتجاوز الثمانية، يمكن أن يتحلقوا حول مائدة تتوسط غرفة المكتب وقد لاحظت مرة أن أحدهم قد تخلف عن بضع محاضرات، سألته أين كنت وكيف حالك؟» إننا لم نرك منذ بضعة أسابيع فقال لقد دخلت التنظيم، فسألته وما التنظيم فجعل يجيب فى إفاضة عجيبة، عما يسمونه التنظيم السرى وكيف أنه يضم أعدادا ضخمة من مختلف المستويات، وكيف أنهم يقدمون تقارير سرية عما يرون ويسمعون، ويبلغون ذلك كله

إلى رؤسائهم، منها مايسمى تقارير عامة تتناول الشئون العامة كالتموين والمواصلات وما إليها، ومنها ما يسمى تقارير ببيانات يلزم فيها ذكر أسماء الأشخاص وتحديد الأوقات والأعمال أو الأقوال التى ذكروها وكانت إحدى الطالبات تنظر إليه، وهو يلقى بهذه المعلومات، ومن عجب أنى لم أره بعد ذلك قط، فلعلها أبلغت عنه أنه صرح بهذه المعلومات عن هذا التنظيم.

على أن الذى شاع وذاع بعد ذلك، أن كثيرين من الأساتذة والطلاب والعمال كانوا أعضاء فى هذا التنظيم، وهم الذين كانوا يتولون المراكز والمناصب الهامة فى الدولة حتى كتبت الصحف أخيرًا أن معظم من تولوا المراكز الرئيسية فى الدولة إنما كانوا من إمعات هذا التنظيم، أعظم مؤهلاتهم هذه التقارير التى كانوا يقدمونها لأولى الأمر وأذكر وأنا فى الكويت أن زل لسان أحد زوارى فى منزلى، وكنت أتحدث كعادتى قال «هل نبلغ هذه الأخرى» وكذلك أبعد الأحرار المخلصون نتيجة تقارير ووشايات هذا التنظيم غفر الله للججميععع.

١٥٢ - ٣,٥ درجة

فى حفل استقبال أحد أعضاء المجمع، وكان مرشحه أستاذنا المرحوم الدكتور كامل حسين، وكان عند ترشيحه ذا وظيفة مرموقة، وكنت أعتب على أستاذنا مثل هذا الترشيح لأنه يكفى أن يكون موضوع رضى السلطات آنئذ لكى تهتز قيمته، وكان يقدمه الأستاذ الدكتور أحمد عمار، وهاهو العضو الجديد يتقدم إلى المنصة ليشكر، قلت لأستاذنا الدكتور كامل حسين سرا وهمسا ونحن نسمع له إنى طيلة حياتى أعمل مدرسًا، وأضع درجات النجاح والرسوب قال كم أعطيت صاحبنا من الدرجات، قلت

٥,٥، قال أرفعها إلى ٦ قلت لا يستحق إن هى إلا مطالعة صحيحة، ولكنه خال من الفكر، أما الدكتور عمار فأنا أعطيته ١٠ ففى بيانه نصاعه فكر ووضوح رؤية، وبعد قليل همست لأستاذنا مرة أخرى لقد غيرت رأيى ونزلت الدرجة كثيرًا قال. كم قلت لا تزيد على ٣,٥، وما ذلك إلا لما نسمعه من تفاهة لا خير فيها إلا أنها تقرأ سليمة ومع أننا كنا نتهامس، إلا أن القصة بلغت مسامع الأعضاء، وعرف الجميع أنى أعطيت العضو الجديد درجة رسوب لا تزيد على ٣,٥، وقد صدق رأيى فعلى مدى عشرات الجلسات فى سنين متتابعة لا أذكر أنى سمعت لصاحبنا رأيا أومشاركة فى مناقشة.. ولله فى خلقه شئون.

١٥٣ - شريطة

فى إحدى الجلسات، حين كنت بالكويت مديرًا لجامعتها المنشأة، لقينى فى حفل عام أحد المستشارين من المصريين الذين كانوا يعملون آنئذ فى الكويت هو المرحوم الأستاذ رضوان حجازى، سألنى إذا كانت كلمة شريطة صحيحة، لأنه كان يكتب حكمًا-قضائيًا، وخطر له أن يستعمل كلمة شريطة بمعنى شرط فقلت له سأبحث وأخبرك، إلا أننا لم نلتق بعد ذلك إلا بعد بضعة أشهر فى حفل آخر، وبمجرد أن لقيته قلت له صحيحة، قال ما هى، قلت شريطة، قال والله ما أنا فاكر، قلت والله لم أنم ليلتها إلا بعد أن كشفت عليها فى لسان العرب وتأكدت من صحتها، والحقيقة أن تلك عادتى، إذا شككت فى كلمة، كشفت عليها فى الحال فيما لدى من مراجع، وإذا لم أكن متأكدًا تكون إجابتى لا أدرى، ولكن لا يهدأ لى بال حتى استوثق من معلوماتى عنها ومن عجب أنى لم أر المرحوم الأستاذ حجازى إلا بعد ذلك ببضعة عشر عامًا حين جاء خاطبا ابنتى عزة لقريبه «مجدى».

١٥٤ - ولا بلحة يابابا

كان من عادتى عندما أعود غن رحلاتى أن أحمل للأولاد ما أطيق من هدايا من المنطقة التى نزورها وكانت رحلات الواحات فى القمة من حيث أعداد وأحجام الهدايا من بلح وبرتقال وزيت زيتون وكذلك سيناء من تفاح ولوز والإسكندرية من فاكهة منوعة، على أنى فى إحدى الرحلات عدت خاوى الوفاض كما يقولون.. فاستقبلتنى ابنتى عزة قائلة ولا بلحة يابابا فكان سؤالاً يتضمن تقريعًا لا مثيل له.

١٥٥ - المليون

كان ابنى الدكتور عادل أول أولادى، أو البكرى كما يقولون، ثم كانت الدكتورة أمينة الثانية وقد فرحنابها كثيرًا، وأطلقنا عليها اسم المرحومة والدتى تخليدًا لذكراها، بل كنا نتندر بأن المولود الأول هو هى، فلما جاءت كانت الفرحة بها غامرة، وظن قوم أن هذا اصطناع، إذ كيف يفرح قوم بولد الأنثى فقلت بالعكس إنها غالية ومهرها غال وهو ألف، ثم جاءت الثانية وكانت الدكتورة ليلى وسعدنا بها جدًّا وظن القوم مرة أخرى أن هذا اصطناع، فقلت بل إنها غالية ومهرها غال وهو عشرة آلاف، ثم جاءت الثالثة وكانت «رشا» وكان الاسم جديدًا وفرحنا بها كثيرًا، وأسرف القوم فى سوء الظن بنا، فقلت بل إنها غالية ومهرها غال وهو «مائة ألف» وأن اسمها بمعنى الغزالة الصغيرة أو ولد الظبية إذا تحرك ومشى ثم جاءت الرابعة وهى عزة ومعناها الغزال إذا امتنع على الصياد، فقلت بل انها غالية ومهرها غال وهو المليون.

وكذلك ظلت طيلة طفولتها تدعى المليون. وأراد الله سبحانه وتعالى أن يهبنا بعد ذلكِ الدكتور عصام والجيولوجي علاء. وحمدًا لله بلا حدود على نعمه التى لاتعد ولا تحصى.

١٥٦ - سم الخياط للمحبين أكوان

قلت لابنتى أمينة متغزلاً، إن حبى لك يتسع باتساع الكون كله، وإنك لتعلمين أن الكون يمتد على مسافة يقدرها العلماء بعشرات الملايين من السنين الضوئية، وأن الثانية فيها تمتد ثلاثمائة ألف كيلو متر، فما بالك بالدقيقة والساعة واليوم والسنة، وأنه ليتسع لملايين السدم وألوف الملايين من الكواكب والأجرام السماوية المختلفة من نجوم وأقمار، كل فى فلك يسبحون ومع ذلك فحين نلتقى أيتها العزيزة فكأنما يضمنا سم خياط، وكأنما هو بالنسبة لنا أكوان، وقلت لها إنى أحبكم أولادى جميعًا ولكن البنات بصفة خاصة وأنت يا أمينة بصفة أخص، وقلت لها إن هذا التشتت هو أكثر ما يؤلمنى فقد كنت أود أن تكونوا قريبين منا، فنلتقى يومًا عندك وأيام عند أشقائك وإننا على البعد حين يهتف هاتف يذكر اسمك، فكأنما الغزة تتنزى نزفًا حارًا يدل على هذا الفيض المكبوت من الحب، واتته الفرصة لكى يفيض ففاض.

وإنى لأشهد الله أنى على البعد لا أتمنى عليه أكثر من أن يجمعنى بهم وأن يسعدنى بلقائهم، وإنى لأحمده جل وعلا أن جمعنى بهم على تفرقهم فى إنجلترا وأمريكا وفرنسا ومصر، أسعدهم الله ومد فى أعمارهم ووفقهم فى حياتهم ووسع عليهم فى الرزق وأكرمهم برضاه وتوفيقه.

١٥٧ - التدريب العسكرى

فى أكتوبر سنة ١٩٥٢م وصلت دعوة إلى مجلس جامعة عين شمس، لاختيار مندوبها فى لجنة التدريب العسكرى التى تعقد بوزارة المعارف وبرئاسة الوزير وكان المرحوم إسماعيل القبانى، وفى الموعد المحدد اجتمعت اللجنة فى ديوان الوزارة، وكان هناك ممثلون لجامعة القاهرة، وجامعة الإسكندرية وكنت أنا ممثلاً لجامعة عين شمس وكان هناك عدد من الضباط يمثلون الجيش صاحب الثورة وصاحب الفكرة، أذكر من بينهم البكباشى آنئذ جمال عبد الناصر واليوزباشى كمال الدين حسين، وعرض موضوع البحث وهو أن يكون التدريب العسكرى إجباريا فى جميع الجامعات والمعاهد والمدارس، ولما سئل ممثل جامعة القاهرة، أجاب موافق، ولما سئل ممثل جامعة الإسكندرية أجاب بالموافقة هو الآخر، ثم جاء الدور علىّ وسئلت رأيى فأجبت كان بودى أن أوافق ولكن هناك استحالة مادية، قالوا وماذا عساها تكون.. قلت ليست لدينا إمكانيات وأن هذا موضوع تتولوه أنتم، لأن مهمتنا تعليمية فقط، وليس علينا سوى أن نهيىء الوقت اللازم لهذا التدريب، ولكن ليست لدينا أجهزة ولا أدوات ولا معلمون ولدينا تجربة جدية جدًّا، ففى العام الماضى، بل منذ شهور، وكانت معركة القناة بعد إلغاء المعاهدة، وقال الطلاب نريد أداء واجبنا الوطنى فى هذا المقام، وقد أيدتهم وخطبت فيهم قائلاً ليس أثمن من العلم إلا الحرية والكرامة للأوطان، وفعلا أوقفنا الدراسة ساعتين من النهار هما من العاشرة صباحًا حتى الثانية عشرة وطلبنا من وزارة الحربية ومن الجهات المختصة إرسال المعلمين والأدوات، ولكن لا حياة لمن تنادى، وبعد أسبوعين أمضاها الطلاب فيما يسمونه طوابير الصباح، وأخيرًا عاد الطلاب إلى

الدراسة وبعد نقاش طويل اتفق على اختيار سن معينة ولتكن بين الثانية عشرة والتاسعة عشرة يختارون لهذا التدريب، وكلفنا بإعداد البيانات المطلوبة لتقديمها فى الجلسة التالية بعد أسبوع واحد، ولما عقدت الجلسة وطلبت البيانات تبين أن معالى الوزير لم تصله إلا بيانات محدودة عن بعض مدارس القاهرة، وكذلك الحال فى جامعتى القاهرة والإسكندرية حيث لم تقدما سوى بيانات عن عدد محدود من الكليات أما أنا فكنت قد أخذت الأمر أخذ الجد الصارم، وقدمت بيانات وافية عن جميع طلاب كليات الجامعة وأسنانهم، وقد أخذت هذه البيانات معيارًا ومقياسًا فتبين أن العدد المطلوب لا يقل عن سبعين ألفا، وهنا قال أحد الضباط إننا نرتبك فى الجيش إذا زاد العدد على عشرة آلاف، وهنا جاء دورى فى الرد العنيف، إنكم يا أهل الاختصاص ترتبكون من عشرة آلاف فما بالكم بغير ذوى الاختصاص فى تدريب سبعين ألفا.. وكذلك سارت الأمور، والذين يرقبونها عن كثب يعرفون مدى فشل هذا النظام، وكيف أن طلابًا حولوا من كلياتهم فى أول العام ومع ذلك ظهرت لهم نتائج نجاح ورسوب فى كلياتهم الأصلية، وقد تنبأت بفشل هذا المشروع عندما طلبت أن يعفى من يؤدى قدرًا معينا منه من مدة من التجنيد فرفضوا، قلت سيكون أكثر فشلاً.

١٥٨ – حفل تكريم

إنه حفل أقيم فى فندق الكونتننتال، وفى مقره القديم قبل أن يهدم وينقل إلى مقره الجديد فى ميدان الأوبرا، وكنت قد دعيت إلى هذا الحفل الذى أقيم تكريمًا للمرحوم الدكتور محمد حسين هيكل، بمناسبة إصداره كتاب «حياة محمد» باعتباره أول دراسة أدبية تحليلية تاريخية لحياة النبى الأكرم ﷺ يختلف اختلافًا تامًّا عن كتب السيرة المعروفة، ففيه رد على

المستشرقين وبخاصة «اميل درمنجيم» فى افتراءاته على المصطفى عليه السلام وخطب فى الحفل أستاذنا المرحوم لطفى السيد، وكان الحفل باسمه وبرئاسته كما خطب فيه أستاذنا المرحوم الدكتور طه حسين، وأذكر أنهما أثنيا ثناء مستطابًا على الكتاب ومؤلفه، وقالا إنه الأول من نوعه فى السيرة العطرة، كما أذكر ثناء الدكتور طه على كتاب آخر للدكتور هيكل هو المعنون باسم «ولدى» وقال له إن مقدمة هذا الكتاب هو «أفضل ما كتبت» وتقديرى أن هذه المقدمة التى يذكر فيها أنه ألف هذا الكتاب بعد فقد «ولده» وقام بهذه الرحلات التى وصفها فى كتابه، ترفيهًا عن نفسه وزوجه، فهو يترجم عاطفة أصيلة مشبوبة وأذكر أنى كنت مشتركًا فى هذا الكتاب أثناء طبعه، وكانت قيمة الاشتراك ثمانية عشر قرشا.. رحم الله الأيام، ورحم الله الجميع وأكرم مثواهم أجمعين.

١٥٩ - بين آثار اليونان وآثار مصر الفرعونية

فى صيف سنة ١٩٣٢ قمت برحلة إلى بلاد اليونان مع ثلاثة من الأصدقاء حيث أمضينا شهرًا فى ربوع اليونان، وكانت الرحلة زهيدة القيمة جدًّا وتكاليفها لا تذكر، فالسفر بالباخرة «اتيكى» ذهابًا وإيابًا، والتجوال هناك بين أثينا وبيريه وغيرها من مدائن اليونان، مع تمضية أسبوعين على أحد الجبال هناك ومن هناك بدأت أول رسائلى إلى زوجتى، وكانت بداية الخطبة، وصفت آثار اليونان مقارنًا إياها بالآثار الفرعونية فى الأقصر وأسوان وكنت قد شاهدتها قبل ذلك بأعوام حين كنت فى الثانوية العامة أو البكالوريا فكانت المقارنة من شاهد عيان قارئ للتاريخ، ولعلى كنت موفقًا فى ملاحظة أوجه الشبه بين آثار كلا البلدين، ولعلى قلت إن الآثار الفرعونية هى الأصل حيث الحضارة المصرية أقدم، وعنها نقل الآخرون، وكنت أكتب من الخطاب ثلاثة صور، واحدة لزوجتى وثانية

لوالدى رحمه الله والثالثة للسياسة، وقد كتب أحد المحررين تعليقًا خلاصته أنه لا يوافقنى على التحيز للجانب الفرعونى، ولما ذهبت فى المساء إلى جريدة السياسة، أعتب على المحرر تعليقه حضر أستاذنا المرحوم الدكتور هيكل، وأعاد قراءة المقال وهنأنى عليه، وعنف المحرر أن يسمح لنفسه بهذا التعليق على ما أكتب، وكان الدكتور رحمه الله يشجعنى على الكتابة، وكان يسألنى عند زيارته فى مكتبه بجريدة السياسة (هل معك مقال أو أن يدك فاضية).

١٦٠ - رحلة الهند

فى سنة ١٩٥٤م دعيت لحضور مؤتمر علمى يعقد فى «باهوال بور» فى باكستان، وكنت عميدًا لكلية العلوم بجامعة عين شمس، وأخذت التذكرة من شركة «إير فرانس» ولكن الطيارة لم يتح لها الهبوط فى مطار مصر لشدة الضباب وانعدام الرؤية، فعادت أدراجها إلى بيروت، وأمضيت الليلة فى فندق «هليوبوليس بالاس» على حساب الشركة، وكان ما يزال فندقًا لم تستحوذ عليه الحكومة الاتحادية ليكون مقرًّا لها، وكان فاخرًا رائعًا حقًّا ولم أشأ أن أتصل بالمنزل لكى لا أحدث مزيدًا من بلبلة وفى اليوم التالى ركبت الطائرة متجهة إلى كراتشى، حيث نزلنا فى الليل، ووجدنا سيارة تقلنى وآخرين إلى فندق متروبول فى كراتشى، على أنى لم أطق قفل زجاج السيارة، فقد كانت روائح نفاذة شديدة تنبعث من الرفقاء فى السيارة، ففتحت الزجاج وأخرجت رأسى أشم الهواء الخارجى، وما إن وصلنا الفندق حتى ذهبت إلى غرفتى طالبًا ألا يزعجنى أحد حتى ضحى اليوم التالى، وذلك من شدة الإرهاق، فقد استغرقت الرحلة نحو اثنتى عشرة ساعة متصلة من القاهرة إلى كراتشى، وفى الصباح تناولت الشاى فى السرير، ثم الفطور والقهوة، وقد لاحظت مع أننا كنا فى يناير أن الجو حار

وأن الذباب كثير وأنه لابد من تغطية الفنجان وإلا أخذ نصيبه من الذباب الطائر أو الهائم فى جو الفندق، ثم عرفنا موعد القطار المتجه إلى باهوال بور، وقيل لى إن الرحلة تستغرق سبع عشرة ساعة، وليس فى القطار عربة نوم، ولا وسائل للنوم فقد كان القوم حتى من ركاب الدرجة الأولى يحملون أمتعتهم على ظهورهم وتشتمل على وسادة وبطانية وملاءة، كما لاحظت أن الزملاء يغيرون ملابسهم كل حين، ويلتفون بازار أبيض يلفونه حول وسطهم، وأنهم يمضغون أشياء وتوابل يشترونها من البائع فى المحطة إلا أنها تلهب حلوقهم وتجعلهم يبصقون باستمرار وتنبعث منهم بسببها روائح خاصة، وفى الساعة العاشرة من ضحى اليوم التالى وصلنا إلى باهوال بور فنزلت مسرعًا من القطار متجهًا إلى مكان المؤتمر، وكان قد بدأ جلسته الافتتاحية، ولما علموا بقدومى أعلنوا وصول مندوب مصر، وطلبوا إلىّ القاء كلمة، وكنت فى الواقع خالى الذهن ومحصورًا جدًّا لعدم راحتى فى القطار فارتجلت كلمة بالعربية، ثم ألقيت ملخصها بالإنجليزية، وقد أسعدهم هذا المتحدث الذى يتكلم لغتين على حين أن الصينى أو اليابانى يصطحب معه مترجمًا، وما أن انتهى حفل الاستقبال حتى هرعت إلى الخارج طالبًا دورة مياه، ولكن صاحبى جعل يجوس معى فى حوش المدرسة، ثم قال هنا... قلت مستحيل، فجعل يطوف بى مرة أخرى، حتى وقف أمام باب ضيق متواضع ودفعه، وقال ادخل هنا وإذا بركة مملوءة بالبول، وتنبعث منها روائح كريهة جدًّا، وكان لابد أن انتهى من هذه العملية فقد ضقت بها ذرعًا، وإذا بالبركة المملوءة تتقبل المزيد ليفيض خارجها من ثقب فى جدار الحائط.. ثم عرفونا بموضع إقامتنا وإذا زميلى فى الحجرة أستاذ يابانى جليل، كان لا يكف عن الضحك من حالنا، وملحق بالحجرة حمام، لا يحوى أكثر من جردل به ماء وكوب من الصاج، وقصرية، وعندما ينتهى المرء من العملية، يتنحنح بطريقة خاصة فيفتح من

بالخارج باب الحمام وينقل ما به إلى الخارج ولكن غير بعيد، بدليل انتشار الروائح الكريهة فى كل مكان.

وتتابعت أيام المؤتمر وجلساته العلمية، ومحاضراته العامة، حيث ألقيت محاضرة فى جامعة كراتشى وبحثًا فى المؤتمر العلمى، وقد حضر المؤتمر عدد كبير من مشاهير العلماء لم نكن نسمع عنهم إلا فى الكتب، وقد تناولت المحاضرات العامة موضوع الانفجار السكانى وكان جديدًا، ومحاولة استنباط الغذاء العضوى من الطحالب، ولما قارب المؤتمر من الانتهاء، قال ممثل إنجلترا إنه عائد غدًا إلى لندن، فصاح به أحد الأعضاء قائلًا أيها السعيد الحظ، ستأخذ حمامًا حقيقيًا غدًا ثم دعيت لزيارة لاهور، وقبلها زيارة كلية للزراعة، حيث حاضرت هناك محاضرة علمية، وحيث دعيت لتناول غداء لم أستطع تناول شىء منه لشدة حرافته وكثرة توابله، أما فى لاهور وقد وصلتها ليلًا وإذا بالفندق الذى حجز لى فيه، لا يقدم فراشا، إنما هى ملة عارية من السلك ولما قلت باستحالة نومى على مثل هذا السلك، قيل لى إننا لا نقدم فراشا يا سيدى وبعد لأى أحضروا مرتبة ونمت ليلتى، وفى الصباح زرنا الجامع الكبير فى لاهور وصعدت فوق مئذنته، وتجولت بالحجرات المحيطة وإذا بها قاذورات كثيرة مع الأسف، كما دعيت عصر ذلك اليوم لزيارة مدارس القرى وكان أحد الزملاء قد قال إن الهند وباكستان قد حلتا مشكلة أبنية المدارس فأخذونى لأرى بنفسى كيف حلت المشكلة، وإذا بدروة من البوص تحوط مساحة من الأرض، وفى وسط الدروة يجلس الأستاذ على الأرض، ويجلس أمامه الطلاب وأمامهم الكتب مفتوحة، وأشهد أن وجوه الجميع وما أمامهم من أوراق كانت جميعًا يغطيها الذباب، والجميع يجلسون على الأرض، وغير بعيد من الدروة، يرى روث البهائم، كما تنبعث روائح البول وخلافه - ولست أدرى كيف يعتبر ذلك حلًّا للمشكلة وقد لاحظت فى لاهور محلات العطارة وقد كتب عليها

«الطبيب» مما يدل على أنه يبيع النباتات الطبية، وكان قد بقيت لى أيام أخرى كنت أستطيع أن أتجول بها فى كشمير وفى نيودلهى ولكن الحقيقة أن حالتى النفسية وما شهدت من صور كثيرة جعلتنى أستعجل العودة إلى كراتشى وإلى فندق متروبول بالذات لأمضى أيامًا فى انتظار موعد الطائرة التى تعود بى إلى القاهرة، وفى سبيل استرداد بعض المال الذى تركته فى المطار إذ لم يكن مسموحًا سوى بمبلغ محدود. وركبنا الطائرة عائدين إلى القاهرة، ولكن بعد نصف ساعة، أذيع أننا عائدون إلى كراتشى لخلل بالطائرة، ولكن الطائرة ظلت تحوم أربع ساعات قبل الهبوط لتخفف من حمل البنزين، وأخيرًا أذن الله بالعودة سالمًا ولله الحمد.

١٦١ - رحلة إيران

فى العيد الألفى لابن سينا فى أواسط الخمسينيات، دعيت لحضور احتفالات طهران وكنا قد أقمنا له احتفالاً فى القاهرة، ألقى فيه نحو عشرين محاضرة، طبعت فى العدد الأول للجمعية المصرية لتاريخ العلوم، ثم أقيمت احتفالات مماثلة فى بغداد، وثالثة فى أنقرة، وكانت آخر هذه الاحتفالات ما أقيم فى إيران، ودعيت إليه ضمن وفد مصر، وكنت قد أعددت بحثًا عن ابن سينا كعالم نباتى، بعد أن قرأت كتابه القانون، وبخاصة الجزء الثانى وهو الخاص بالنباتات الطبية، ثم بضعة أجزاء من كتاب الشفاء، وهى الأجزاء التى قمت بتحقيقها، وهى الطبيعيات والمعادن والنبات والحيوان ووصلنا طهران وسط احتفالات باذخة، وأقام لنا الإمبراطور رضا شاه بهلوى احتفالات باذخة فى قصر المرمر، وكانت معه زوجه الإمبراطورة ثريا، وكانت رائعة الجمال، وكان ظهورها معه وسط الثريات الرائعة، والجدران المغطاة بالرخام والكريستال شيئًا لم أكن رأيت له نظيرًا، وكان الوفد المصرى يقيم فى فيلا رائعة، وتنقلنا منها إلى مكان

الاحتفالات سيارات فاخرة، وألقى فى الاحتفال نحو اثنين وثمانين محاضرة تتناول أعمال ابن سينا فى الطب والفلسفة والطبيعيات والمعادن والنبات والحيوان، والمنطق وغير ذلك من الفنون التى تناولها هذا العبقرى الفذ، وأحد الأذكياء المعدودين فى العالم كله، وكان ضمن الوفد المصرى أحد شبان الأزهر، وأذكر أنه قال ونحن نتجول يومًا إنه يريد أن يأكل فاكهة، فقلت له كل «أب» فغضب، لأنه فهم ما أقصد من الإشارة إلى الآية الكريمة، فاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم وكان ضمن الوفد العراقى المرحوم «مصطفى جواد» ووجدته يومًا يتعب نفسه فى البحث فى الراديو عن أغنية لأم كلثوم، فقلت له إلى هذا الحد تحب أم كلثوم، فصاح وهل هناك من لا يحب أم كلثوم إلا إذا كان حمارًا، وأقيم لنا فى همدان فندق خاص حيث زرنا مقبرة ابن سينا كما زرنا فى طهران مقبرة والد الشاه، كما أقيمت حفلة ساهرة مثل فيها دور ابن سينا الطبيب الذى نجح فى علاج زوجة الحاكم من الصرع، عندما عرف أنها تحب وجمعها بمن تحب، كانت رحلة ناجحة.

١٦٢ - أقدس رحلة

تلك هى رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، وأداء مناسك الحج فى عرفة والمزدلفة ومنى والطواف بالبيت العتيق طواف القدوم، ثم طواف الإفاضة ثم طواف الوداع، وأداء بقية المناسك من رجم، وهدى وما إليه، لقد أراد الله أن يتم ذلك فى عام ١٣٩٧ هـ وليس من شك فى أن الحج أحد أركان الإسلام الخمسة، لولا أن الله جلت قدرته قد فرضه على من استطاع إليه سبيلا ولم يطلقه إطلاقا كما فى بقية الأركان.

وكان حتمًا على أن أفكر فى أداء هذه الفريضة، منذ وطئت قدماى أرض

السعودية فى الثانى والعشرين من ربيع الثانى سنة ١٣٩٥هـ فقد غدت المناسك قريبة، والأمور ميسرة، وغدا شرط الاستطاعة قريب المنال، ولم يعد هناك عذر لمتخلف، إلا أن الظروف لم توات فى ذلك العام. وفى العام التالى سنة ١٣٩٦هـ عدنا إلى الرياض من الإجازة قبيل موعده بأيام معدودات، ولم يتيسر الإعداد للرحلة كما ينبغى، ولذلك ضاعت الفرصة مرة أخرى، فقد نصحنا ألا نجازف بالسفر دون ترتيب واتفاق مع مطوف أو معسكر ينظم العملية.

وفى هذا العام سنة ١٣٩٧هـ أراد الله أن نؤدى هذه الفريضة رغم أن الظروف حتى آخر لحظة كان يبدو أنها غير مواتية.. فقد وعدنا أحد الأصدقاء (الدكتور كامل شريف) أن نكون رفقاء رحلة فى معسكر خاص لتأدية المناسك، وقال إنه مسافر إلى القاهرة فى أجازة لمدة شهر وسيعود قبل موعد الحج بعشرة أيام مما يكفى للإعداد الكامل للرحلة، ولكنه ذهب وانقضى الشهر ولم يعد وسألت عنه فى مقر عمله قيل إنه أبرق طالبًا مد أجازته، مما يدل على أنه لن يعود فى الوقت الملائم وبدأنا نفكر فى السفر بطريق آخر، وفعلاً ذهبت إلى المطار، وقطعنا تذكرتى سفر إلى جدة ذهابًا وعودة ولكن استحال الحصول على التذاكر بعد الوقوف فى الطابور ثلاث ساعات، فسلمت التذكرتين إلى أحد الزملاء من طلابنا، راجيًا أن ينوب عنى فى توكيد الحجز وعدت إلى المنزل وبعد قليل حضر أحد طلابنا (د. سيد فرج)، وقال إنه يرحب بنا فى سيارته لأقوم بالرحلة، وإنه سيحضر ليأخذنا الساعة الرابعة بعد الظهر، وعلينا أن نستعد لذلك ولما أنبأته بأننا قطعنا التذاكر، وننتظر توكيد الحجز، قال إن التذاكر يمكن التصرف فيها واسترداد ثمنها أو بيعها لمن يشاء من الحجاج. وبعد أن نزل، وصل صاحب التذاكر، وقال إنه استحال الحجز هذا اليوم للغد، وإنه لابد من المتابعة غدا لنسافر بعد غد، فطلبت إليه أن يحتفظ بالتذاكر ليبيعها

فيما بعد، وأنا قد عزمنا على السفر بطريق البر، وفعلاً حضر الدكتور سيد ونزلنا فى الرابعة لنتجمع فى منزله ويغادر الركب فى ثلاث سيارات فى الساعة التاسعة مساء قاصدين مكة على بعد نحو ألف كيلو متر من الرياض.

وبدأت القافلة تسير فى غسق الليل، ساعات متتابعة، وإن السيارات لتنطلق بسرعة لا تقل عن مائة كيلو متر فى الساعة، إن لم تزد إلى مائة وأربعين والطرق معبدة مسفلتة والجو رائع، ولكن لابد من الإستراحة لتناول طعام العشاء ثم لنستأنف السير مرة أخرى، ولنتوقف قرب الطائف فى ضحى الخميس السابع من ذى الحجة، لنحرم فى الميقات المناسب، ونستعد لبدء الخطوات العملية للحج، وفعلاً وصلنا منى عصر نفس اليوم، وتفرقت سيارات القافلة، دون اتفاق، وأخذنا مكاناً لإقامة مخيمنا، وكان لابد من التصرف وتقديم حق السعى حتى يؤذن لنا بدق الأوتاد ونصب الخيمة، بل واعداد الطعام، فقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا وبعد استراحة قصيرة فى الخيمة أخذنا السيارة مرة أخرى متجهين إلى مكة على أمل القيام بطواف القدوم ونزلنا من السيارة، على أن يحاول أن يجد لها موقفًا، وعلى أن نلتقى عند باب السلام، إلا أن هذا اللقاء لم يتم مع الأسف إلا ظهر اليوم التالى فى الخيمة، وقمنا نحن بالطواف والسعى بعد أن طال انتظارنا أربع ساعات دون جدوى ولقينا صدفة ثانى أعضاء القافلة، فعدنا معه إلى المخيم والتأم الشمل ظهرًا فى الخيمة وكانت فرحة اللقاء أكبر من أن توصف ولله الحمد، ثم كان على الدكتور أن يأخذ زوجه، ليصحبها فى أداء الطواف والسعى فقد فاتها ذلك فى الليلة الماضية، وكان لهما ما أرادا، وأراد الله أن يصلح ما أفسدته الظروف الخارجية وعادا لنستأنف حياة المعسكر من إعداد للطعام وإعداد للشاى، وتناول لهذا وذاك، ثم ملء القدور بالماء، ثم الذهاب بالتناوب إلى دورة المياه، التى كان من حسن

حظنا ألا تكون بعيدة عنا وأن تكون على بساطتها وافية بالغرض، فكانت مع الإبريق البلاستيك، الذى يملأ بالماء من حين لآخر، مما ييسر الحياة فى المعسكر وقد كان وجود الصغيرين عصام ونهى مما ييسر تأدية المهام البسيطة من مناولة هذا أو إحضار ذاك. وكانت الظاهرة الجميلة أن العضو الأصغر فى الرحلة وهو نهى هى التى تقود نداءات التلبية، فتلبى ونحن وراءها «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

وفى اليوم التالى (الوقفة)، كانت الصيحة والنفرة والتلبية والتوجه نحو عرفة، وتمضية اليوم هناك حتى الغروب، ثم النزول إلى المزدلفة، وتمضية الليل حتى الفجر ثم النفرة إلى «منى» إلى حيث خيمة معسكرنا مرة أخرى ولقد أطلقت عليها كلمة القصر، وفعلا لقد كانت قصرًا بالنسبة للاضطجاع فى العراء، أو الاضطرار لتأدية واجبات أخرى فى العراء، تحت لفح الشمس حينًا أو زمهرير البرد حينًا آخر، فمنا من أمضى الساعات فى داخل السيارة على حين يمضى الآخرون وقتهم خارجًا فى ظلها إن كان لها ظل، أو اتخاذها دريئة لسبب أو آخر.

وفى صبيحة العيد، عدنا إلى القصر (الخيمة) لنستريح قليلاً، ثم نذهب إلى المذبح لنشترى الخراف (خمسة)، ولنتم عملية الذبح والسلخ ولنترك ثلاثة منها ونعود باثنين إلى الخيمة، ثم نجد أن أحدهما لا لزوم له فنتبرع به لجارنا التاجر الذى سمح لنا بإقامة الخيمة والذى عاملنا كبقية الحجاج من حيث بيع علبة أو زجاجة البيبسى أو البارد كما يقولون بريالين بدلاً من ريال أو ريال ونصف.

ثم وكل إلىّ وقد تحللت من إحرامى، تحلل تمتع بعد الهدى والقص، أن أصحب السيدتين إلى رمى جمرات العقبة الكبرى، فصحبتهما وسط زحام

وتدافع هائل وخاصة من أهالى أفريقيا وبصفة أخص من أهل نيجيريا ومنها أكثر من مائة ألف حاج إلا أننا افترقنا فى منتصف الطريق، واضطرت السيدتان إلى العودة إلى الخيمة، على حين تابعت المسيرة حتى وصلت إلى مرمى أبليس الأكبر، فرميت سبع جمرات لى، وسبعا أخرى باسم زوجى ثم عدت أدراجى منهك القوى، ليعود زميلنا وزوجه لرمى جمرات العقبة الكبرى ثم لنذهب جميعًا إلى مكة لأداء طواف الإفاضة حول الكعبة المشرفة والسعى سبعة أشواط بين الصفا والمروة وملء الأبريق البلاستيك من ماء زمزم لنتبرك به حينًا بعد آخر أو لنشرب منه حينًا بعد آخر.

وتتابعت فى أيام التشريق الثلاثة الذهاب إلى رمى الجمرات على كل من ابليس الكبير والمتوسط والصغير، لكل منهم سبع جمرات باسم الشخص الواحد، وليكون مجموع ما يرميه الحاج تسعًا وأربعين حجرة على الشيطان وقد ذهبت السيدتان مرة بمفردهما وعادت زوجى، وقد سقطت إحدى الجمرات على سنها الأمامى فقصفت جزءا منها، والواقع أن صورة الزحام والتدافع لا يمكن وصفه وما بقى فى الأرض من نفايات وبقايا ومداسات لا يمكن إعطاء صورة صادقة عنه.

ثم كان لابد من الاستعداد للعودة، متجهين إلى مكة أولا، لأداء طواف الوداع وسط زحام هائل وتدافع أشد، ولكن الله سلم، وتمت تأدية المناسك وزيارة المشاعر واحدًا بعد آخر، نسأل الله أن يتقبل، وأخذنا طريق العودة إلى الرياض لنصلها ضحى الخميس بعد قضاء بضع ساعات استراحة فى حجرة متواضعة جدًا فى عفيف، دفعنا من أجلها خمسين ريالا (اسميتها هيلتن عفيف)، ولنحمد الله على سلامة الأوبة من أقدس رحلة قمت بها فى حياتى، ولنمضى أسبوعا تحت إشراف الطبيب قبل أن نعود لحياتنا العادية

ولله الحمد وشكرًا لرفقاء الرحلة الذين كان لهم الفضل فى القدرة على تحمل أدائها وشكرا لله على توفيقه.

وبعد فهذا وصف موجز لأقدس رحلة قمت بها خلال حياتى التى كثرت فيها الرحلات العلمية وغير العلمية، أن كنت من عشاق الرحلات، خاصة وأن تخصصى فى علم البيئة النباتية، كان يفرض علىَّ التجوال والترحال إلى كل ما أستطيع الوصول إليه من مناحى الأرض أو البحر أو الجبل، لأرقب أثر البيئة على الإنسان والنبات والحيوان، إلا أن لهذه الرحلة جلالها وجمالها الروحى، الذى يجل عن الوصف، والذى لا يمكن أن ننقل صورة أمينة له إلا بالممارسة والمشاهدة ومن هنا كان جلالها وروعتها ويكفى أن يشعر الإنسان أنه يعيد نفس الأقوال والتحركات التى قام بها نبينا محمد ﷺ فى حجته الفريدة التى قام بها والتى قال فيها «خذوا عنى مناسككم» وما أشك فى أن الصورة قد تغيرت كثيرًا، وبالطبع لم يكن قد اجتمع فى صعيد واحد مثل هذا العدد الضخم من المسلمين الذين قيل إنهم جاوزوا المليون ونصف من الأنفس من مختلف جهات الأرض، ومن كل رجا من أرجائها جاؤوا حفاة عراة إلا من هذه الأزر البسيطة ليذكروا اسم الله فى أيام معدودات وليكبروا الله على ما رزقهم وهداهم وأشهد أنى طيلة هذه الأيام السبعة والليالى الثمانى، لم يكن من عمل إلا ذكر الله وحمده ودعاؤه أن يحفظ ويوفق أولادنا ويتم عليهم نعمه من صحة وستر وتوفيق، وأشهد أنى دعوت للجميع اسمًا اسمًا، كما دعوت لوالدىّ رحمهما الله.

وبرغم ما شهدنا من متاعب، فإن الجانب الروحى كان له الغلبة، ولله الحمد، وأشهد أن زملاء الرحلة (د. سيد، د. سهام) كان لهما كثير من الفضل فى تحمل الكثير من لأوائها ومتاعبها، وقد قيل: إن هذه أول مرة

قضيا فيها المناسك فى عرفة ومنى والمزدلفة، وأن هذه أول مرة تقام فيها دورات المياه، وكما كان للكبارى والجسور التى أقيمت أثرها فى سيولة المسيرة، ومع ذلك فمازلنا نأمل فى المزيد من التيسيرات وإن كان أهمها من غير شك توعية الحجاج أنفسهم بالتمسك بأسباب النظام والنظافة والله المستعان.

١٦٣ - الدانوب الأزرق

فى سبتمبر سنة ١٩٥٣ م، عقد المؤتمر العلمى العربى الأول فى الإسكندرية وكان حدثًا علميًا جللًا، فلأول مرة فى العصر الحديث، يجتمع فى صعيد واحد مئات من العلماء العرب من مختلف البلاد العربية، وانتخب أستاذنا المرحوم مصطفى نظيف رئيسا له، وقمت بسكرتارية المؤتمر، وافتتحه رئيس الجمهورية آنئذ، اللواء محمد نجيب، وقال الأستاذ نظيف فى خطبة الافتتاح، لقد مضى الزمن الذى كان يسعى فيه العلماء إلى الحكام، وجاء الزمن الذى يسعى فيه الحكام إلى العلماء، كما قلت مقدما محاضرتى، بأن موضوعها، كان قد فكر فيه عندما قررت الجامعة إيفادى إلى مؤتمر علمى، ولكن لجنة المؤتمرات رفضت المشاركة فى المؤتمر، ثم عدت للنظر فيه بعد ذلك بعام، عندما أقرت لجنة المؤتمرات، ولكن رفض مجلس الوزراء، وتساءلت ما شأن لجنة المؤتمرات بل ما شأن مجلس الوزراء بموضوع علمى، يلقيه أستاذ جامعى، بقرار من جامعة وعلى نفقتها ومن ميزانيتها.

وفى إحدى أمسيات أسبوع المؤتمر، دعانا محافظ الإسكندرية إلى حفل ساهر فى محل ممتاز فى محطة الرمل، وكان يجلس بجوار زوجة المحافظ وقد أزعجها أن جمهور المؤتمرين لم يحيوا الفرقة الموسيقية، مع أن الدور الذى تعزفه مصرى، ثم عزفت الفرقة دورًا آخر، فتساءلت، وهل هذا الدور

مصرى كذلك، فارتاعت السيدة وجزعت من جهلى بالموسيقى، وصاحت فى هلع وذعر، إنه الدانوب الأزرق.

١٦٤ - حالة مخاض

فى يناير سنة ١٩٧٦ دعيت لحضور اجتماع مكتب تنسيق التعريب بالرباط، وكنت لما أكمل العام فى العمل مستشارًا لوزارة التعليم العالى بالمملكة العربية السعودية، وإذا بموعد المؤتمر يقترب، بل إنه ليبدأ، ولما ثنته إجراءات سفرى، بسبب المعقب، والجواز والتأشيرة وما إليها، فثرت ثورة عنيفة ووعدت الزميل العراقى، الذى كان همزة الوصل لترشيحى لهذا العمل حتى لبيت الدعوة بمجرد توجيهها إلىّ، ولما جلس أمامى فى الحجرة التى نجلس فيها، قلت له لن يغفر الله لك، فتساءل ولم؟ قلت لأنك السبب فى مجيئى هنا، وما هى إلا لحظات حتى دعانى معالى وزير التعليم العالى إلى مكتبه، وكان يعلو مكتبى فى الدور الثانى، واستقبلنى على باب غرفته مرحبًا، وقال وقد جلسنا سويًا على أريكة فى مكتبه، إننا نقرأ لك، ونفتخر بوجودك بيننا ونحن فى حالة مخاض، واعتبرنى ابنك.. لقد ألجم لسانى بكرمه وخلقه وانتهى الأمر، وسارت الأمور بعد ذلك فى سرعة البرق، وانتهت الإجراءات، وسافرت فعلًا إلى المؤتمر فى اليوم التالى.

١٦٥ - مكرمة أخرى

نعم إنها مكرمة أخرى من معالى الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ، فقد اتصلت ابنتى ليلى وزوجها بنا من شيكاغو، ليخبرانا بأن ليلى مريضة وأنها تجرى جراحة بالمستشفى، وأنها حامل فى شهرها الأخير، فتقدمت إلى معالى الوزير بطلب أجازة اضطرارية لمدة عشرة أيام أقوم فيها بزيارة

ليلى، لأطمئن على صحتها، حيث لم تجد الاتصالات الهاتفية المتعددة فى الاطمئنان عليها، وإذا بالرجل يؤشر على نفس الخطاب بالموافقة وسهل ويسر سفرنا أنا وزوجى، أمر من يلزم بسرعة إتمام الإجراءات فهذا الموقف الإنسانى مكرمة أخرى أذكرها لمعالى الوزير الإنسان الشيخ حسن شكر الله له، وقد سافرت وزوجى واطمأننا على ليلى، وعدت بعد عشرة أيام تاركًا زوجى مع ليلى التى وضعت ابنها كريم فى السادس من يونيه سنة ١٩٧٨م والحمد لله.

١٦٦ - أمتع الرحلات

إنها تلك الرحلة التى قمت بها فى خريف سنة ١٩٧٧ م، من الرياض إلى القاهرة، ومن القاهرة إلى لندن، ومن لندن إلى شيكاغو إلى كولومبس ثم إلى شيكاغو مرة أخرى، ومنها إلى لندن ومن لندن إلى القاهرة ثم إلى الرياض مرة أخرى.

وقد اخترت أن تكون فى الخريف لا الصيف كما جرت العادة، لتوافق موعدًا ذكر لى ولدنا عادل أن جمعية الجراحين الأمريكية ستمنحه لقب طبيب ممتاز فى التاسع عشر من أكتوبر فى خريف ذلك العام، لهذا أجلت موعد الأجازة لتحتوى هذا اليوم، ولأحضر هذه المناسبة السعيدة، فاحتملت حر الصيف فى رمضان الذى وافق أغسطس واحتملت قبلها حر شعبان الذى وافق يوليو، لنضم الأجازة شهرى بنات الأعياد كما يقولون وكانت ثمة ميزة أخرى أن نضم إلى شهرى بنات الأعياد، أيام العيدين، فيزيد عدد الأيام فى هذه الأجازة إلى الثمانين بدلاً من الستين المقررة.

وكذلك طلبت الحجز على الطائرة السعودية التى تغادر الرياض إلى القاهرة يوم الاثنين ٢٨ أغسطس ١٩٧٧ م، وعندما أردت أن أوكد الحجز

قبلها بيومين كما تنص التعليمات وإذا بالمختص يقول: إن الذى نفذ لك هذا الحجز لابد أنه «.........» فليس ثمة رحلة تحمل هذا الرقم تتجه إلى القاهرة فى هذا الموعد، إنما هى رحلة إلى المدينة المنورة وكانت الأيام بل الساعات تمضى، ولابد من حل، فاتصلت تلفونيا بالأخ أحمد الشيخ وهو صاحب همة فى مثل هذه الأمور، فقال لا عليك ستصلك التذاكر الليلة مساء الأحد، ليكون السفر صباح الاثنين، وقد تم ذلك بحمد الله، فوصلنا القاهرة مساء الاثنين، والبيت مغلق، والظلام يخيم رويدًا رويدًا فأرسلنا البستانى ليحضر المفتاح من ابنتنا رشا، فحضرت مع زوجها بعد قليل، وبعد، أن أدخلنا الحقائب، عدنا مع رشا لنقضى الليل معهم فى المنزل، ثم ليعودوا معنا فى اليوم التالى لنقضى معًا ما بقى من أيام رمضان وأيام العيد، ولنحاول فى الوقت نفسه أن نقطع التذاكر ونأخذ التأشيرات اللازمة، وما إلى ذلك من إجراءات لابد منها مثل تحويل النقود اللازمة من شيكات سياحية مثل ١٥٠٠ دولار، ١٥٠٠ فرنك فرنسى، ٥٠٠ فرنك سويسرى، ٥٠٠ جنيه استرلينى كما حولنا أثناء الرحلة ٣٠٠٠ ريال سعودى إلى ما يقابلها من جنيهات استرلينية، فرنكات فرنسية ودولارات.

وكانت أولى المتاعب أن عرفنا أن التذكرة لخمسة وأربعين يوما لم تعد تسمح بها الشركات فإما لمدة شهر أو مفتوحة، والأولى للندن بمبلغ ٢٧٨ جنيهًا والثانية بمبلغ ٤٥٥ جنيهًا للندن فقط، ولم يكن بد من اختيار التذكرة الثانية مما استنفد مع التأشيرات نحو ١٠٠٠ جنيه مصرى، وتكلفت كل تأشيرة نحو اثنى عشر جنيها لإنجلترا، وتكرر دفع هذا الرسم عند العودة من فرنسا إلى لندن، ثم عند العودة من أمريكا إلى لندن مرة أخرى، وتأشيرة فرنسا، أما تأشيرة أمريكا فليس عليها رسوم، ولكن كانت هناك أسئلة من السفارة لم تسافرون مرة ثانية إلى أمريكا فى ظرف شهور قريبة، ثم هل تعرف شخصًا اسمه عبد الوهاب محمد فلما قلت

لا أعرف قالوا لقد ذكر اسمك كمرجع عندما سافر إلى أمريكا، واسمه الكامل عبد الوهاب محمد العشماوى، قلت نعم هذا أعرفه فهو ابن شقيق زوجتى، وأما الزيارات المتكررة لأمريكا كما هو واضح من جواز السفر فلأن أبنائى هناك، وكانت ابنتى مريضة فذهبنا لزيارتها منذ ثلاثة أو أربعة أشهر، وأخيرًا أخذنا التأشيرة وحجزنا ليوم الاثنين ١٨ سبتمبر سنة ٧٨، وكانت المفاجأة الرابعة أن نجد ابننا عصام وقرينته ينتظراننا فى المطار فكان من توفيق الله أن تتوافق الخواطر فيحضران إلى المطار فى الوقت الذى نصل فيه، فلا نضطر إلى اتصالات هاتفية قد لا تحقق الهدف أو إلى تاكسى باهظ النفقة فى هذه المسافات البعيدة، وكانت المفاجأة الثانية أن عصام قد حجز لنا على عبارة المانش فى السابعة من صباح الخميس ٢١ سبتمبر، أى ثالث يوم وصولنا لندن، فأمضينا اليومين فى تجوال مستمر فى لندن وريدنج مع المشتروات والاستعداد للسفر، وكنا قد أحضرنا له طلبه من بط بالمارته وملوخية، وفى فجر الخميس غادرنا ريدنج إلى الشاطئ الإنجليزى حيث وصلنا فى السادسة صباحًا، لتنقلنا العبارة ومعنا السيارة إلى الشاطئ الفرنسى عند كاليه.

وتولى عصام قيادة سيارته المازدا على الطريق السريع إلى باريس على أن نستريح حينًا بعد آخر عند محطات البنزين، حيث نتزود بالبنزين غالى السعر ضعف سعره فى لندن، وحيث ندفع رسوم الطريق السريع كل بضع مئات من الكيلو مترات، ووصلنا باريس عصر نفس اليوم وكان لابد من أخذ تأشيرة عودة إلى إنجلترا، ودفع رسوم أخرى واستغرق البحث عن هذه السفارة مدة طويلة، ثم البحث عن فندق ننزل فيه ومن أسف أن كل فندق سألنا فيه لم نكن نجد فيه مكانًا، فقررنا مواصلة المسيرة على أن نبحث فى الموتيلات المنتشرة على الطريق، فكان أن وجدنا موتيلا ممتازًا على بعد نحو سبعين كيلو مترًا من باريس وسعر الغرفة ٢٠٠ فرنك

فرنسي، وهى مزودة بالحمام الفاخر والتلفون والتلفزيون والراديو، ومن عجب أن يعرض التلفزيون مشاهد جنسية فاضحة حتى شوارع باريس وعمائرها ومحلاتها وأنوارها، وكان مما يستلفت النظر بل يبهره هذه النظافة المطلقة فى الشوارع والطرقات والمساكن والناس، وكانت صورة القاهرة وطرقاتها ومطباتها وترابها ومجاريها الطافحة وتلفوناتها الصامتة ما تزال راسخة فى الذهن، وفى الصباح استأنفنا السفر إلى مونبليه وتبعد عن باريس أكثر من ألف كيلو متر، وبهرتنا الطرق الواسعة النظيفة والمزارع المنسقة الجميلة ومزارع العنب والذرة وما إليها من محاصيل ومن تنسيق رائع، وخضرة سابغة تضفى على الريف الفرنسى جمالاً أخاذًا.

وأخيرا وصلنا مونبليه، وشرعنا نسأل عن العنوان حيث ابنتنا الدكتورة أمينة ولكن أحدًا لم يتبرع بإرشادنا، وكانت العبارة التى يرددها كل من سألناه تقريبًا هى آدروا آجوش «أى على طول على طول، ثم إلى اليسار وبعد أن يئسنا من الاهتداء إلى حىّ لى وأخيرًا قررت أن نأخذ تاكسى فلابد أن سائقه يعرف مثل هذه العناوين، وأخيرًا وصلنا ولكن أين العمارة وأين الشقة، وإذ نحن فى حيرة من أمرنا، إذا بنا نرى فجأة حفيدتنا العزيزة نيفين، وقد نزلت إلى الشارع لتشترى شيئًا، وكانت مفاجأة سارة فإن هى إلا دقائق أخرى حتى كنا مع الدكتور أبو شادى، والدكتورة أمينة وولديها نيفين وحسن، وكانت سعادتنا باللقاء مما يصعب وصفه أو التعبير عنه، وأمضينا نحو عشرة أيام، ليس من اليسير وصف ابتهاجنا جميعًا بهذه الصحبة الكريمة، وسعادتنا بهذه الرحلات الممتعة إلى شواطئ مونيلية، وبخاصة ما يسمونه حى الأهرامات حيث العمائر هرمية الشكل فكل طابق ينقص عن سابقه فى المساحة، ولذلك تبدو العمارة على صورة الهرم، ويقولون إن هذا طراز المستقبل فى العمارات أو على الأقل طراز سنة ٢٠٠٠ م وقد تحررت المرأة أغلب الأمر من المرفاع فتعرض صدرها

للشمس، فقلت إنها أهرامات حية تتناسب مع شاطئ الأهرامات، وكذلك أمضينا هذه الأيام فى تنقل مستمر بين الشواطئ والمزارات فى مونيليه، من متاحف وحدائق وميادين ومقاهى، ولا يمكن أن ننسى نشاط ميمى وظرفها وكرمها وحسن إعدادها وكرم ضيافتها ولا سعادة نيفين وحسن بجديها وخالهما عصام، وقرينته «بات» التى بدت هى الأخرى سعيدة بهذه الرحلة، وكانت تشارك بهمة فى إعداد الطعام والمائدة، ثم فى التنظيف بعد ذلك وعلى رأس هؤلاء الأخ الدكتور محمد أبو شادى، رغم أنه كان يستعد لتأدية امتحان، فكانت مشاركة ومؤانسة فوق الوصف، وفى أثناء هذه الإقامة أخذنا تأشيرة دخول لسويسرا وفى صباح الاثنين ٢ أكتوبر أخذنا طريقنا إلى ليون وجنيف، مزارع العنب وعناقيده تبهر البصر، العنب فائق الحلاوة، استرحنا فى الطريق مرارًا ودفعنا مئات الفرنكات رسوم طريق، وثمن بنزين، وأخيرًا وصلنا جنيف مع هبوط الليل وتجولنا فى أبهائها وشوارعها الجميلة، وبحثنا عن فندق ننزل به، وأخيرًا وبالصدفة وجدنا موتيلا أنيقا، وتكلفة الليلة مائتى فرنك سويسرى، وتجولنا على شواطئ البحيرة وزرنا لوزان، وتغذينا فى أحد مطاعمها ثم أمضينا ليلة أخرى فى الموتيل الأنيق، أما رحلة البحيرة فقد ألغيت لأن الموسم قد انتهى ثم عدنا إلى باريس لنمضى ليلة أخرى فى باريس فى فندق رائع، وجدناه بالصدفة المحضة والليلة بمئات الفرنكات، ثم أخذنا طريقنا إلى العبارة عند كاليه، وكنا قد حجزنا عليها ودفعنا رسوم العبور نحو ستة وثلاثين جنيها، وكانت العبارة شديدة التأرجح هذه المرة والحمد لله وصلنا بسلام إلى الشاطئ الإنجليزى، ثم استقللنا السيارة إلى المنزل فى ريدنج وكانت هذه الجولة فى أوربا بالسيارة من أمتع الرحلات حقا، وبدأنا نفكر فى السفر إلى شيكاغو دون حجز إلا بالدور، حيث لا يكون ذلك إلا فى نفس اليوم الذى نسافر فيه، وكان الحجز من محطة فيكتوريا وليس من المطار وفى نفس اليوم الأحد

٨ أكتوبر سنة ٧٨ بسعر مخفض لا يجاوز ٦٧ جنيها للتذكرة الواحدة بدلا من نحو ثلاثمائة بالطريقة العادية وعلى نفس الخطوط البريطانية التى حضرنا عليها من القاهرة بنحو ٤٥٥ جنيها للتذكرة الواحدة.

وكان موعد إقلاع الطائرة الثانية والنصف بعد الظهر على أن تصل شيكاغو فى الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر نفس اليوم، مع أن الرحلة تستغرق نحو تسع ساعات منها سبع ساعات فارق توقيت ولذلك تبدو الرحلة وكأنها قطعت فى ساعتين، وكانت مفاجأة أن نصل إلى ليلى فى البيت دون سابق موعد، فأخذنا التاكسى من المطار كالعادة، وحسابه وفق العداد والإيصال اثنى عشر دولارا، فى الحدود التى انتقلنا بها أكثر من مرة بين المطار وحدائق البلوط، حيث تسكن ابنتنا الدكتورة ليلى وقرينها، وذكرنا على الفور مناكفات تاكسى القاهرة، وكيف يسجل العداد ثمانين قرشا من المطار إلى الدقى ولكن سائقه يصر على تقاضى عشرة جنيهات مصرية.

كانت مفاجأة سارة أن نرى الأعزاء فى شيكاغو فى صحة وسعادة، وأمضينا معهم يومين وليلتين، ثم حجزنا لنسافر إلى «أوهايو» بكولومبس، حيث تعمل ابنتنا عزة وقرينها، فكان أن شددنا الرحال فى مساء الثلاثاء ١٠ أكتوبر لنصل كولومبس بعد ساعة فى الطائرة، ولنجد عزة وقرينها ينتظراننا فى سيارة البونتياك وننتقل فورا إلى منزلها الجميل فى حى أنيق.

ولنمضى معها أياما جميلة فى رحلات مستمرة، ومشتروات متتابعة، وكانت عزة تقوم بتوصيل زوجها بالسيارة فى الصباح الباكر لتطوف أرجاء كولومبس ثم جامعتها، ثم حديقة الحيوان، ثم محلات المشتروات «جيسى بنى»، ثم النافورات الجميلة والحدائق الجذابة، مما جعلنا نلوم الدكتور عماد أن تتاح له الفرصة أن يعيش وسط هذا الجمال ثمانى سنوات، ويتركه ليعود إلى حيث نعلم من مناظر ومتاعب، وقد لفت نظرى فى حدائق

الحيوان حركات الغوريلا المطابقة لحركاتت لإنسان، مما جعلنى أعلق بأن السيد «داروين» كان معذورًا فى وضع نظرية التطور، والقول بأن الإنسان مر بهذه المرحلة أو أن الإنسان والقرد يرجعان إلى جد واحد. أما التنسيق والنظام والجمال والنظافة والزهور والنوافير، فليس من السهل وصفها وقد اتصلنا بعلاء فى «مين» وحضر لزيارتنا، وأمضى معنا عطلة نهاية الأسبوع، كما كان يتصل بنا من حين لآخر من «مين» بعد عودته وقد طمأننا على عمله، وأنه ترقى فيه وأصبح مسئولاً عن الإنتاج، وبالتالى زاد مرتبه، وأنه تقدم إلى إعلان عمل فى ولاية تكساس فى مجال جيولوجيا البترول، وأن ذلك يقتضى تدريبًا على حساب الشركة براتب يساوى ماا يتقاضاه فى عمله الحالى ومدة التدريب ستة شهور، ثم يتضاعف الراتب بعد انتهاء التدريب واستلامه العمل فسأل الله لهم جميعًا التوفييق.

كذلك اتصلنا بعادل فى أريزونا وعلمنا منه أنه ينتظرنا فى سان فرنسسكو يوم ١٩ أكتوبر وأن الحفل سيكون فى مساء نفس اليوم فحجزنا التذاكر لهذا اليوم بالتلفون، وكان ثمن التذاكر نحو ٣٨٨ دولارًا، أما تذكرة «مين» فنحو ١٥٠ دولارًا، وتذكرة شيكاغو كولومبس نحو مائة دولار، وأما سان فرنسسكو فينكس ١٦٢ دولارًا، ثم فينكس - شيكاغو ٢٨٨ دولارًا، ويلاحظ أن أسعار التذكرة تبدو عالية نسبيا ولكن الحقيقة أن الخدمة على أعلى مستوى والحجز بالتلفون، والدفع عند استلام التذاكر، وهى تيسيرات لا نعرف لها نظيرًا فى بلادنا العزيزة - وتعرفنا فى كولومبس إلى أسرة مصرية كريمة تبادلنا وأفرادها الولائم والزيارات كما زرنا المصنع خلال إقامتنا فى كولومبس.

ومما يلفت النظر هذه الجدية الصارمة فى العمل فقد كان أبناؤنا يغادرون المنزل حوالى السابعة والنصف صباحًا، رغم الظلام والبرد الشديد والثلج

الذى يغطى السيارة التى باتت فى العراء، ولابد من كشطه قبل التحرك، وكانوا لا يعودون إلى المنزل إلا بعد السادسة بعد الظهر، ما أشد حاجتنا فى مصر إلى مثل هذا النشاط والعمل الدؤوب والإنتاج الضخم إن المصانع تعمل طيلة الأربع وعشرين ساعة، وإذا حدث ما يستدعى رأى الفنيين من أعطال أو أعطاب فى الأجهزة والأدوات اتصلوا بهم فى المنزل تلفونيا، وقد يحتاج الأمر إلى العودة إلى المصنع فى منتصف الليل، ولا يتردد أحد فى ذلك لصالح العمل واستمراره والإنتاج والحفاظ على مستواه.

ثم غادرنا كولومبس إلى سان فرنسسكو لنجد ولدنا الدكتور عادل فى انتظارنا بالمطار، ولينقلنا فورًا إلى حيث حجزلنا غرفة فى فندق شيراتون الفاخر ثم إلى فندق «توب حياة»، وإلى المطعم الأنيق جدًّا فى الدور السادس والثلاثين من مبنى الفندق، حيث البدل بالملابس الرسمية والأطباق والأدوات من الفضة الخالصة، وبعد أن تناولنا العشاء ذهبنا إلى مقر الحفل الكبير الذى يحضره الآف الأطباء، ويعلو المنصة أعضاء مجلس الإدارة، ويعلن الرئيس فى خطاب رائع ضم ثلاثة أعضاء إلى الجمعية أعضاء شرف كما يعلن أن الاحتفال بخاصة لتكريم نفر من الأطباء الممتازين، الذين وصلوا إلى أرفع المستويات، ومن بينهم اسم ولدنا الدكتور عادل حفظه الله ووقاه، وتعزف الموسيقى السلام الجمهورى تحية لهؤلاء الأطباء الذين تكرمهم الجمعية، وإنهم ليتهادون فى الطيلسانات وعلى رؤوسهم القلنسوات المميزة، ولا أستطيع أن أصف مشاعرى وقرينتى فى هذه اللحظات فليس أمتع ولا أسعد من أب يرى ابنه يتميز ويكرم على هذا المستوى الرائع من أساتذة وأطباء جراحين أجلاء يعلنون هذا التكريم لعزيزنا عادل حفظه الله، وسان فرنسسكو مدينة عجيبة حقًّا، جميلة حقا، موقعها فريد على شاطئ المحيط الهادى، وشوارعها صاعدة هابطة، وهى مدينة حديثة قديمة، فقد دمرها الزلزال منذ نحو خمسين عامًا، ولم يترك

من مبانيها إلا آحاد تعتبر من الآثار، فهى حديثة بكل ما تحمل الكلمة من معنى، لولا هذه البقايا التى لا يزيد عمرها على خمسين عامًا، وركبنا الترام العتيق الذى يشبه ترام ٢٢ فى القاهرة فهو الآخر يعتبر أعجوبة، وتنتظم الصفوف تنتظر دورها فى الركوب وهو لمن جاوز الستين بخمسة سنتيمات فقط بدلا من عشرين، ثم ركبنا سفينة البحر، تتجول بنا فى مياه المحيط ولنشاهد الجسور المعلقة، والتى تمتد داخل المحيط، عدة كيلو مترات لتصل المدينة بجزيرة، أو صخرة أو سجن ثم عدنا إلى الفندق لنأخذ حقائبنا ونذهب فى رحلة أخرى إلى مونتريه على شاطئ المحيط، وعلى بعد ساعات بالسيارة من سان فرنسسكو، ولا يستطيع القلم أن يصف جمال الخضرة والغابات والجبال والطرقات وملاعب الجولف وما إلى ذلك من مناظر ساحرة، وكان قد حجز لنا فى فندق «ترافل لودج» وهو الآخر من الدرجة الأولى الممتازة يذكرنى بهوليداى إن «فى مراكش» الذى فاز مرة بالأولية منذ أعوام، فحمام السباحة وسط الفندق فى باحة، والحجرات من حوله، لا تفصلها عنه إلا أبواب زجاجية وستائر، وأمضينا يومين فى مونتريه نتجول بالسيارة نهارًا فى الغابات وعلى البلاجات، ولفت نظرى طحلب كبير به عوامات تساعده على الطفو، قالوا: إنه غنى باليود والفلور وإنه يستغل فى صناعة معاجين الأسنان، فأخذت عينة منه لتعريفه، وفى ظهر اليوم الثانى بدأنا العودة إلى سان فرنسسكو، لنستقل الطائرة التى حجزنا ففيها بالتلفون إلى فينكس باريزونا، وبمجرد وصولنا وجدنا التذاكر محجوزة ودفعنا ثمنها وقيل لنا إذا أردتم تأجيل السفر إلى الرحلة التالية بعد أربع ساعات يرد إليكم ثمن التذكرة مضاعفًا، وكانت هذه فرصة لمن يريد الاتجار مع أن الإعلان المرفق بالتذكرة ينص على ذلك بعنوان اقرأ ذلك جيدًالك أن تسترد ثمن التذكرة مضاعفًا إذا قبلت التأجيل إلى الرحلة التالية فى السادسة، بدلا من الثانية، وتفسير ذلك سهل ميسور، فان

الوقت لدى رجال الأعمال له قيمته فقد تساوى هذه الساعات عنده ملايين الدولارات.

وإن هى إلا سويعات ووصلنا فينكس واتصل عادل بقرينته لتحضر لنقلنا إلى المنزل، وإن هى إلا دقائق وكانت بالمطار ومعها نجليها، حفيدينا أنور وشيرين (جيجى)، الأول عمره نحو سنتين ونصف، والأخرى فى الشهر السابع من عمرها، كلاهما آية فى الجمال والنظافة والأناقة وخفة الدم، جَمعا كما تقول جدتها بين سحر الشرق وجمال وألوان الغرب، اصطحبا جديهما ووالديهما فى السيارة بويك ريجال إلى المنزل الجديد، الذى انتقل إليه مالكًا له فى حضن الجبل وعلى إرتفاع يقرب من قمته، ويطل على «فينكس» الجميلة، وشوارعها الأنيقة، بأشجارها ونباتات الكاكتس التى تزين حدائق المنزل، من السوارات والأوكليات والتين الشوكى وعشرات ومئاتت من أنواع الكاكتس التى اشتهرت بها أريزونا وأخدودها العظيم، والمكسيك وما جاورها من أقاليم ثم أشجار البرتقال والزيتون والرمان ونخيل البلح إلى جانب نخيل الرخام واللاتانيا وغيرها من روائع النباتات، تزين الشوارع والحدائق والطرقات والمنازل المتناثرة على سفح الجبل، وقد أقمنا فى أريزونا نحوأسبوعين وحضرنا مايسمونه عيد القرع، وكانت هذه ثالث مرة نزور فيها هذا الإقليم الرائع الجمال، وكان المنزل هذه المرة فسيحًا واسعًا جميلاً فى مقدمته حديقة وفى خلفيته أخرى وخال من جميع الجهات، لا تزول عنه الشمس طيلة النهار، وتتجلى الأناقة فى صالوناته وحجرة المائدة وحماماته ومطبخه وأدواته الكهربائية المتعددة، إنه منزل عصرى بكل ما تحمل الكلمة من معنى، وأنسنا بالحفيدين، كما أنسا لجديهما، وأعجب أنور بجده لأنه يقرأ له فى مكتبته المتعددة الكتب والرسوم والحروف واللعب والأدوات، وهو يدعونى دائمًا لأصحبه إلى حجرته، ويحضر كتابًا بعد آخر من مكتبه ويصيح اقرأ، وقد أعجبتنى معارفه، فهو

يعرف الحروف ويركب الكلمات، كما يعرف الأرقام ويركبها، وهو بعد فى الثانية والنصف من عمره، حفظه الله ورعاه، وكذلك أنست الحفيدة لجدتها أن كانت تحملها بين حين وآخر، وكنت بين حين وآخر أمارس لعب الكرة مع أنور، فثمة كرة قدم، ومرة مع كرة ومضرب الجولف، وزرنا معهم حديقة الحيوان، وأمضينا ساعات طوالاً نتجول فى أرجائها، ثم تناولنا الغذاء فى مطعم خاص أشار به «أنور» ومرة أخرى تغذينا فى مطعم رعاة البقرة، يقصون كرافتة الزبون ويعلقونها فتجد آلاف الكرافتات مدلاة من سقف المحل، وعلى كل واحدة بطاقة تحمل اسم صاحبها وتاريخ زيارته، ويقدم المحل قطعة كبيرة من اللحم تملأ الطبق الواسع، إنها فيما يقول: تزن رطلين، وقد شويت على نار خشب معين يكسبها نكهة جميلة وطعمًا رائعًا، إلى جانب طبق من السلاطة الجميلة. وحكى لنا عادل كيف مزح من علاء وألبسه كرافتة وحضر معه إلى المحل، وقطعت وعلقت فى المحل ولم يكن أينا يلبس رباط رقبة، فتركت بطاقتى لتثبت على أحد الجدران تذكارًا لهذه المناسبة، ومضت الأيام فى أريزونا، وإنى لأخرج كل صباح فى جولة تصنع دورة كاملة فى الحى، وامتع الطرف بمنظر فينكس من أعلى الجبل، كما كنت فى كثير من الأحيان أقوم بالجولة قبيل الغروب، وفى أغلب الأحيان تصحبنى زوجى فى هذه الرياضة الصباحية والمسائية الجميلة، شعرنا أيامها بتحسن كبيرة فى صحتنا بالإضافة إلى الإقامة السعيدة مع الأبناء والأحفاد، وكذلك مضت أيام فينكس الجميلة، وحان موعد الرحيل إلى شيكاغو، وفى ذلك اليوم قمنا بجولة فى أنحاء فينكس وضواحيها، وخاصة مدينة الشمس، حيث الجمال والروعة مما جعل زوجى تقول: إنها الجنة بعينها ولكن آن لهذا الحلم أن ينتهى، فعدنا إلى شيكاغو لنلقى ابنتنا الدكتورة ليلى وزوجها والحفيدين منى وكريم مرة أخرى، ولنمضى معهم أيامًا جميلة نتمشى أحيانًا فى أنحاء حدائق البلوط، ونتنزه بالسيارة فى

الضواحى الجميلة وعلى شطآن بحيرة ميتشيجان، ثم قطعنا التذكرة بطريقة الدور إلى لندن، ثم تحدد الموعد مع عصام بالتلفون وفى لندن أمضينا أيامًا أخرى مع عصام وقرينته، ثم حجزنا إلى القاهرة لنصل فى منتصف ليلة العيد، ونمضى أيام العيد مع رشا وقرينها وحفيدنا أمير، ثم نذهب لنؤكد الحجز الذى كنا قد طلبناه للسفر إلى الرياض يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٩٧٨م ووفقنا الله، وأخذنا الطائرة إلى الرياض، وكان مكاننا بالدور الثانى بالطائرة، وهو أشبه بالصالون تتناثر فيه المقاعد حول المناضد، ويتسع لبضعة عشر شخصًا، فى جلسة مريحة وأكل فاخر وراحة تامة، وماهى إلا سويعات حتى نزلنا فى مطار الرياض فى منتصف الليل، ثم ليقلنا التاكسى لنعود إلى منزلنا بالرياض، وكذلك انتهت أيام أمتع رحلة سعدنا فيها بالاطمئنان على الأبناء والأحفاد، ولله الحمد من قبل ومن بعد.

١٦٧ - فى هيلتون منى

فى رمضان سنة ١٣٩٩ - أغسطس سنة ١٩٧٩ اعتزمنا القيام بأجازتنا الصيفية التى تمتد عادة على مدى شهرين، وأوثر أن أجعلها فيما يسمونه بنات الأعياد، حتى نفيد من أجازتى العيدين دون أن تحسبا فى مدة الشهرين، على أنه كانت لدينا نية الحج إن شاء الله فقلت للأخ الدكتور سيد فرج أن يمر علينا ويسأل قبل سفره للحج، فعلنا نكون قد عدنا من الأجازة فنصحبه فى رحلة الحج، وانتظرنا طويلًا أن يصل من الدمام أمر الإركاب ومستحقات الإجازة، ولما لم يصل شىء من ذلك رغم متابعة الكتابة إلى جامعة الملك فيصل، وموافقة وزارة التعليم العالى فحجزت التذاكر على حسابى، ورحلنا فعلًا إلى القاهرة ومنها بعد العيد إلى لندن لعرض زوجتى على الطبيب ثم إلى فرنسا ومونليه، ومارسيليا لزيارة

الدكتورة أمينة وقرينها وأولادها ثم العودة إلى باريس فلندن مرة أخرى ثم القاهرة، وسافرت يومًا إلى العزبة بالمناصريت لتوزيع الزكاة على الفلاحين، وللتبرع للمسجد بمبلغ مناسب، ونسأل الله التوفيق.

وعدنا إلى الرياض مساء الأربعاء ٢٤ أكتوبر الموافق الثالث من ذى الحجة، وانتظرنا الأخ سيد يومًا بعد آخر وأخيرًا وصل مساء السبت ليقول إنه معتزم السفر إلى الحج، ولكن ليس بسيارته لأن بها من الأعطال مايمنع المجازفة بها، ولكن الأخ أحمد يوسف سيحملنا بسيارته وأننا أربعة، وثمة خامس هو صديقه «محمد»، ثم قيل إن الدولة تمنع الحج بالسيارات الخاصة وإن ثمة سيارات حكومية للنقل الجماعى، فذهب الإخوة إلى المطار ليحجزوا أماكن بالطائرة يوم الأحد على أن يكون السفر مساء الاثنين، وهكذا تحول السفر من سيارة الأخ سيد إلى سيارة الأخ أحمد، ثم إلى الطائرة وتم ذلك فى آخر لحظة، فلم يكن ثمة وقت للترتيب والتخطيط للمأكل والمشرب والتنقل والمبيت فاشتريت خيمة لحسابى، كما استعمل الثلاثة الآخرون خيمة أحمد، وركبنا الطائرة على بركة الله متجهين إلى جدة فمكة حيث قمنا بطواف القدوم والسعى بين الصفا والمروة، ومنها إلى منى فى موقع هو ما أسميه فيما بعد «هيلتون منى»، ثم تركنا متاعنا فى الخيمتين بعد نصبهما، واتجهنا إلى عرفات حيث أمضينا يوم التاسع من ذى الحجة ثم عدنا لى المزدلفة ومنها إلى منى مرة أخرى فى العاشرة من ذى الحجة يوم الأربعاء إلى حيث تركنا متاعنا فى خيامنا، وإذا بالخيام منتزعة ومكومة ولم نعرف بالطبع من فعل هذا بمتاعنا، وإن كان من الواضح، أن معسكر الجيران من الباكستانيين هم من فعل تلك الفعلة، فحاولنا تنصيبها مرة أخرى، وكان واضحا أن المكان غير مناسب إطلاقا للإقامة بل الراحة والنوم، وكانت المياه تنشع من المعسكر المجاور، حيث دورات المياه التى

أبوا علينا استعمالها، وحيث ركنت سيارات فى مواضع مختلفة جعلت من الممكن استعمال هذه الأركان لأغراض مختلفة، حيث يعرج من يتبولون، أو يتقوطون، أو يرمون الفضلات والنفايات وبقايا الذبائح، وما إلى ذلك فضلاً عن الصخور الناتئة هنا وهناك، والتى تجعل النوم شبه مستحيل إلى جانب انبعاث الروائح الكريهة من كل مكان، ولم يكن بد من الرضى فكيف السبيل إلى الانتقال وإلى أين يكون الانتقال، وسط هذه الحشود التى جاءت من كل رجا من أرجاء الأرض، ثم كان رمى الجمرات، ثم طواف الإفاضة، وأخيرًا طواف الوداع، فذهبنا إلى مكة لأداء تلك المناسك ثم عدنا لنصحو مع فجر الجمعة، ونحزم متاعنا قاصدين أداء الرجم الأخير، وعبثًا حاولنا إيجاد سيارة تحملنا، فحملنا متاعنا طيلة بضعة كيلو مترات، ووصلنا فى نحو العاشرة صباحًا، قال صاحبى إن الرجم لا يبدأ إلا بعد الزوال فقلت إنها ضرورة وسط هذه الحشود والتجمعات، وإلا فكيف يكون الحال إذا انتظر هذان المليونان ليبدأ الرجم فى وقت واحد، وإن الضرورات تبيح المحظورات وإن الدين يسر لا عسر، وإن الدين الذى يبيح الجمع والقصر والتيمم والإفطار فى السفر أحرى به أن يحلل رمى الجمرات مبكرًا، ونحن على هذا الحال من التعب والزحام وصعوبة سيارات ومواعيد الطائرات المحددة، وبعد لأى اقتنع صاحبنا بهذه الضرورات وأجاز رمى الجمرات قبل الزوال، وحملنا متاعنا مرة أخرى وذهبنا نبحث عن سيارة تنقلنا إلى مكة، وقد وفقنا الله فى ذلك ومن مكة وفقنا مرة أخرى، وإن يكن بأسعار خيالية إلى سيارة تقلنا إلى فندق انترناشيونال حيث صعدنا إلى طابقه العلوى، حيث تناولنا القهوة والشاى وما إلى ذلك مما لم نكد نوفق إلى شىء منه فى هيلتون منى، إن أكلاً أو نومًا أو راحة أو حتى ماء.

ورغم ما يقال عن جهود ضخمة تبذل لراحة الحجاج، فمازال الأمر فى حاجة إلى مضاعفة هذه الجهود لتنظيم العملية ولتقضى المناسك والمشاعر فى سهولة ويسر دون هذه المعاناة.

ومع أنى أكتب هذه المذكرات فى رابع يوم لعودتنا إلا أن التعب والإرهاق والبرد والإنفلونزا ما زالت جميعا تهاجمنا، ونعانى منها وآثارها فى الرياض ومع ذلك فإنى أعترف برغم هذه المتاعب أنى أتمنى أن أعود لتأدية هذه الفريضة والله ولى التوفيق إلى حجة أخرى تكون على مستوى كما يقولون.

١٦٨ - تصرف حكيم

إنها قصة بسيطة، ولكن مغزاها عظيم وقعت أحداثها بعد عامين من تخرجنا، ومازلنا معيدين بقسم النبات بكلية العلوم بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة)، فقد وقع فى أيدينا بحث نشر حديثًا أجراه أستاذ بجامعة لندن، وكان تلميذًا لأستاذنا المرحوم الأستاذ أوليفر، «وخطر لأحد الزملاء أن يطلبه ليطلع عليه، وكنا اثنين يلزمنا الاطلاع عليه، فاستمهلناه بضعة أيام حتى ننتهى من دراسته، ولكنه ظن أننا نضن به عليه ولا نريده أن يطلع عليه، فأخذ رأى زميل آخر، فقال له أبلغ الأستاذ شاكيًا، وكانت كلمة الأستاذ لها احترامها ووقارها بل وهيبتها، ولكن الزميل الكريم ذهب بسرعة إلى الأستاذ وشكا إليه الزميلين بأنهما يمنعانه الاطلاع على البحث، وما هى إلا دقائق أخرى، حتى علم أحد المدرسين المصريين بالقسم هو المرحوم الأستاذ يونس ثابت، فما كان منه إلا أن استدعى ثلاثتنا، وقال: إن مثل هذه الأمور لا ينبغى أن تصل إلى حد الشكوى وشغل وقت الأستاذ بهذه السفاسف، ومن الواجب أن يذهب ثلاثتكم فورًا إلى الأستاذ

وأن تعتذروا له ان شغلتم وقته بمثل هذه القصة، وأنها انتهت فعلا، وأن الزميل ستتاح له الفرصة للاطلاع على البحث فى خلال أيام وقد كان، فلم يكن قد مضى أكثر من نصف ساعة، حتى كنا ثلاثتنا أمام الأستاذ نعتذر له، وننهى إليه أن الموضوع قد انتهى، ولاشىء بيننا، فتبسم الأستاذ راضيًا سعيدًا، وقال: إن مثل هذه الأمور ينبغى أن تنتهى بكم إلى خير ولا يبقى لها أثر فى نفوسكم، ولتتعاونوا فى بحوثكم ودراساتكم وفقكم الله، وكذلك كان هذا التصرف الحكيم، والنصيحة الخالصة بدلاً من أن تستشرى العداوة والبغضاء والحقد بين الزملاء.

١٦٩ - هؤلاء أعجبونى

سئلت مرة فى الإذاعة عن الشخصيات التاريخية التى أعجبتنى، فأجبت المذيعة أن هناك ثلاث شخصيات أعجبتنى كثيرًا، المأمون، وابن سيناء، وكليوباطرة، الأول لما أداه من خدمة للعلم والمعرفة بتشجيعه الترجمة، ونقل الكتب من الفارسية واللاتينية والهندية والقبطية إلى اللغة العربية، وكان يدفع وزن مايترجم ذهبًا، تقاطر المترجمون من كل رجا من أرجاء العالم يترجمون إلى العربية جميع أنواع المعرفة آنئذ، من فلسفة وطب ومنطق وفلك وغيرها، من علوم وفنون، وثانيها ابن سينا الملقب بالمعلم الثالث الذى نيفت كتبه ورسائله على مائتين وستة وسبعين كتابًا ورسالة، تشمل جميع أنواع المعرفة، وقد أتيح لى أن أشارك فى تحقيق أربعة من كتبه فى الطبيعات والمعادن والنبات والحيوان، وقد ظل كتابه القانون فى الطب مرجعا للعلوم الطبية عدة قرون، حتى قيل بحق كان الطب معدومًا فأوجده أبقراط، وميتا فأحياه جالينوس، ومشتتا فجمعه الرازى وناقصًا، فأكمله ابن سيناء كما يقال إن أرسطو هو المعلم الأول للإنسانية والفارابى المعلم الثانى وابن سينا المعلم الثالث.

أما ثالثة هذه الشخصيات فهى كليوباطرة، وقلت ليس ذنبها أن تكون فاتنة الدنيا وحسناء الزمان كما أطلق عليها شوقى، وليس ذنبها أن يحترب القواد من أجلها، ويكفيها فخرًا أنها ألهمت ثلاثة من أعاظم الشعراء هم شكسبير وشوقى، وبرناردشو، وقد كانت حساسة، فلما انهزمت انتحرت، فلبست أبهى حلاها وتزينت وجلست على كرسى العرش، وطلبت إلى الكاهن أن ينهى حياتها فناولها سم العقرب أو الحية، وبذلك تكون قد عاشت ملكة وماتت ملكة.. وكان ذلك فى أعقاب كارثة سنة ١٩٦٧م.

١٧٠ - النباتات شواهد على البيئة والنباتات لا تخطىء ولا تكذب

ذكرت ذلك فى محاضرة عامة أن من نتائج السد العالى أن غدا نهر نهر النيل مستنقعًا، ودليلى على ذلك هو نباتات ورد النيل وغيره من نباتات المستنقعات التى توجد الآن فى مياه النيل، تحت الجسور والنباتات لا تخطىء ولا تكذب، كما قلت إن ابن الهيثم ادعى الجنون لكى لا يقيم السد، ولكننا أقمناه، فصاح وزير سابق فى قاعة المحاضرة «نحن دخلنا السجن، لكى يقول فلان مثل هذا الكلام، نسأل الله السلامة والتوفيق.

١٧١ - عهد الأشتر

كنت قد قرأت فى مكتبتنا الخاصة الصغيرة فى قريتنا المتواضعة، ما عهد به الإمام على بن أبى طالب إلى الأشتر النخعى حين ولاه مصر فأعجبت به غاية الإعجاب، فهو دستور كامل للحكم والعدل والولاية وشئون الدولة من جميع نواحيها، وخطر لى أن ألقى محاضرة عامة فى هذا الموضوع فى مدرج الطبيعة الذى كان يتسع لألف طالب، وإذا بالحضور وكان مباحا

للجميع يتوافدون، ولكنهم يتعجبون ما شأن كلية العلوم بمثل هذه الموضوعات؟، وما شأن مختص فى العلوم أن يحاضر فى موضوع أدبى سياسى واجتماعى وتاريخى كهذا، ولكن إعجابى الشديد بعلم سيدنا على، وشمولية عهده للأشتر جعلنى استرسل فى الحديث عنه وبيان أهمية وشمولية لأمور الدين والدنيا، وصدق الرسول الكريم حين قال «أنا مدينة العلم وعلى بابها».

١٧٢ - المحاريق

فى أثناء عمادتى لكلية العلوم بجامعة عين شمس، أضرب الطلبة لأن الوزير الذى تتبعه النقابة أوقف العمل بملحق قانونها، الذى يحدد الأعمال التى يقوم بها الخريجون، لأنها تتداخل فى أعمال نقابيين آخرين من صيدلة، وهندسة، وزراعة.. الخ، ولأن هذه النقابات كانت قد احتجت لدى الوزير المذكور، فأضرب الطلبة احتجاجًا على ذلك، فجمعهم فى أحد المدرجات، وخطبت فيهم قائلاً إننى أتفاهم مع السيد الوزير على الهاتف، وقد دعانى للحضور إلى مكتبه، فقلت له ولم لا تتفضل أنت بالحضور.. سبحان الذى أعطاك ملكًا... وقلت لهم إنى لا أستطيع أن أحميكم من معتقل المحاريق، وكان الرئيس قد أعلن قبل ذلك بأيام أن به سبعة عشر ألفا من المعتقلين، وكنت قد شاهدت بعضهم وهم يتسلقون الأسوار، ونحن فى طريقنا إلى الواحات - وقلت للسيد الوزير إننى أحضر حتى يعود القانون كاملاً، وأنا على استعداد لمناقشة وإقناع من يشاء، فأنا لا أستطيع أن أوقف أى قانون لأنه لا يوقفه إلا قانون آخر، وفعلاً عاد القانون إلى وضعه وقوته، وعاد للخريجين حقهم فى ممارسة ما نص عليه قانون نقابتهم من أعمال، والله الموفق.

١٧٣ - محاضرة لم تلق

طلب إلىّ مسئولون من الاتحاد الاشتراكى أن ألقى محاضرة عامة فى مقر الاتحاد آنئذ بسراى عابدين، وكنت نقيبا للمهن العلمية، ورئيسًا لجمعية خريجى كليات العلوم، ورئيسًا لتحرير مجلة رسالة العلم التى تصدرها الجمعية، وعميدًا لكلية العلوم، وأمينًا للاتحاد العلمى المصرى، ولم يكن بد من قبول إلقاء المحاضرة، حتى لا تضار هذه الهيئات التى انتسب إليها، فقبلت وذهبت فى الموعد المحدد فاستقبلنى المسئولون بالترحاب ولكن لم أجد أحدًا فى قاعة المحاضرات، فقالوا لى أن تتناول القهوة سيتوافد الحضور، ولكنى لاحظت أنهم ينادون بعض العمال للحضور مع أن المحاضرة علمية، وعلى المستوى اللائق بالمحاضر والحضور فاعتذرت عن إلقائها فى تلك الليلة، وطلبت تأجيلها إلى موعد آخر.. لم يحن بعد.

١٧٤ - أستاذ الحشرات

عقد السيد الرئيس اجتماعًا ضخمًا فى قاعة الاحتفالات بجامعة القاهرة، وكنا نستمع إلى خطابه وبجانبى أستاذ الحشرات، وإذا بالرئيس يقول فى خطابه أستاذ الحشرات أعمل به إيه؟ وكان بجانبى زميلى وبلدياتى وصديقى أستاذ الحشرات، فقلت له أسامع أنت؟ إن السيد الرئيس لا يريدك ولا يريد أمثالك.

١٧٥ - السياسة الأسبوعية والكيمياء

كنت طالبا بكلية العلوم بالعباسية، ونستمع إلى شرح مدرس الكيمياء فى المعمل، وإذا بالأستاذ يقول. من هذا الذى يحمل السياسة الأسبوعية

هنا فى معمل الكيمياء، وجاء يتحدانى بأسئلة فى الكيمياء، وإذا بى أجيب على أسئلته فى وضوح، ولا أدرى حتى الآن ما الخطر فى أن يقرأ الكيميائى فى الأدب، وقد كنت أنهى دراستى العملية بسرعة لألحق بمحاضرة أستاذنا المرحوم الدكتور طه حسين فى سراى الزعفران، وكنت قد تعودت ذلك فى مدار السنة فى أيام الخميس من كل أسبوع..

١٧٦ - الدعوة الإسلامية والتقدم المادى

موضوع رسالة الماجستير، أشرفت على إعدادها لأحد طلاب الدراسات العليا بالمعهد العالى للدعوة الإسلامية، نال بها صاحبها درجة الماجستير، وتقع فى مجلد ضخم نحو أربعمائة صفحة، قلنا فيها إن الإسلام لا يمكن أن يرضى بالتأخر عن ملاحقة ركب التقدم العلمى والمادى، على أن يكون ذلك فى حدود تعاليم الشريعة السمحاء، وأنه ينبغى أن يواكب ركب الحضارة فى الزراعة والصناعة والحرب والسلم، وأن نفيد من مواكبة العلم والاستفادة من مكتشفاته فى استصلاح الأراضى، وإنتاج السلالات الأوفر إنتاجًا والأكثر مقاومة، والأسمدة والمبيدات وما إليها من كل ما يزيد فى الإنتاج ليطعم هؤلاء الناس، الذين يتزايدون عامًا بعد عام بل يومًا بعد يوم، وأن نفيد من هذه العلاجات والأدوية والمكتشفات الطبية التى أتت على كثير من الأوبئة التى كانت تفتك بالناس، وأن نصنع من الأسلحة من مدفعية ونفاثات ونووية وصواريخ فلم يعد ينفع السيف والقوس والرمح، وذلك مصداقًا لقوله تعالى ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾. والمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف، وهذه الصناعات المستحدثة من خيوط صناعية تسهم فى كساء هذه البلايين من الخلق الذين لم تعد تكفيهم خيوط القطن والكتان، وما يصنع من مواد بروتينية من البترول تسهم فى تغذية هذه الأفواه المتزايده وهذه الصناعات الحديثة فى

كل مجالات الحياة، أليس من واجب المسلم أن يأخذ حظه منها، وأن يسهم في مواكبتها على أن يكون ذلك مع تمسكه بقيم وخلق دينه الحنيف.

١٧٧ - القاهرة
ميناء على البحر المتوسط

عنوان مقال قرأته في جريدة الأهرام، ومن عجب أنه لم يتكرر، إنه يشير إلى ما يفعله البحر المتوسط من تآكل في الشواطىء الشمالية، مما يعود بها إلى القاهرة لتعذر ميناء على البحر، وأذكر أنى قد كنت رئيسًا للمجمع المصرى للنقابة العلمية، وكان المهندس متولى قناوى سيحاضرنا في مبنى الجمعية الجغرافية عن السد العالى، ولكنى ذهبت متأخرًا لتغيير في الموعد فرأس الاجتماع سكرتير المجمع، وكان المحاضر يتكلم من الناحية الهندسية فقط، وتكاليفه وضخامته، وكان تعليق أحد المهندسين أن الدلتا ستنتهى في ظرف بضع مئات السنخين،وعلق المختصونن الآثار الأحيائية على التربة والنبات والعناصر وظهور نباتات المستنقعات كورد النيل، والطحالب وما إليها على طول مجرى النهر حتى شمالى الدلتا، وقال أحد وزراء الزراعة «إنه خايف على خصوبة التربة» وقال آخر، «إننا صرنا نتحكم في النيل بعد أن كان يتحكم فينا، ونسى هؤلاء وأولئك قولة هيرودتس «مصر هبة النيل»، وأنه لم يدمر مصر أبدًا بل كان بطميه ومائه سر خصبها وحياتها ووجودها.

١٧٨ - نموت وتحيا مصر

هتاف، كنا نهتف به ونحن طلبة في المدارس الثانوية، وكنا بالداخلية حيث النظام والنظافة، والغذاء الوافر المنتظم والموائد النظيفة الجميلة

والطعام الجيد الطهو والممتاز والأصناف، والأسرة النظيفة الممتازة فى عنابر النوم، ونترك هذا كله ونضرب ونخرج إلى الشارع هاتفين، نموت وتحيا مصر، حيث نعيش طول اليوم على شطيرة فول (ساندوتش)، ونتسكع فى الشوارع طيلة اليوم، وما ذلك إلا لأن إنجلترا فعلت كذاأسفيرها قال كذا أو وزيرًا مصريًّا تصرف كذا...

كنت أحكى ذلك إلى بعض زائرى من طلابنا من أساتذة ومدرسين ومتخصصين فى العلوم المختلفة، فإذا بهم يصيحون «احنا عاوزين نعيش وتحترق مصر»، فعجبت لهذا البون الشاسع بين الأجيال، وما الذى أثر على الأجيال الصاعدة ليكون هذا شعورها أو إحساسها بعد أن كان فى جيلنا كما ذكرت «نموت وتحيا مصر» - إنه لشىء محزن حقًّا، نسأل الله السلامة والتوفيق.

خاتمة

وبعد، فهذه حصيلة من الذكريات العطرة والخواطر العابرة، أرجو أن أكون قد وفقت فى عرضها، وفى إعطاء القارىء صورة صادقة أمينة للمجتمع الذى عايشته، وآمل أن أكون قد أديت واجبى نحو العلم والوطن.

نسأل الله للجميع التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

الدكتور/ عبد الحليم منتصر

* نشأ فى الغوابين مركز فارسكور مديرية الدقهلة (محافظة دمياط حاليا) بجمهورية مصر العربية (٢ سبتمبر سنة ١٩٠٨م)، وتعلم فى المدرسة الأولية بالقرية قبل أن يلتحق بالمدرسة الابتدائية بفارسكور حيث حصل على الشهادة الابتدائية، ثم التحق بالمدرسة الثانوية بالمنصورة حيث حصل على شهادة الكفاءة، والتحق بالقسم العملى ليحصل على شهادة البكالوريا بعد ذلك من مدرسة الجيزة الثانوية، ثم يلتحق بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة) بكلية العلوم يتخرج بعد ذلك حاصلاً على درجة البكالريوس فى العلوم (سنة ١٩٣١م).

* عمل معيدًا بكلية العلوم قسم النبات، حيث حصل على درجة الماجستير فى النبات سنة ١٩٣٣م وكان موضوع الرسالة (النتح والثغور فى النباتات الصحراوية).

ثم حصل على درجة الدكتوراه فى النبات (سنة ١٩٣٨م)، وكان موضوع الرسالة (التربة المصرية ونباتاتها) و (بيئة بحيرة المنزلة).

رقى مدرسًا بالكلية فى سنة ١٩٣٨م ثم أستاذًا مساعدًا فى سنة ١٩٤٧م ثم رقى إلى أستاذ وانتقل أستاذًا ورئيسًا لقسم النبات فى كلية العلوم جامعة عين شمس (سنة ١٩٥٠م) وعمل عميدًا للكلية من سبتمبر سنة ١٩٥٤ إلى سبتمبر سنة ١٩٦٠م.

* كون مع عدد مع زملائه هيئة لتحرير مجلة رسالة العلم، التى صدرت منذ يناير سنة ١٩٣٤، وكان رئيسًا لتحريرها على مدى يزيد على اثنين وأربعين عامًا، حيث توقفت عن الصدور عندما انتقل إلى السعودية فى سنة ١٩٧٥م فلم يتيسر إصدارها بانتظام خلال العشر سنوات الأخيرة.
* كون مع زملائه من الدفعات الأولى من المتخرجين فى كلية العلوم جمعية خريجى كلية العلوم فى سنة ١٩٣٢م تحولت بعد ذلك إلى جمعية خريجى كليات العلوم وظل رئيسًا لها حتى سنة ١٩٧٥م
* أسهم فى إنشاء الاتحاد العلمى المصرى منذ سنة ١٩٥٥م وظل أمينًا عامًا له حتى سنة ١٩٧٥م.
* أسهم فى إنشاء الاتحاد العلمى العربى الذى أنشىء سنة ١٩٥٥م وانتخب رئيسًا له حتى سنة ١٩٧٢م.
* عضوًا فى الأكاديمية المصرية للعلوم.
* عضوًا فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
* عضوًا مراسلاً فى المجمع اللغوى بدمشق.
* رئيس الجمعية المصرية لتاريخ العلوم.
* عضو مراسل فى المجمع اللغوى ببغداد.
* عضو المجمع المصرى للثقافة العلمية (وكان رئيسًا له).
* وكيل الجمعية النباتية المصرية.
* أستاذ بمعهد الدراسات الإسلامية (سابقا).
* عضو جمعية البيئة النباتية البريطانية.
* عضو جمعية تقدم العلوم الأمريكية.
* عضو جمعية البيئة الصحراوية بالهند.

* عضو لجنة التراث العربى بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب (سابقا).
* عضو اللجنة الدائمة لفحص الإنتاج العلمى فى علم النبات (سابقا).
* عضو المجمع العلمى المصرى.
* عضو الجمعية الجغرافية الأمريكية.
* نقيب المهن العلمية (سابقا).
* أستاذ بجامعة الملك فيصل (سابقا).
* أشرف على عدة رسائل ماجستير ودكتوراه فى العلوم (فى علم النبات) وفى تاريخ العلم عند العرب وفى موقف الدعوة الإسلامية من التقدم المادى.
* له عشرات البحوث العلمية المبتكرة فى علم البيئة النباتية (٧٥ بحثا).
* نشر وأذاع وكتب مئات المقالات والأحاديث والدراسات فى مجلات رسالة العلم والعربى والرسالة والثقافة والمجلة العربية والدار والفيصل ومجلة مجمع اللغة العربية وأذاع عشرات الأحاديث من الإذاعة البريطانية بلندن التى قالت عنه إنه (موسوعة تمشى على قدمين) والإذاعة المصرية بالقاهرة.
* شارك فى مراجعة المعجم العسكرى الموحد نحو (٨٠٠٠٠) مصطلح.
* شارك فى مراجعة معجم المصطلحات العلمية والفنية نحو (٣٥٠٠٠) مصطلح.
* شارك فى مراجعة المعجم الوسيط (الطبعة الثانية) نحو (٧٠٠٠٠) مادة.
* شارك فى تنظيم عقد مؤتمرات علمية فى القاهرة والإسكندرية وبيروت وبغداد ودمشق والرباط واشرف على نشر مطبوعاتها.

* حصل على جائزة التفوق العلمى من وزارة المعارف المصرية فى سنة ١٩٣٨م عن كتابه حياة النبات.
* حصل على وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى.
* ترجم وراجع ترجمة عشرات الكتب من الإنجليزية إلى العربية.
* من مؤلفاته:
  - حياة النبات.
  - التربة المصرية ونباتها.
  - أسس علم النبات (مشتركة).
  - النتح فى النباتات الصحراوية.
  - بيئة بحيرة المنزلة.
  - صحارى مصر (مشتركة).
  - نباتات مصر (مشتركة).
  - الوراثة والجنس.
  - حرب الخامات.
  - العلم فى حياة الإنسان.
  - تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه.
  - أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوروبية (مشتركة).
  - الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب (مشتركة).
  - ذكريات عطرة وخواطر عابرة وهؤلاء علمونى
* منحته الجمعية البيوجرافية الدولية بكمبردج شهادة تقديرية فى العلم.
* اختارته الجمعية الدولية الأمريكية واحدا من الرواد الممتازين فى العلم.
* منحته رابطة الأدب الحديث فى مصر شهادة زمالة فخرية تقديرًا له فى الأدب.
* حصل على جائزة الدولة التقديرية فى العلوم سنة ١٩٨٦.

* نقل إلى العربية بتكليف من هيئة الإغذية والزراعة التابعة لهيئة الأمم المتحدة معجم مصطلحات فى علم البيئة والمراعى.
* حقق مخطوطات لبعض العلماء العرب من أمثال ابن سينا وابن العوام.
* شغف بالقراءات الأدبية منذ صغره حيث كان بالمنزل مكتبة بها عشرات من أمهات كتب الأدب واللغة والدين من أمثال الآمالى والأغانى والكامل للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ ونهج البلاغة وصبح الأعشى والعقد الفريد ونفح الطيب وتفاسير القرآن الكريم كالقرطبى والألوسى ودواوين الشعراء كالمتنبى والبحترى وأبى تمام وشوقى وحافظ وكانت السهرات المنزلية أدبية رائعة كأنها صالون أدب مما غرس فى نفسه حب اللغة والأدب.
* كان هدفه منذ تخرجه تعريب التعليم الجامعى وترجمة المصطلحات العلمية ووضع معجم علمى عربى موحد.
* عمل مديرًا لجامعة الكويت عند إنشائها.
* سافر فى بعثات علمية قصيرة إلى جامعة لندن بإنجلترا وجامعة جنيف بسويسرا، وقام برحلات كثيرة إلى العواصم العربية وإلى إنجلترا وفرنسا وأمريكا.
* من القراءات المحببة إلى نفسه والتى هداه الله تعالى إلى متابعتها قراءة القرآن الكريم وقد ختمه بفضل الله وعونه عدة مئات من المرات ولله الحمد.

فهرس

صفحة

صفحة

رقم الإيداع	١٩٩٢ / ٧٨٦٨
الترقيم الدولى	ISBN 977 – 02 – 3798 – 1

١ / ٩٠ / ١٧٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)